







مكتب الترجمة الاسبانية العربية

فرنسيسكو دي كيبيدو



سيرة الشاطر

1950

مطبعة المخزن  
تطوان



# سيرة الشطار

3

## الادب الاسباني

حمل قصص الشطار في ذلك العصر الذهبي  
الاسباني شعاراً رمزياً وهي مؤلف وعاد مرة  
أدع فيه كتاب ذلك العصر اما الادع و  
مكتوب من مؤلفاته في محبوسه اذ  
راعه على ما دام في حاضره اثارها مؤج  
لـت الاسباني من اسباني وأحباب كسر اهد  
وحصوها احباب ودراما مسموعة وكان  
رأه فكر وضع حب واسع حول هذه الطاعنة  
من الادب الاسباني احباباً من اوجاد

ان تقدم لهذا الكتاب الذي تنشره الان معرباً  
بكلمة وان موجزة عن قصص الشطار ليدرك  
القارى مكانة الكتاب ادبياً وتاريخياً

وأول واجب علينا هو تحديد معنى كلمة  
الساخر *Picaro* . ان الساطر لشخص يعيش على هامش  
المجتمع ويكره العمل والنظام ويعشق الكسل  
والفوضى في الحياة ، لا يحترف حرفة ولا يمتهن  
مينة . وانما يمد يده الى اللقمة حيث يجدها قانعا  
بما يسد رمقه دون اجهاد نفسه بعمل مشر مضمك .  
ما مشاكل المجتمع الذى يحيط به وأهدافه  
ومظامعه فهو يعبرها لا تست اليه بصلة . فبينما  
ناس في كنف مسنميت للحصول على الرفعة  
والحد وبببسا المجتمع يسعى بارادة حديدية وعزم  
أكبر ور مثل اعلى اذا بالساطر - على حد تعبير  
نورخ الاساد دناث بلاخا - ممدد تحت نور  
الشمس نسا ل بسخرية عما اذا كانت هذه الصفقة  
بمحقق ان بحاطر الر من اجلها هذه المخاطرة

وأول قصة من هذا النوع هي قصة لاثاريو

دى طورمس واقدم طبعة لها معروفة ترجع الى  
سنة 1554. وهى حكاية صبي فقير اتخذه احد  
العميان دلبلا (وكلمة لاثاريو معناها دليل الاعمى)  
وكان يسيء معاملته حتى انتهى به الامر الى تركه  
والانصراف الى خدمة كاهن وبعد ذلك الى خدمة  
نبيل معدم. وما زال ينتقل من خدمة سيد الى سيد  
آخر حتى نال في آخر الامر وظيفة دلال في اسواق  
طليطلة وفيها تزوج بخادمة احد الكهنة. وهنا  
تنتهي القصة.

وتمتاز قصة لاثاريو دى طورميس بسهولة  
انشائها ودقة تصويراتها وسيطرة روح المرح عليها  
رغم بعض المشاهد المؤلمة. لكنها بعيدة كل البعد  
عن ذلك العمق التحليلي الذي نشاهد في القصص  
التي جاءت بعدها حين بلغ هذا الفن درجة نضوجه  
التامة. وهى بالاجمال تدل على ان فن قصص  
الشطار لم يزل في فجره. لكنه فجر يبشر بنهار  
جلي.

وفي سنة 1620 ظهرت في باربس قصة القصة



بحث عنوان: «القسم الثاني من قصة لاثاريو دي  
طورميس» لترجمان اللغة الاسبانية ه. دي لونا  
H. de Luna لكن المؤلف خرج فيه عن أسلوب  
القسم الأول وحشاه بالمشاهد الخلاعية التي يندي  
الجين لمطاعتها أما من الناحية الفنية فيفوق القسم  
الأول.

والآن لا بد لنا ان نقف للتساؤل عن أصل  
هذا الفن الأدبي وعلاقته الحقيقية بالمجتمع الاسباني  
تتعاصر نموه. فهي والحق يقال من المسائل التي  
أثارها البعانة عظيم العناية وتضاربت حولها آراء  
مؤرخي الأدب. ولقد أراد بعض النقاد ومعظمهم  
من الأجانب ومن يغنون النبل من اسبانيا وهي  
في «بان مجدها ان يروا في قصص الشطار تصويرا  
لمجتمع الاسباني في ذلك العصر ليستنتجوا من  
هذا التصوير ان مستوى المعيشة في اسبانيا كان  
محمضا وان الفقر كان يخيم على طبقاتها الشعبية وان  
عند «كسالي الطفولين كان وافرا. لكن الأبحاث  
أصاغة قد دلت على خلاف ذلك وقدمت البراهين

الدامغة على ان مستوى المعيشة الشعبية في ذلك  
العهد لم يكن منحطاً كما قد يستنتج من بعض مشاهد  
قصص الشطار. وانما تصور هذه في حقيقة الامر  
سلسلة حوادث فردية شخصية من حياة مؤلفيها  
اضفيت عليها حلة فكاهية بولغ في نسجها.

بقي علينا أن نتساءل : هل استمدت قصص  
الشاطار أصلها من آثار أدبية سابقة ؟ ان مؤرخي  
الادب يجمعون على القول انها وليدة القرن  
السادس عشر . لكنه اصبح من المحقق اليوم أن  
الاجيال المرتجلة ، مستحيلة في عالم الادب مثله  
في عالم الاحياء . ولذلك تراهم بالرغم عن اجماعهم  
على القول المذكور يردون بعض أصولها الى  
قصص الفروسية والى بضعة كتب أخرى اسبانية  
وأجنبية ظهرت بين أوائل القرن الرابع عشر  
ومنتصف السادس عشر من أهمها : كتاب الحب  
الحسن للارثيبريستي دي هيتا Arcipreste de Hita  
و كورباتشواو شجب الحب الدنيوى ، للارثيبريستي  
دي طلبيرة Arcipreste de Talavera وكتاب سبيل

Spill للمؤلف البلنسي داومي رويح Jaume Roig  
والرواية الشهيرة المعروفة باسم . لا ثيلستينا . ففي  
كل هذه المؤلفات مشاهد وفلوات نصويرية ومرح  
وفكاهة يمكن اعتبارها من حملة الاصول التي  
اسوحى منها مؤلفو قصص الشطار.

وبرى المسعرب الاسباني المرحوم ضوت  
اخير غونصالبص بالثيا في مقامات الحريري مصدرا  
محتملا من جملة مصادر قصص الشطار . فحيل ابي  
رند السروجي في نثره هي نفس الحيل التي  
يلجأ اليها أبطال تلك القصص للحصول على اسباب  
العيش . وكلامه عن فن الكدنة في المقامة  
الاساسية مثلا لجدير بأي كار من هؤلاء الشطار .  
ويقول غونصالبص نائنيا انه وان كان الالمام  
ناعربية في اسبانيا حين ظهرت قصص الشطار  
كان قد ضعف أو ناء نتلاشي بحيث لا يمكن  
الاعتقاد بالاطلاع على مقامات الحريري في أصلها  
العربي ليس من المستبعد أن تكون حوادث أبي  
رند السروجي قد أصبحت متداولة بين العامة

من جملة القصص الشعبية بعد أن بلغ تلك  
المقامات الاندلس وقد اولتها أيدي أدبائها وسهرحها  
الشريثسي أوفى شرح

هذا واننا في واقع الامر ان بحثنا في الادب  
العربي وجدنا كثيرا من قصص الشطار المبعثرة  
في المجموعات الادبية. وفي كتاب البخلاء للجاحظ  
يشار الى الشطار عدة مرات. ففي مطلع الكتاب  
يقول انه وضع رسالة عن «لصوص النهار وما  
لصوص النهار في الواقع سوى الشطار بالمعنى  
المقصود هنا والذي نراه في القصص الاسبانية. وفي  
مكان آخر يسرد لنا الجاحظ عدة أسماء فارسية  
الاصل لطبقات من الناس لبسوا في الحقيقة سوى  
من نشير اليهم تحت اسم الشطار، اذ يقول في  
حديث خالد بن يزيد حين سأله بنو تميم وكان  
قد نزل في شق منهم: «وانك لتعرف المكذبين:  
فأجاب: «وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان في  
حادثة سني ثم لم يبق في الارض مخراني ولا  
مستعرض الاقنية ولا شحاذ ولا كاغاني ولا بانوان

ولا قرسى ولا عوا ولا مشعب ولا مزیدی ولا  
اسطیل الا وقد کار تحت یدی و بعد ان یفرغ  
الجاحظ من سرد القصة یسرع بتفسیر معانی تلك  
الکلمات فیقول:

المخترانی الذي تأتیک فی زی ناسک ودر بک  
ان نایک قد قور لسانه من اصله لانه کان مؤذنا  
هناک نه یفتح فاد کما یصع من بنشاب فلا ترى  
نه لسانا البية ونسائه فی الحقيقة کلسان النور  
وان حد من خدع بذلك ولا بد للمخترانی ان  
تکون معه واحد یعبر عنه او اوح او قرطاس قد  
کتب فيه شأنه وقصه. والکاغانی الذي ینجنن  
ویزید حتی لا شک انه مجنون لا دوا له لشدة  
ما ینزل نفسه وحنی یعجب من بقا مثله علی  
مثل علمه. والبانوان الذي یقف علی الباب ویسل  
"الغلق ویقول بانوا وتفسیر ذلك بالعربية بامولای.  
والقرسی الذي بعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا  
وببت علی ذلك لبلة فادا نورم واختنق الدم مسحه  
مشی من صابون ودم الاخوين وقطر علیه شیئا

من سمن واطبق عليه خرقة وكشف بعضه فلا  
يشك من رآه ان به الاكلة او بلية شبه الاكلة  
والمشعب الذي يحتال للصبي حين يلد بان يعميه  
او يجعله اعشم او اعضد ليسأل الناس به اهله  
وربما جاءت به امه وأبوه ليتولى ذلك منه بالغرم  
الثقل لانه يصير حينئذ عقدة وغلة فاما ان يكتسبها  
به واما ان يكرياه بـكراً معلوم وربما اكثروا  
اولادهم ممن يمضي الى افريقية فيسأل بعم الطريق  
اجمع بالمال العظيم فان كان ثقة مليئاً والا أقام  
بالاولاد والاجرة كفيلاً. والكاغان الغلام المكدي  
اذا واجر وكان عليه مسحة جمال والعواء الذي  
يسأل بين المغرب والعشاء وربما طرب ان كان  
له صوت حسن وحلق شجي. والاسطيل هو المتعامي  
ان شاء اراك انه منخسف العينين وان شاء اراك  
بهما ماء وان شاء اراك انه لا يبصر للخسف ولربح  
السبل والمزبدي الذي يدور ومعه الدريسات ويقول  
هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة فزيدوني  
فيها رحمكم الله وربما احتمل صيا على انه تقيظ

وربما طلب في الكفن. والمستعرض الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد هاب من الحياة ويخاف ان يراه معرفة ثم يعرضك اعتراضا ويكنمك خفيا. والمقدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه وينقف في طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت يدعي انه كان له ويزعم انه قد احصر وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية ونعرف تلك المدن والسكك والرجال وهو متى شاء كان من اى مخاليف اليمن شاء. والمكدي صاحب الكداء،

وانما أرنا هنا مجرد الاشارة فحسب دون أن ننجزاً على تأكيد وجود علاقة بين مؤلفات الجاحظ هذه وغيرها من القصص وهذا النوع من الادب الاسباني. ونحن نرجو ان وفّق الله أن نعود الى بحث هذا الموضوع في المستقبل.

• • •

مرت خمسة عقود وقصة « لاثاريو دى طورميس » وحيدة من نوعها الى أن ظهر سنة 1599 القسم الاول من قصة « قزمان دى الفراتشى »

التي سماها مؤلفها مانيو ألمان مرصد الحياة البشرية ، وتقع هذه القصة في مجلد ضخيم وهي تعتبر أنضج ثمرة لهذا النوع الأدبي وأكملها فنا. لكن الكتابة تغلب فيها المرح والمرارة ترافق الفكاهة والتشاؤم يسيطر على التحليل النفساني والاجتماعي.

وفي سنة 1605 طُبعت قصة النساظرة حوسميا منسوبة لفرنسيسكو أوبث دي أونيدا . وفي سنة 1613 أصدر سرفانتيس مجموعة القصص المثلثي وقد تضمنت بضع قصص يمكن ردها إلى هذا النوع وهي الماسحة المبياة ، و رنكويني و كورتاديو و الزواج الخادع ، و ومناجاة الكلاب وهذه أهمها .

وقبل ذلك بسنة أي سنة 1612 ظهرت قصة ابنة لاثليسييتينا ومؤلفها الوصو خبرونيمو دي سالاس بارباديو . وفي سنة 1618 ظهرت قصة حياة ماركوس دي أوبريغون ، وهي تصور



كثيرا من الحوادث التي وقعت لمؤلفها بيثينطي  
اسبينيل. وتمتاز بدقة التصوير وعمق الملاحظة.

وفي سنة 1624 ظهرت قصة حياة الشاطر،  
لفرنسيسكو دي كيبيدو التي نشرت هناك عريبها. وهي  
الى جانب الاحلام، تعتبر من اكمل مؤلفات  
ذلك الكاتب الشهير الذي يوضع في المقام الاول  
بين كتاب العصر الذهبي

والقصة صغيرة بحجمها كما يرى القاري  
وبالرغم عن صدورها مطبوعة سنة 1624 يرد  
المؤرخون تاريخ وضعها الى ما بين سنة 1601 و  
1614 أي حين كان كيبيدو في شرح شبابه.  
وه حياة الشاطر قطعة فنية خالدة تمثل هذا النوع  
الذي في أرقى وأكمل درجاته لأنها تجمع الى  
روح المرح والفكاهة براعة في التصوير تؤدي  
بالمؤلف الى حد المبالغة في الوصف لاجراء الصورة  
الفكاهية على شكل يحمل الى نفس القاري أوفر  
قدر من المتعة. والرح يسيطر على القصة بأكملها  
بحيث لا يرى فيها أثر للمرارة والالام اللذين يحتلان

المقام الاول في - قزمان دي الفرثشي . أضاف الى  
هذا كله متانة في التركيب تكاد تبلغ في كثير  
من الاحيان درجة التعقيد . وكثيرا ما يعتمد الى  
التورية والتلاعب بالكلام بشكل يجعل مهمة المعرب  
شاقة عسيرة

وقبل ظهور القسم الثاني من قصة لاثاريو  
دي طورميس . بسنة أي في سنة 1619 نشرت في  
باريس أيضا قصة للدكتور كارلوس غرسيا عنوانها  
«اشتها» مقتنى الغير» . وهي وصف لحيل ومغامرات  
أحد اللصوص يرويها للمؤلف وهو في «السجن» .  
وتسيطر عليها روح التهكم ممزوجة بالمرارة والالام .  
وممن برعوا في هذا الفن الادبي ضوف  
الونصو دي كاسطيو سولورثاغو الذي نشر سنة  
1632 قصة ظريفة تحت عنوان «فتاة الاكاديب» .  
تريزادي مانشاريس . وفي سنة 1637 قصة - المأذون  
ترباياتا .

وظهرت بعد ذلك خلال القرن السابع عشر  
عدة قصص اخرى نذكر منها خاصة «الشيطان الاعرج»

المكاتب الشاعر لويس بيليث دي غيبارا و حياة  
ضون شريغوريو غوادانيا لانتونيو انربكيث غوميث  
و حياة ومآثر اسبانو غونصاليص التي ظهرت  
في مدينة امبيريس البلجيكية سنة 1646

ونعد حياة الدكتور ضون دييعو دي طريس  
بيارويير، التي بدأ ظهورها سنة 1743 خاتمة المؤلفات  
النسبة الى هذا النوع في اسبانيا

وبالجملة يمكن القول ان قصص السطار من  
ابرر الآثار الادبية الاسبانية واغناها واكملها فنا.  
وقد تعدت شهرتها حدود اسبانيا فنقل معظمها الى  
كثير من اللغات الاجنبية واسرعت منذ زمن  
بعد اهتمام البحاثة والمؤرخين.

# كيبيدو

1580 - 1645

بعد فرنسيسكو دي كيبيدو من أعتنم كتاب  
العصر الذهبي الاسباني. ولد سنة 1580 ونلقى  
المبادئ الأولى في مدريد وفي سنة 1592 دخل مدرسة  
الاباء اليسوعيين حيث بقي أربع سنوات. ثم انتقل  
الى جامعة قلعة هماريس حيث بقى حتى سنة  
1601 اذ انتقل الى بلد الوليد وهناك بدأت مؤلفاته  
ينشر بين جميع الأوساط الأدبية والشعبية رغم  
عن انخراطه في سلك طلاب جامعة تلك المدينة  
وفي سنة 1606 عاد الى مدريد وفيها أقام حتى  
استقدمه الى صقلية سنة 1613 نائبا الملك فيها  
الدوكي دي اوصونا الذي ألحقه بخدمته كمستشار  
خاص. فأدى له خدمات جليلة وقام بمهام سياسية  
خطيرة دلت على قدرته. ثم عاد الى مدريد سنة

1619 وقعت بعد عودته قطيعة بينه وبين الدولة فانقطع عن خدمته .

وبعد مدة قرب به اليه الوزير الكوندي اوليفارس لكنه لم يلبث ان نقم عليه واغضب عليه ايضا الملك فأمر بزرجه في السجن حيث بقي ما يربو على ثلاثة اعوام ولم يخرج منه الا بعد عزل الكوندي اوليفارس. لكن محنته ساءت كثيرا بسبب ما عاناه من مناعب وتوفي يوم 8 سبتمبر ايلول سنة 1648

هذا واننا قد وضعنا تحت عنوان كيبيدو أمير الخرافة كتابا خاصا درسنا فيه حياته ومؤلفاته بكل تفصيل .

سيرة الشاطر ضنون بابلوس

## الى القارىء

كم أراك راغبا أيها القارىء أو السامع -  
اد ان العميان لا يقرؤون - في التعرف الى  
خرافة ضون بابلوس أمير حماة الشطارة.  
فانت واجد هنا في جميع اسواع الشطارة  
- ونحى في خني ما بفضله الاكثرون - خدائع  
وحبلا وبدعا وطرفا كلها ناشئة عن الفراغ  
لنعبس من النحل والكذب. وليس نقيلا  
ما بمسكك ان نحنيه منه اذا أعتت العبرة  
'مناهك. وان له تفعله فاستفد على الأقل  
ما فيه من مواعظ لانني اسك في ان واحدا  
من الناس نشترى كتاب نكت ليحيد به  
عما يحرص عليه شبعه الفاسد. وعلى كل  
حال فليكن ما نريد. صفق له فهو للتصفيق  
منسحق. واذا ضحكك من نكتته فليكن

ثناؤك على ذكاء من يعرف كيف ان في  
الاطلاع على حياة الشطار ووصفها وصفنا  
ظريفا من اللذة ما لبس في ابتكارات أخرى  
اعظم واهم .

اما المؤلف فانك تعرفه . والكتاب لست  
تجهله . فهو عندك . ان لم تكن قد تصفحه  
عند بائع الكتب . وذلك امر عليه ثقیل . ومن  
الواجب استئصاله بحرارة قصوى لان من  
الناس من يتطفلون على الكتب كتطفر غبرهم  
على الموائد . ومنهم من يطلعون على رواية  
بقراءتها فتفاقتا في مرار مختلفة . ثم يرتقون  
اخيرا هذه القطع . وذلك لمن المؤسف حيث  
ان فاعله ينم دون ان تكلفه نميسه أي مال .  
وتلك دناءة زنبعة ونذالة لم يبلغها مفاريس  
الكلابة ، (1)

---

(1) اشارة الى الكتاب الذي وضعه كيسيرو  
تحت عنوان فارس الكلابة وهو مجسوة من



حفظك الله من الكتاب الشرير ومأموري  
انفضاء (1) والمرأة الشقرة اللعوج المستدبرة  
الوجه.

---

الرسائل ينصح كاتبها لقارئه بحياطة جيبه من  
كل أنواع الطفيليين والطفيليات  
1) استعملنا كلمة مأمور القضاء أو المأمور  
القضائي بمعرب لفظة Alguacil وهي عربية الأصل  
منسقة من كلمة الوزير. وفي التنظيم القضائي الحالي  
ندل على مأمور مكلف نابلاغ أوامر المحكمة.

## الى ضون فرنسيسكو دي كيبيدو

من صديقه لوسيانو (1)

اي ضون فرنسيسكو! بعيار واحد تزن الجذ  
والهزل فتشير بنصائح صائبة وتجعل ضون باندوس  
شاطرا في آن واحد.

---

1) اشارة الى المؤلف اليوناني لوسيانو، الذي  
عاش من سنة 191 الى 125 قبل المسيح. وبعد ان  
تعاطى الحمامة في انطاكية حال عدة بلدان ملفيا  
دروسا ومحاضرات في جميعها. وبعد عودته الى  
الشرق انصرف الى الادب. وامتاز بالادب اللاتني  
وترك اثنتين وثمانين مؤلفا نشرنا ومجموعة من  
الاببيغرام التي نقلت الى معظم اللغات الحديثة  
وكان كيبيدو يحذو حذوه، ومنهم من يعود  
بلوسيانو اسبانيا.

أني لا أعترف بأنه سيكون، والكلابة (1) تصحبه.  
تناطروا (2) مناسا. فحملته أياها لن يفوق الحديث  
عن حفظه: لا ير ناعكس فلو أنه سار بدونها  
يكون نفسه

---

2. إشارة إلى الكتاب نفسه وهو حبة الشاطر،  
1. إشارة إلى كتاب المؤلف «فارس الكلابة»،  
وفي الإشارة هما إلى الكتاتين تورية حسنة فظاهر  
الكلام معناه أن الشاطر إذا سار مصحوبا بالكلابة،  
فمجازته فاححة حسا وباطنه أن مؤلفه الجديد  
حبة الشاطر بكم مؤلفه السابق «فارس الكلابة»  
فلا تضر أحدهما بالآخر ولا تحط من قدره

# سيرة الشاطر

المسمى ضون بابلوس

مثال العاطلين ومراءة المحتالين

## الفصل الاول

وفيه الكلام عن نسبه ومسقط رأسه

أنا يا صاح (1) من بلدة شقوبية. ومنها كان والدي - أودعه الله الجنة - واسمه كلمنتي بابلو وكانت حرفته الحجامه حسب قول الكل. غير انه

(1) وضع المؤلف هذا الكتاب بصورة اعراف يدلني به بطل القصة بعد اعتزاله حياة الشطاره. وهو اسلوب متبع في معظم قصص الشطار، وبالشكل نفسه تبدأ حكاية لازارو وحكاية قزمان دي الفراتشي.

كان لاسمو افكاره يأنف من ان يلقب حجاما فيقول  
انه حاتم الوحنات وخياط اللحى . ويقال انه كان  
عريقا في النسب . وكانت سبرته تحمل على الاعتقاد  
صححة هذا القول . اما روحه وهى الضوئيا ساتورنو  
دي ريمويو ابنة او كسافو دي ريمويو كوديو وحفيدة  
لسدو ريمو كوديو

وكانت تحوم في البلدة رية حول عرق  
سبها في الدبابة السحبة (2) بالرغم عن انها  
كانت قدتي . فالنظر الى اسما اجدادها . التحدر من  
سلالة الملث الروماني (3) وكانت بهية المنظر  
وانها مصوب أنظر الماء حسن بحيث لم يبق في  
اسبانيا واحد من شعراء الزجل الا وتغنى بها .

---

(2) كان الاسماء الى نسب عريق من اعز  
لاني الاسمان في مطلع القرن السابع عشر . فادعا  
لغند في الدبابة المسحبة قد نكون حجة على  
الاسماء الى حنفة الاسراف

(3) اشارة الى الملث الروماني الذي نألف  
من اولمافو ولسدو وانطونو

وعقيب رواجها منيت بانعاب كبيرة، وبعد ذلك أيضا لان السنة بذئنة كانت تتقوّل على ابي بان يده تمند الى الجيوب، فقد ثبت عليه ان جميع من كان يحلق لهم اللحي بينما كان يرفع وجوههم الى المغسلة ليصب عليها الماء كانت بد اخي البالغ من العمر سبع سنوات تتسرب بخفة الى جيوبه فنستخرج مخها. وقد توفي ذلك الملاك على اثر جلدات جلدها في السجن فحزن عليه والذي حزنا شديداً لانه كان يسنولي على افئدة الجميع. ونهذه النرهات واخرى غيرها ادخل السجن ولكنني اخبرت فيما بعد انه غادره ناصع الصحيفة مصحوباً بمئتي حدة (4) وان لم تكن واحدة منها ممن نثار اليها بلقب المياقة. ونقال ان 'السأ' كان بطلن من النوافذ لبريه لانه كان حسن الطلعة

---

14 أي المؤلف هنا بنورية لا يمكن ترجمتها ومداره كلمة 'كردينال' التي تعني 'حدره' وهو المقصود اولا وتعني أيضا الرتبة الكنسية المعروفة وهو المعنى المقصود ثانيا.

ان ماشيا وان راكبا. ولا اقول هذا منفاخرا  
 فالكل يعلم كم انا عن المفاخرة بعيد. فانت ترى  
 ان ان امي لم نصب نكوارث. وذات يوم كانت  
 نمدحها في محضري عجوز رمني فقالت انها كانت  
 من المظافة على جانب كبير ففسحرا (٥) كل من  
 عاترنه. وقالت انها افشت لها مرة بكلام عن  
 ببس (٦) وكاد ذلك يؤدي الى حملها على معاطانه  
 علانية (٧) واشهرت بتجدد الغيات ونعت الشعر

(٥) بكرر المؤلف هنا التورية في كلمة 'سحر'  
 فيستعملها بالمعنى المجازي اي استمالة الارادة  
 وبالمعنى الحقيقي 'ي معاطاة السحر وهو المقصود  
 في الجملة التالية.

(٦) كان 'ليس' يعبر رمزا للشيطان. و'دابو'  
 -رووز ان الشيطان يتخذ شكل نيس حين يظهر  
 لساحرات ليجلنه

(٧) المقصود انه اشهر امرها بانها تعاطى  
 لسحر. وكان نعاظه في ذلك العهد من الجرائم  
 الخسرى.

واخفاً الشيب. فالبعض كانوا يسمونها مرقعة  
 للاذواق والآخرين جابرة لالارادات المضطربة.  
 وباسم سفيه بدعونها قوادة و فلوش. (8) لـ مال  
 الجميع. وكانت امي تسنمع مبتسمة الى كل هذه  
 الاقاويل فيزداد بذلك امتلاكها للخواطر والقلوب  
 ولن اتوقف لاصف ما كانت تأتي به من اماتة  
 وكفارة. فعرفتها التي لم يكن ليدخلها سواها  
 وانا ايضا - لان ذلك كان مباحا لي نصغر سني -  
 كانت محاطة من داخلها بالجماجم. وعنها تقول  
 انها لتذكيرها بالموت بينما البعض يقولون على  
 وجه الذم انها لممارسة السحر. وكان سريرها  
 منصوبا على حبال المشانق وكانت تقول لـ سي :

١٨ 'فلوش Flux لفضة تسنعمل في بعض انواع  
 اللعب بالورق وتدل على اجتماع كل الازواق  
 التي هي من لون واحد ومن اجتمعت لديه كان  
 هو الرابع فقولهم Hacer flux عمل فلوش، معناه  
 مجازا ذهب بماله ومال غيره دون ان يدفع  
 لاحد ما عليه



تأمل يا بني ! اني بذكرى هذه الحبال انصح  
 حديثي 'سحوا' من الوقوع فيها بالعيش كمن يحل  
 دقه على كنفه (٩) بحيث لا يمكن الاطلاع على  
 عماليهم ولو بأصغر الدلائل . وقد وقع نزاع كبير  
 بين والدي في فترت اية واحدة من حرفيهما بحب  
 ان 'نبح' أم 'نا' - وقد ساورني منذ صغري  
 افكار النمل والسنهامة - فلم اكن لاميل الى  
 واحدة منهما وشار والدي يقول لي : يا بني  
 ليست اللصوصية من الحرف البدوية (١٠) بل  
 'لعقبة' وبعد ان يسكت قليلا يتنهد ثم يضم يديه  
 ويتابع قائلا : ان من لا يسرق في هذه الدنيا لا يعيش

(٩) - حبل دقته على كنفه مثل اسباني قديم  
 عسده العيش وحشمة واحراس كما يفعل من  
 له عدو فانه يمشي ملفتا يميناً ويساراً .

(١٠) أنى المؤلف هنا بموربة في كلمة : mecanica  
 التي يمكن تأويلها على وجهين 'المشينة' و 'البدوية'  
 فالمؤلف الأول هو المناسب لوصف الناصب  
 والمؤلف الثاني هو المطلوب لمناقضة التعبير التالي .

ولماذا يكرهنا في ظنك الحكام ومأمورو القضاء بهذا المقدار  
فيقضون علينا بالنفي احيانا وبالجلد اخرى وبالشنق  
غيرها؟ اجل لا أقدر ان اقول ذلك دون ان نسيل  
دموعي - وكان الشيخ المسكين حين يصل في كلامه  
الى هذا الحد يبكي كالطفل متذكرا المرات العديدة  
التي رخت فيها اضلعه - لانهم حيث يكونون لا  
يرضون بان يكون من اصوص غيرهم ومعاونيتهم  
لكن الحيلة فنحننا من كل شئ فقي سباني طامًا  
كنت أغشى الكنائس، (11) وكم كنت حملت على  
الجمار (12) لو اعترفت في كرسي التعذيب. ولكنني

---

(11) لان الكنائس كانت تعتبر حرما فلا  
يمكن لمأموري السلطة دخولها للقبض على المجرمين  
الذين يلتجئون اليها. وهذه العادة ثم نزل مسعة  
في المغرب بشأن المساجد واضرحة الاولياء. فمر  
التجأ اليها اسنحال القبض عليه ما دام فينا.

(12) كان المحكوم عليهم بالجلد يطاف بهم  
راكبين على حمار. ويجلدون في الشوارع

لم أعرف (13) قط إلا في المواعيد التي تأمر بها  
 أمنا الكنيسة المقدسة. فهذا وممارسة حرفتي تكفي  
 أمك أنصرف عيش قدرت عليه . فنور حينئذ نائرة  
 أمي التي كانت تنال لقله مبلى الى معاطاة السحر  
 والسعوذة فتصبح قائلة: كيف تقول انك اعلتنى؟  
 الست انا التي اعلتك واهرجتك من السجن بحيلة  
 وأسعفتك نايال واذت فيه؟ وان لم نقر افكان هذا  
 من قلقاً نفسك ام بفضل ما سقيتك اياه من اشربة؟  
 أجل، ان الفضل لمواقيلي . ولولا خوفي من ان  
 يسمع كلامي خارجا لأبحت بتلك الحادثة حين  
 دخلت من المدخنة واهرجتك من السطح. ولو لم  
 تنفكك من شدة الضربات سبحة من اضراس الموتى  
 شئت نيم بديها لبالعت في القول لما كان يبدو  
 عليها من الغضب

---

(13) أتى المؤلف بصورة في استعمال كلمة  
 اء. ف افراد بها أولا اقرار المجرم بجريمته امام  
 السلطة ونافيا السر الكنسي المعروف وهو الاقرار  
 بالخطايا للكاهن

وبعد ان ضرب اسلم خيامه فوقهما قلت  
لهما اني عازم ان اسلك جادة الفضيلة واواصل  
السبر الى الامام بنو ابي الطيبة وطلبت منهما ان  
يدخلاني المدرسة لانه لا شيء ممكن بلا قراءة ولا  
كتابة فاستصوبا رأيي بعد ان تعامسا بشانه حينئذ  
ثم عادت امي الى تنظيم الاضراس في المسححة  
ومضى اني ليخلق لاحد زبائنه - حسبما قال -  
ولست أدري ان احينه او جيبه . وبقيت وحنى  
اشكر الله الذي جعلني ابنا لوالدين بلعا هذا الخد  
من المهارة والاهتمام بصالحى.

## الفصل الثاني

في ذهاني الى المدرسة وما وقع لي فيها

ما أصبح اليوم الباقي حتى كانت الكرامة  
بهدي وانخبرة مع المعلم قد نمت. فذهبت  
يا صاح الى المدرسة. فاستقبلني المعلم باشا وقال  
لي ان امارات الفطنة والادراك مرتسمة على  
وجهي فحملي قوله هذا على نأدية المدرس في  
ذلك الصباح نأدية حسنة لكي لا اخيب ظنه في  
وكان المعلم بحاسبي الى جانبه. وفي اكثر الايام  
زيت الجائرة لامي كنت اول من نصل وآخر من  
خرج فاقضي بعض الحاحات للسيدة - وهو اللقب  
لدي بطنه على زوجه المعلم - وبسبب هذه التملقات  
أصبح الجميع مدبنين لي وناغوا في احظائي فازداد  
نقبة الصمبة حسداً مبي اما انا فكنت أنصل  
بأساء الاشراف وخاصة باحد ابناؤن ألونصو

كوزونيل دي زونيغا. فاتحدنا اتحادا وثيقا وصرت  
أذهب الى داره في ايام الاعياد ورافقه في كل يوم  
واصبح الآخرون، اما لاني لم اكن احادثهم واما  
لانهم كانوا يعتبروني متعجرفا. يطلقون علي القبا  
تشير الى ابي. فالبعض يسمونني ضون ناباخا (1)  
والبعض الآخر ضون بنطوسا (2) وهذا يقول ثبربرا  
لحسده انه يكرهني لان ابي سرقت ليلا اخنيه  
الصغيرتين وذاك ان ابي قد استدعي الى داره  
لبنظفها من القبران قاصدا بذلك تسميه قطا (3)  
والبعض يصيحون بي حين امر بجانبهم ساني.  
(4) والآخرون مس (5)

وحاصل الامر انه بالرغم عن كل ما اعنابوني  
به لم تبلغني منهم اهانة قط والله الحمد واني وان

(1) Navaja اي الموس

(2) Ventosa اي المحجم

(3) اي لصا

(4) لفظة تستعمل لطرد القطط

(5) لفظة تستعمل لدعاء القطط

كنت أخجل مما يقولون فقد كنت احسن اخفا  
حولي محملا كل شيء الى ان نجراً يوماً أحد  
الاولاد على القول لي بصوت عال يا ابن الباغية  
الساحرة وبما انه لفظ تلك العارة بوضوح لا يترك  
محالاً للسكوت - اد لو انه قالها مهمة لغضضت  
انظر عنه - فما كان مني الا امسكت حجراً  
ورمته به ففجعت رأسه. ووليت راكضاً شطراً  
امي تتخبئني

وأخبرتها بكل ما جرى لي فقالت: نعم ما  
فعلت يا بني. وقد برهنت عمن انت وانما اخطأت  
في اعتقادك عن سوءه من قال له ذلك فحين  
سمعت كلام امي - وقد كنت أضمر دائماً افكاراً  
سامة - انفتحت نحوه قائلاً: آه يا أماه! انما يؤلمني  
اشد الألم ان بعض الذين كانوا حاضرين الحادثة  
قالوا لي انه لا داعي لعضي بسبب ذلك الكلام  
وهم سألهم ان كان ما يقولونه لي يرجع الى صغر  
عمر فائله ام نسب آخر. ثم رجوتها ان تحبرني  
دا كان يسعى ان اكذبه عن حق وان تعلمني

اذا كنت ابن ابى حقا ام ان في حبلها بى اشتراكا  
 لعدة رجال؟ فضحكت وقالت: خزيا لك! اهذا  
 القول نعرف ان تقول؟ او ابله انت؟ أجل ان  
 كلامك مدعاة للعبث ولقد احسنت صنعا حين  
 فججت رأسه واعلم ان هذه الامور وان كانت  
 صحيحة يجب الا يقال فهت كالميت حين سمعت  
 هذا الكلام وعزمت على حمل ما أقوى عليه ضمن  
 ايام قليلة ومغادرة دار والدى من سدة ما عمله  
 الحياء في نفسي غير انى اخفنت ما في خاطرى  
 وسار انى الى دار الصبى فضمه جراحه وهدهد  
 خاطره وردنى الى المدرسة حيث استقبلنى المعلم  
 بغضب تندب لم نخف تأثره الا بعد ان سمع  
 وعرف سبب المشاجرة فاعسر اذ اداك ان الحق كان  
 بجانبى.

وحلال هذا كله كان ابن ضور أوفى  
 دى رونسغا واسمه ديبغو لا ينقطع عن زيارتى  
 اذ كان يضر الى السود والعطف. فواصلت بيني  
 وسنه روابط الصداقة والاتحاد وصرت اعضيه



واعطيه مما أتغذاه دون ان اطلب منه مما يأكله  
واشتري له صورا واعلمه المصارعة والعب واياها  
لجنة الثيران واسليه دائما. فحين شاهد والداه  
مقدار فرحه برفقتي اصبحا يرجوان والسدى في  
اكثر الايام ان يسمح لي بالبقاء معه لاتغدى  
وانعشى وفي معظم الايام لانام الليل ايضا

وحدث ذات مرة في الايام الاولى التي عدنا  
الى المدرسة فيها بعد عيد الميلاد ان رجلا مشهورا  
بالاحتيال يدعى بنصيو دى اغيرى كان مارا في  
السارع فقال الى صون ديبغو : «ناده باسم بنصيو  
بيلاطو واطلق ساقيك للريح فناديته هذا الاسم  
ارضا لحاضر صاحبي. فما كان من الرجل الا ان  
غضب وجرى ورائي مجردا خنجره ليقتلني  
فاضطرت الى الالتجاء في هربي الى دار معلمي  
ودخل الرجل ورائي صائحا. فتقدم معلمي لحمايتي  
فقال من الرجل ان يغفو عن حياتي مؤكدا له انه  
سعاقدني عقانا صارما وهكذا كان بالرغم عن  
نوسلات زوجته وتوسطها من احلي لما كنت

أقدم لها من خدمات. فأمرني بنزع قميصي ثم  
 اخذ يجلدني ويقول بعد كل جلدة: أعود الى  
 القول بنصيو بيلاطو؛ فاجيبه. لا يا سيدي. ولقد  
 اجبته مثني عن كل جلدة جلدها ووجدت في  
 تلك الجلادات عبرة للتحامي عن ذكر اسم بنصيو  
 بيلاطو. ونشأ بسببها في نفسي خوف من التلطف  
 بهذا الاسم بحيث انه اد امرني المعلم في اليوم  
 التالي على عادته بتلاوة الصلاة على بقية التلامذة  
 حين وصلت الى قانون الايمان - وللاحظ حضرتك  
 مكري المري - وبلغت فيه حد قوته: «ونأله على  
 عهد بنصيو بيلاطو (6) نذكرت انه ينبغي ان لا  
 اعود الى لفظ كلمة بيلاطو، فقلت: منألم على  
 عهد بنصيو دي أعيدي، فحين سمع المعلم سدا جني  
 هذه ورأى الخوف المسحوذ على من أجله ضحك  
 حتى بدت نواجذه وعانقني واعتانني وعدا كتابا

---

(6) بنصيو بيلاطو او بيلاطوس البنتي هو الوالي  
 الروماني على فلسطين الذي صلب سيدنا يسوع  
 المسيح على هذه

بأنه يعفو عني في المرتين المقبلتين اللتين استحق  
فيهما الجلد فذهبت راضيا مسرورا

ثم اقبل زمن المرفع (١٦) فأمر المعلم بان تنظم  
لعبة املك الدبوك (٨١) نرد بها عن دفوس تلامذته  
ووقعت القرعة بين اني حشر منا فكان الحظ  
حليفي واوعزت لي والدي ان يدبرا لي اثوانا  
فاحرة. وحين اقبل اليوم المعين خرجت ممطيا  
سهوة جواد ذابل مصدور بحني رأسه كمن يسلم  
باحترام لا أدبا بل لعرج "لم بأحد ساقيه. وكان  
ذ كفل عاري الشعر قصير الذيل ككفل القردة  
وذا عنق يفوق طولاً عنق البعير ولم يكن في  
وجهه سوى عين واحدة على "نها بيضاء. وكان يقرأ  
على بدنه ما نحمله المكلف بتغذيه من تقشف

---

(١٦) هي الالبام الثلاثة السابقة لصيام النصارى  
وعند اموارنة هي الاسبوع السابق كله  
(١٧) هي لعبة تقوم بدفن ذبك مع نرأسه وعنقه  
فوق التراب ثم نعصب حينا احد اللاعبين وعليه ان  
يتقدم اداك في مسافة ما باحسا عن الديك والسيف في يده

وصوم وما قام به من غش في شرائه له العلف. فبينما كنت سائرا على متنه ارتجح دينا ويسارا كفرنيسي (١) في سيره وبقية الاولاد ورائي بزينةهم مررنا بساحة البلدة - ان بدني يقشعر لمجرد ذكرها - وحين وصلنا الى موائد البقالات - نجانا الله - خطف حصاني كرنبا لواحدة منهم وباسرع من البرق ارسله الى امعائه حيث لم يصل في تدرجه داخل حلقومه الا بعد وقت غير بسير فاخذت البقالة - وكلهن كما تعلم سفيهات - تزيط. ثم وصلت الاخريات مصحوبات ببعض الشطار ، رافعات جزرات كبيرة وسلاجم ضخمة وباذنجانات وغيرها من البقول. وشرعن بمطاردة الملك المسكبن. اما انا فحين رأيت انها معركة سلحبية ليس لي ان

(١) الفريسيون جماعة من اليهود كانوا بتظاهرون بالنقشف والعبد ويتمسكون بظاهر السريعة عابثين بروحنا وكثيرا ما حمل عليهم سيدنا يسوع المسيح كما نرى في الانجيل المقدس. وقد اصبحت كلمة فرنيسي، في الاسانبة مرادفة لنافق

اشارت فيها راسها اردت ان اترجل. لكن حطاني  
 خلقى ضربة عنيفة في وجهه وهو يحاول ان يشبو  
 فاذا به يهوي بي - حاشاكم - في احد المراحض  
 وثركني كما يوسعك ان تصور وكان فنياني قد  
 تسلحوا بالحجارة وشرعوا بمطاردة البقالات ففجوا  
 رأس اثنين منين اما انا فقد اصبحت بعد سقوطي  
 في المرحاض اكثر من يحتاج اليه في المشاجرة.  
 ثم قبل مأمور العدالة فقبض على البقالات والصبيان  
 وفش تم يحملونه من الاسلحة فزعتها منهم حيث  
 ان البعض منهم كانوا قد جردوا خناجر وسيوف  
 صغيرة من التي جاؤوا بها للمرينة. وحبز وصل  
 وانه بر معي ابي سلاح. لانهم كانوا قد نزعوه عني  
 ووضعوه في احد المنازل مع المعطف والقبعة لنشف.  
 طلب مني سلاحي فأجبته. والوساخة فحليني. ان  
 لا سلاح آخر لدى اذ كان هذا لا يؤدي الانوف.  
 ولا ند لي ان اخبرك عرضا انه حين بدأت  
 يرميني بالباذنجان والسلمج وبقية البقول ظننت  
 اذ كنت احمل ريساقي قبعتني انهن اعتبرنني والدتي

وانهن يرمينها عن قصد كما فعلن مرارا أخري.  
فأخذت اصيح على بلاهتي وطفولتي قائلا: يا  
اخواني اني وان كنت أحمل ريشا لست الدونضا  
سانورنو ني ريبوبو والدتي كما لو انهن لم  
يكن ليرين ذلك من قامتي ووجهي. لكن الخوف  
ووقوع المصيبة فجأة معذرة لجهلي

ولنعد الان الى مأمور العدالة فقد اراد سوقي  
الى السجن لكنه لم يفعل لانه لم يجد في ممسكا  
من حرّ سقّتي ونوحلي. فذهب البعض من جهة  
والاחרون من جهة اخرى وعدت من الساحة الى  
داري معذبا انوف كل من اصادفهم في طريقي.  
وما كدت ادخلها واخبر والدي بما حدث حتى  
غضبا غضبا شديدا وهما بضربي لما رأاني عليه  
من سوء حالة، اما انا فكنت القى السبعة على  
الحصان الذي اعطيته محاولا ارضاها، وحين  
رأيت محاولتي فاشلة خرجت من الدار منوجها  
الى دار صديقي ضون ديبغو فوجدته قد اصيب  
بجرح في رأسه. وقد عزم والداه لسبب ذلك على

إلا يرسله فيها بعد إلى المدرسة وهناك أخبرت  
 أن حصاني حين رأى نفسه في ضيق حاول أن  
 يرفس لكنه من ضعفه الزائد انقطع كفله وبقي  
 في الوحل على شفير الهلاك. واذ ابصرت العيد قد  
 بعكر صفوه والبلدة في هرج ومرج ووالدي قد  
 فارت فائرتيما وصديقي قد فح رأسه وحصاني قد  
 ماتت عذمت ألا أعود أبداً إلى المدرسة ولا إلى دار  
 والدي. وقررت أن أبقى في خدمة ضون ديبغو أو  
 بالآخرى في صحبته وذلك برضى والديه التام لما  
 كانوا يرئاه من ولائي نحو القى. فكتب إلى  
 والدي معلماً إياهما بأنني لم أعد بحاجة إلى الذهاب  
 إلى المدرسة لأنني وإن كنت لا أحسن الكتابة فذلك  
 لا يضيرني لأن المطلوب في محاولة النخلق باخلاق  
 الفرسان هو ألا نجسها المرء. ولذلك اتخلى عن  
 المدرسة أصري. لا أحملها نفقة وعن دارهما لاوفر  
 عليهما المتاعب. وأعلمتهما بمقرى الجديد والشروط  
 التي تقبست فيها وبأنني لن أراها حتى ألقى منهما  
 أدنى ذلك.

## الفصل الثالث

في دهانبي الى مدرسة داخلية بصفة خادم

لضون ديفغو كورونيل

وعندئذ عزم ضون ألونصو على إرسال وئده  
الى مدرسة تقبل طلاباً داخلين لسعد من جهة  
عن حماة الرفاهية وليوفر على نفسه مشقة القلق  
عليه من جهة اخرى وعلم ان في شقوبية كاهنا  
اسمه كبراء (1) منصرفا الى تربية أبناء النسل.

(1) كابرا Cabra. وبشهر ان الكاهن الذي  
وصفه كيبيدو هنا قد وجد حبة. وبستدل على  
ذلك برسالة بعثها الى المؤلف صديقه خوان آدان  
دي لابارا وفيها يقول: طلعت شقوبية... وكم  
بطول بي القول عما ضحكته حين زرت الارب  
كابرينا. ولقد احدث تصويره لكسه لم بعد الان



فارسل اليه ابنه وارسلني معه لإرافقه واخدمه.  
 فسقطنا يوم الاحد الجديد (٢) بين يدي الجوع  
 المحسوس لأن ذلك المؤس لا يقبل الزيادة وكان  
 لأب كبيراً كالسلطان. بلوبل الغادة لا غير صغير  
 الرأس. اشقر الشعر، ولا يحتاج إلى زيادة في التعريف  
 به من يعرف مثل القائل لا قط ولا كلب من ذلك  
 اللون وكانت عيناه قرينين من قفنه فيبدو كأنه  
 نطلع من وراء مقطفين ومن شدة غورهما  
 وسوادهما يصلح موضعهما ان يكون حانوتا لأحد  
 التجار وقد اكلت انفه بنور انتجها الزكام وهي

---

متابعا للصورة التي رسمتها له لأن المسكين قد  
 ردت حاله سوءاً واصبح على شفير الفناء بحيث  
 ندعو إلى الشفقة. وحين علم انه الملعون الذي صور  
 في فصلك قال لي انه أولى بك ان تكون أكثر مروءة  
 وأقل عتوقاً ولم يبق للمسكين تلامذة الآن وليس  
 بوسع ان يقيم القديس. وانما هو هيكلي عظمي  
 يعيش مما وفره في ابامه البيضاء.

(٢) هو الاحد الاول بعد عيد الفصح او القيامة

ان لم تكن ثمرة الرديلة فلان في ذلك نفقة. 'ما  
 اللحية فقد فقدت لونها خوفا من الفم المجاور الذي كان  
 يبدو من الجوع المضنى كانه يهددها بالاقتراس.  
 والاسنان ينقصه معظمها واظن انها نفيت من  
 ذلك المكان لتكاسلها وتقاعدها عن العمل (١٣)  
 والعنق طويل كعنق النعامة مع جوزة ناتئة كانها  
 نستعد لمعادرتها سعيا وراء غذائها بعد ان احدثت  
 بها الفاقة، والذراعان ناشقان واليدان كرزمة من  
 الزرجون. واذا تطلعت الى نصفه الاسفل حلته  
 شوكة او بركار، طويل الساقين هزيلهما، بطيء  
 السير. اذا غضب قليلا سمع لعظامه قرقرة كقرقرة  
 الواح سان لازارو (١٤) وان تكلم صعد الكلام من

---

(٣) كان النفي من العقوبات المفروضة على  
 اذك على المتشردين الكسالى  
 (٤) الواح سان لازارو هي الواح ثلاثة تحمل  
 مربوطة بخيط يمر في ثقبين وتمسك اللوحة  
 الوسطى ونحرك فتحدث قرقرة، وتسمع لاسجداء  
 الصدقات لمستشفيات سان لازارو

صدره: كبير اللحية لم نمسها قط بد الحلاق نجسنا  
 لانفاق. وكان يقول انه بفضل الموت على ان يرى  
 بد الحلاق على وجهه لما يحدثه هذا الامر من كره  
 في نفسه. لما شعر رأسه فبحره له احد الطلاب. وفي  
 الانام الشمسيه بلبس قلنسوة العمة القيوب مزينة  
 بالدسم خلت من شيء كان فيما مضى جوحا  
 ومبطنة بالحزارة فكان البعض يقولون عند رؤيتها  
 عاربة من السعر انها من جلود الضفادع والآخرين  
 انها من فسيح الوهم. فتشير عن قرب سوداء وعن  
 بعد مائلة الى الزرقة. وكان يرئديها بدون رنار  
 ولا قلسب ولا اردان فنوح بشعره الطويل وجنته  
 القصيرة المتدلة كما انه من خدام الموت. اما نعلاده  
 فكل منهما كان كافيا لان يكون احدا لفلسطيني  
 ادا وما عن مسكنه فما ذا نقول؟ انه كان خالما  
 حتى من العنكبوت وكان يبعد الخبران عنه خوفا  
 من ان تقرض له بعض الكسر الني يحتفظ بها

ادا كان يقال عن شخص انه فلسطيني ادا  
 اريدت المبالغة في ضخامة جسمه

ومن الأرض اتخذ سريرا مد فوقه الفراش فينام دائما  
على جانب واحد ثلثا ينف المقيام. وبالاختصار كان  
صاحبنا غاية في الفقر ومثالا للبؤس. فبين بدي هذا  
الرجل وقعت أنا وضون ديفغو وفي ليلة وصولنا دلتنا على  
عرفنا والقي علينا عطة قصيرة لم يخلها ثلثا يسرف في  
الموقت. وأشار علينا بما يجب ان نعمله وشعلنا بهذا  
حتى ساعة الغداء وحينئذ دعبنا الى قاعة الاكل  
ولدت العادة ان تاكل الاسياد اولاً نبساً نقود نحن  
الخدام نخدمهم ولدت الفاعة المذكورة عبارة عن  
غرفة ضيقة وقد تجمع حول مائدة واحدة خمسة  
اشخاص واول ما بحثت عنه عيناى في تلك العرفة هي  
القطط ولما لم ارها سالت عنها حادما قدسما ترى  
عليه الهزاه علامات الإقامة في ذلك الموى فانسق  
علي عند سماعه هذا السؤال وقال كيف نسأل  
عن القطط؟ فمن اخبرك ان القطط تحب "صوم  
والنفسف؟ اجل ان سمك بدل على حداثة عهدك بهذا  
المكان فحين سمعت هذا القول بدأ العم ندب  
الى نفسي وارددت خوفا حين رايت ان جميع من

سبقونا إلى سكنى هذا المنوى كانوا شامخا سف  
 كان وجوههم قد طليت بمراهم (الدياكيلون) (6)  
 فجلس الاب كائرا والقي البركة ثم اكل الحاضرون  
 اكلة ابدية لا أبدا لها ولا نهاية فجي أولاً تمرق  
 في قصاع من الخشب لو اكل نرسيسو (7) في  
 واحدة منها لكان من سمها ذلك المرق في خطر  
 اشد من من خطر العذرة ولا حست مغنما ان الاصابع  
 الهربلة كانت نسبح سعيها وراء حمة ينيمة وحيدة  
 كانت في قعر القطة وبعد كل حسوة يقول

(6) الدياكيلون مرهم كان يستعمل في  
 الجراحات لالة الدمامل

(7) نرسيسو Narciso في المينولوجية هو ابن النهر  
 بنفسو Celiso وعروس الماء ليريوبيا Liriopea وكان  
 غاية في الجمال لكنه لم يفتح قلبه لعواطف الهوى  
 وفروى الاسطورة انه وقف ذات يوم جانب غدير  
 صفا مأود كالبلور فابصر صورته معكوسة فيه وفتن  
 بجمال ذاته ايما افتنان وعطس ذراعيه في الماء ليقبض  
 تلك الصورة التي طنها لشخص آخر

كأجرا الحق يقال انه لا شيء كـالقدر (٨) مهما  
 تقول المنشدقون: وما عداها رذيلة ونهم وما كاد  
 يفرغ من تردد هذه العبارة حتى جرع ما في القصعة  
 دفعة واحدة قائلاً: هذا كله عافية وذكاء فقلت  
 في نفسي: «قانتك الله (٩)» حين رأيت غلاماً هزيراً  
 كأنه جاء من عالم الأرواح وبين يديه صحيفة فيها  
 لحم كأنه قطعة من بدنه. ونقربه لفظة مغامرة.  
 فقال المعلم: ألفت لذلك؟ أجل، انه لا بطيب لي

(٨) كلمة Olla في الإسبانية تعني في الأصل  
 القدر وهو الإناء المعروف لكننا اطلقت ايضاً على  
 اكله تتركب من لحم وشحم وخضر وحمص وبقاها  
 يضاف اليها شيء من المقانق توضع كلياً في قدر  
 ويغلى حتى تطيب. وهي الأكلة الوطنية الشعبية  
 في اسبانيا الى يومنا هذا.

(٩) اتى المؤلف تنويرية في كلمة ingenio  
 فاستعملها أولاً بمعنى ذكاء، ونابياً بمعنى حيلة  
 فآثرنا تعريب الجملة الثانية بقولنا «قانتك الله  
 وهو المقصود.

جبل مثلها . كلوا فان صدري لينشرح حين  
أراكم تأكلون ثم وزع على كل واحد منهم  
قدرا ضئيلا من اللحم بحيث نفذ في ثلثي ما أصاب  
كل واحد بين ما التصق بأظافره وعلق بين أسنانه  
وأثناء هذا كان كائرا يتطلع اليهم قائلا: كلوا  
فإنكم ثقيان ويسرفي إن أرى فيكم هذه الشهية،  
فتأمل اسلحك الله ما أحسنها من ثوابل لمن  
كانوا يتثأبون جوعا.

وأخيرا فرغوا من الأكل وبقيت فوق الخوان  
بعض الكسر وفي الصفحة بعض الألب والعضام.  
فقال المعلم: فليبق هذا للمخدم إذ من حقهم أن  
يأكلوا أيضا ولا نأكله نحن كله أما أنا فكنت  
أقول في نفسي . بلاك الله وما أكلته بسوء يا شقي!  
فيأله من تهديد رميت أمعائي به . ثم القى البركة  
وقال: فلنترك المكان للمخدم واذهبوا حتى الساعة  
الثانية وروضوا أجسامكم لئلا يضركم ما أكلتموه،  
فلم اتمالك حينئذ من الضحك ملء شدقي وغضب  
المعلم غضبا شديدا وقال لي إن تعلم الخشمة وزرد

على مسامعي ثلاث او اربع حكم قديمة وذهب الى  
حال سبيله. فجلسنا نحن وحيث رأيت النصفقة  
خاسرة وامعائي تطلب الانصاف هجمت على الصفحة  
بصفتي اكبر الخدم واقواهم كما هجم الآخرون  
ولقمت من الثلاث كسر اثنتين والاهاب الوحيد  
الذي كان فيها فاخذ البقية يدمدمون متدمرين  
فدخل كابرا حين سمع الجلبة وقال «كلوا  
كالأخوة فان الله قد رزقكم ما تأكلونه متحابين  
ولا تنازعوا فان لديكم ما يكفي الجميع ثم عاد  
يتشسس وتركنا وحدثنا. هذا وانى اؤكد لحضرتك  
انه كان بين الخدم واحد من بسكاياسه سري  
بلغ به نسبانه كيف يؤكل ومن اين انه رفع  
كسرة اصابته الى عينيه مرتين دون ان يصيب  
في توجيه يديه الى فيه. ثم طلبت ان اشرب  
حيث ان الباقيين الذين كادوا يكونون ضائمين  
لم يطلبوا ذلك. فاعطوني كأس ماء وما كان  
الكأس بمسر شفتي حتى كانت يد الغلام المستحيل  
روحا الذي نكست منه سابقا بسند اليه وتأخذ



منى كما لو كان ما مقدسا فقامت والغم يسلا نفسي  
حين رأيت اني في دار يشرب فيها الفم نخب  
الامعاء فتعجز هذه عن مقابلته بالمثل (10)

وشعرت بحاجة الى التبرز وان لم اكن قد  
اكلت فسألت احد الاقدمين عن المرحاض فقال:  
لست ادرى اذ ليس في هذه الدار من مرحاض وعلى  
كل حال ان برازا تبرزه مرة واحدة طيلة اقامتك  
هنا يمكنك ان تخرجه اينما كان ، فهأنذا قد مر  
عني شهران في هذه الدار ولم احتج الى ذلك سوى مرة  
واحدة يوم دخولي كما فريد ان تفعل أنت الان  
وذلك مما تعشينه في داري عن الليلة السابقة .  
فكيف أصف ما استولى علي من الحزن والغم حين  
سمعت هذا القول اجل لقد كان ذلك عظيما الى  
حد اني بعد ان تأملت في ضآلة ما دخل جسمي  
لم أحرأ بالرغم عن رغبتني بابرار شيء مما في داخله .

---

(10) اي ان ما يدخل الفم قليل بحيث لا يصل  
الى الامعاء فليذا لا تقدر هذه ان تقابل من يشرب  
نحبها بالمثل

تسلينا حتى حلول الليل، وكان ضون ديفغو يسألني اثناً ذلك عما نساء ان يفعل ليقنع معدته بأنها اكلت لانها لم تكن لتصدق. وكانت تطوى الساعات خاوية في تلك الدار كما كانت تقضيها متخومة في دار اخرى. واخيرا اقبلت ساعة العشاء لان ساعة العصر مرت دون ان يأتي احد على ذكر العدوقة. فتعشنا اقل مما تغذينا به بكثير ولم يكن في العشاء لحم عجل بل قنبر مشوي من اسم المعلم (11) ونأمل رعاك الله اذا كان البس نفسه يقدر على ابتداء امر كهذا فقد كان المعلم يقول في العشاء الخفيف صحة البدن لان المعدة تبقى عاطلة، ويتبع قوله هذا ثلاثه لا نهاية لها من اطبا الجنسيتين ويكثر الثناء على الحمبة قاذلا اننا تنفي عن المرء الاحلام المرعجة لعلمه ان من في داره لا يمكنهم ان يجلموا بشيء آخر سوى انهم ياكلون. فتعشوا ونعشنا جميعا ولم يتعش أحد.

(11) اي من لحم الماعز لان المعلم اسمه كابرأ

Cabra ومعناها ماعز

ثم سرنا لترقد لكن مضى الليل ولم تغمض لنا  
عين لا لي ولا لضوء ديفغو. اذ كان هو يهسى  
شكواه الى والده طالبا منه ان يخرج من ذلك  
المكان وأنا انصح ان يفعل ذلك وان كنت في  
الاخير قد قلت له «أتعلم يا سيدي علم اليقين  
ان كنا في عالم الاحياء؟ لانى أتصور اننا قتلنا في  
مناوشة البقالات وانما نحن الان أنفس نتعذب في  
المظهر. وعاميه ارى انه من العبث ان تقول لأبيك  
ان بخرجنا من هنا اذا لم يقم احد بالصلاة من  
أجلنا بسبحة ذات حبات كبيرة ويخلصنا من العذاب  
بتقديمه قداسا يقام في مذبح مميز بغفران كامل،  
وبين هذه السمرات والقليل الذي رقدناه  
حانت ساعة النهوض اذ دقت الساعة السادسة  
فننادانا كابرا الى الدرس. فذهبنا واصغينا اليه  
جميعا. اما انا فقد أصبح خلى وخاصرتاى تسبح  
في داخل القميص. والسراويل تتسع لسبع سيقان  
مثل ساقى وعلت الحرامه اسنانى فبرزت صفراء  
مجلبة ناليس. وامرت بقراءة الفاعل الاول على

مسمع من بقية التلامذة. لكن جوعي كان كبيرا  
 بحيث فطرت بنصف المصلمات ولن يتردد في  
 تصديق ما أقوله من عرف ما حكا لي غلام  
 كبيرا إذ قال لي إنه رأى بأمر عينه جوادين  
 فريسيين (12) دخلا إلى تلك الدار وخرجا بعد  
 يومين ضامرين رشيقيين يطيران في الجو سرعة.  
 وأنه رأى دراوس غليظة ادخلت إليها أيضا ثم  
 خرجت بعد ثلاث ساعات وقد صارت ملوقة  
 عداة. وأنه في مدة الصوم رأى مرة أناسا كثيرين  
 منهم من ادخل رجليه ومنهم يديه ومنهم جسمه  
 كله في رواق الدار مستمرين على تلك الحالة  
 برهة عير وجيزة، وأن أناسا كثيرين غيرهم كانوا  
 يفدون من الخارج لهذه الغاية فحسب، وسألته مرة  
 عن ذلك لأن كبيرا قد غضب لسؤالي إياه فقال  
 لي أن منهم من هو مصاب بالجرب ومنهم من

---

(12) أي آتين من فرسسيا أو بنمبان. أو  
 ذلك النوع من الخيل التي تسار بقوة بالقوائم  
 وعرضها.

به تورم من البرد وبوضعهما في تلك الدار يموتان  
جوعا بحيث لا يأكلان بعد ذلك اليوم (13) وقد  
أكد لي أن ذلك صحيح. وأنا الذي عرفت الدار  
أصدق ذلك القول. وأقول هذا لكي لا تعتبر  
كلامي من باب المبالغة

ولنعد الآن إلى الكلام عن الدرس. فقد  
ألقاه المعلم علينا ثم رددناه كلنا معا. وعلى هذا  
النمط الذي وصفته واصلت العيش. وإنما أضاف  
كأبرا شيئا من شحم الخنزير إلى أصالة  
المرق بسبب شيء لم أطلع عليه قيل له خارجا عن

---

(13) الجرب والتورم الناشئ عن البرد  
Sabañones مرضان ينتشران في الجسم بسرعة كأنهما  
يأكلانه. وعن ذلك نشأ في الإسبانية مثل قديم  
فيقال «أكل من التورم الناشئ عن البرد وهذا  
ما سمع للمؤلف بالتلاعب في الكلام فشبّه المريض  
بشخصين أكولين إذا أدخلوا دار كأبرا هلكا  
جوعا ولا يأكلان فيما بعد جسم المريض

صفاً نسبة (14) ولأن عنده حنيديق من الحديد كله ثقوب كالصفاء. فيفتحه ويضع فيه قطعة من شحم الخنزير. ثم يشده ويدليه مربوطاً بخيط داخل القدر ليتسرب اليها شيء من المرق من خلال الثقوب ويبقى الشحم لليوم التالي (15) ثم : ان

---

14) كان اليهود الهتدون حديثاً الى النصرانية يحفظون بشيء من الكره نحو لحم الخنزير واذا كانت تنكر عليهم صفة القدم في الديانة المسيحية وفي ذلك تحقير كبير

(15) ورعموا انه (اهل خراسان) ربما ترافقوا وتراملوا تناهدوا وذلارموا في شراء اللحم واذا اسبروا اللحم قسموه قبل الطبخ واخذ كل انسان منهم نصيبه فشكه بخرصة او بخيط ثم ارسله في خل القدر والتوابل فاذا طبخوا تناول كل انسان خيطه وقد علمه بعلامة ثم اقتسموا المرق ثم لا يزال احدهم يسأل من الخيط القطعة بعد القطعة حتى يبقى الحبل لا شيء فيه ثم يجمعون خيوطهم فان اعادوا الملازمة اعادوا تلك الخيوط لانها قد

له فيما بعد ان في هذا تذكيراً كبيراً فاكتفى  
 بان يجعل قطعة الشحم تطل على القدر الحلالاً.  
 فعلى هذه الحالة كنا نقضي الأيام كما يمكنك  
 ان تصوره وقد بلغ الامر بي وبضوء دينغو اننا  
 حيث لم نجد سبيلاً للاكل فتشنا عن طريقة  
 نمكننا من ألا نقوم في الصباح فصرمنا على النمارض  
 لكننا لم ندع السخونة لانه اذا لم تكن انكشفت  
 الخديعة سهوثة. وان ندع الماء في الرأس او في  
 الاضراس لم يعتبر هذا الالم عائقاً كافياً للإزالة  
 الفراش فقلنا اخيراً اننا مصابون بالأم في الامعاء  
 لاننا لم نبرز منذ ثلاثة أيام مؤملين ان المعلم ان  
 يبحث لنا عن دواء حرصاً على ألا يصرف فلسين  
 لشرائه. لكن الشيطان دبر الأمور بالعكس حيث  
 انه كانت لديه وصفة ورثها من ابيه الذي كان  
 حيدلياً فحين عرف دائماً هيأ حقنة ودعا عمته وهي  
 تجاوزت ثلث السبعين من العمر وقال لها ان تضعها

تشربت الدم. (الجاحظ: كتاب البخل ص 24-25)  
 طبعة ليدن سنة 1900

لنا وبدأوا بضون ديبغو فخرجل المسكين وارثيك  
وبدلا من ان ترميها العجوز في الداخل رمتها بين  
القميص وفقار الظهر وبلغت قفاه وهكذا جاء زينة  
في الخارج ما كان معدا لان يكون بطانة فبقي  
الفتي بصيح وعندئذ جاء كائرا وحين رآه امر بان  
احقن بانباقي ثم تعاود الصخرة مع ضون ديبغو.  
وكنيت أرندي ثيابي اذات. لكنه لم يجدني نفعا  
اذا مسكني كائرا واشخاص آخرون وحققني العجوز  
بالحقنة لكنني ارحعتها لها حالا فاصبتها في وجهي  
فغضب علي كائرا غضبا شديدا وقال انه سيطردني  
من ديره اذ قد اتضح أن كل ما ندتيه انما هو  
خداع صرف لكن لم يشأ سوء طالعي أن يطردني  
فانبغنا ضون انصو شكوانا لكن كائرا كان  
يحملة على الاعتقاد باننا انما نعمل ذلك تهريا  
من حضور الدرس. ولذلك لم نجدنا النوسلات  
نفعا ثم اتخذ المعلم تلك العجوز لتطبخ وتخدم التلامذة  
وصرف الخادم لانه رأى معه يوم الجمعة صباحا  
بعض فئات من الخبز. أما ما تحملناه من هذه



العجوز فلا يعلمه إلا الله. إذ كانت صماء لا تسمع  
 شيئاً البتة. وتفهم بالإشارة، عمياً كثيرة، الصلاة إلى  
 حد أن سبحتها تفككت يوماً فوق القدر فجاءتنا  
 بيا صحبة اتقى مرق كlette فاخذ البعض يقولون  
 نعله حمص اسود. ولا شك أنه جى به من الحبشة.  
 ويقول الآخرون أ يكون حمصاً في حالة الحداد؟  
 من منتهى، وأما سيدي فقد ابتلع إحدى الخرزات  
 فاذكسرت واحدة من أسنانه وهو يعضها. وكان  
 من عادتيا أن تقدم لنا يوم الجمعة بيضا مكسوا  
 بقدر من الشعر المتساقط من رأسها يؤهله  
 لممارسة الحمامة (16) إذ كان من الأمور العادية  
 اتخاذ الرفش الصغيرة المعدة لنقل الجبر بدل المغرفة  
 وإرسال جفنة من المرق مبلغة بالخصي. وقد عثرث  
 ألف مرة في القدر على هوام وتودان ومشاقة مما  
 كانت تغزله فالتهمته كله ليدخل الأمعاء ويزيد في  
 حجم الداخل إليها.

---

(16) كان من عادة المحامين في ذلك العهد

أرخاء لحاهم

وهكذا قضينا حتى حلول الصوم وفي مطلع  
سقط احد الرفاق مريضا وامتنع كائرا عن استدعاء  
الطبيب حرصا على المال حتى اصبح الفتى يطلب  
الاعتراف اكثر من كل شيء آخر. وحينئذ استدعي  
احد المعالجين وبعد ان جس نبضه قال ان الجوع  
سبقه الى قتل ذلك الرجل (17) ثم جاءوه بالقربان  
الاقديس وحين شاهده المسكين - وكان قد مر  
عليه يوم كامل دون ان ينبس ببنت شفة - قال  
يا سيدي يسوع المسيح! لقد كان دخولك الى هذه  
الدار لازما لاقتنع بانها ليست هي الجحيم، فانطعت  
هذه الكلمات في قلبه. ثم لفظ الفتى المسكين  
النفس الاخير. فدفناه في جنازة حقيرة لانه كان  
شريفا. وبقينا كلنا مدهوشين. وانتشر الخبر الفظيع  
في المدينة كلها وبلغ مسامع ضون الوئصو كورنيل.  
وبما انه لم يكن له سوى ابن واحد زال اغتراره  
اذاك بقساوة كائرا واخذ يعير اذنا صاغية الى  
كلام شبحين - اذ كنا قد بلغنا هذه الدرجة من

---

17) تيمكم قاس على اطباء ذلك العهد

الهزال. فجاء ليخرجنا من تلك المدرسة وكان يسألنا  
عن انفسنا ونحن بين يديه وقد شاهد من حالتنا  
ما حمله على الاعلاظ في القول للمعلم (بيخيليا) (18)  
وأمر بنا فحصلنا على كرسيين الى الدار وودعنا  
رفاقنا الذي كانوا ينبعونا نرعبائهم واعينهم  
مصعدين التاوهات التي بصعدها الاسير الذي يبقى  
في الجزائر (19) حين يرى رفاقه يغادرون الاسر

---

(18) سماه هنا بـ *vigilia* ومعناها في الاسبانية  
التنحس او الانقطاع عن اكل اللحوم والبيض والحليب  
مبالغة في وصفه بالشح اي انه جسم التنحس فيه.  
(19) كان اسم الجزائر في ذلك الزمن مقرونا  
الى فئاتع الاسير لانها كانت اعظم قاعدة للمقرصان  
ومن جملة من وقعوا بين ايديهم في الربع الاخير  
من القرن السادس عشر امير الادب الاسباني  
ميغيل دي سرفانطيس وبقي في الاسر خمس  
سنوات.

## الفصل الرابع

في تعافينا وذهابنا للدراسة في قلعة هناريس

-----

دخلنا دار ضون الونصو فالقونا على سريرين  
بعنية كبيرة لثلا تنبدد عظامنا النى أضناها الجوع  
وجاؤوا بكشافة يفتشون عن اعيننا في الوجه كله  
'ما انا وقد كان تعبى اكثر وجوعى اشد - اذ  
كنت على كل حال اعامل كخادم - فقد مضت  
برهة غير يسيرة قل ان يعثروا على عيني. ثم  
جاؤا ناطباً فأمرُوا بان ننظف بمسافر من ريش  
كما ننظف الروافد (1) التى وراء المذابح. والحق  
نقال اننا كنا معذبين ولا عذاب الشهداء وأمرُوا

---

(1) أتى المؤلف هنا بتورية في كلمة retablo  
التي معناها رافدة وراء المذبح، ومنها التعبير  
retablo de duelos أي رافدة الآلام الذي معناه معذب

أيضا بان دعلى مرق الدجاج. اه! من لي بمخبر  
اول لعوق واول طائر بالشموع التى اوقدتها  
امعاؤنا فرحا اذ كل شيء كان عندها جديدا.

وأمر الاطباء ان لا يرفع احد صوته في غرفتنا  
مدة تسعة ايام لان معدتنا كانت خاوية تبين يسمع  
في داخلها صدى كل كلمة تلفظ.

فبهذه العناية وغيرها بدأنا بسترجع الحياة.  
غير ان فكوكنا لم تكن لتقوى على التحرك اذ  
كانت سوداء ثابتة. فاشير بان يعدلوها لنا كل  
يوم بواسطة يد الهاون. وبعد اربعة ايام بدأنا نخطو  
بعض الخطوات ولما نزل كأشباح رجال آخرين.  
وبنحولنا وهرالنا كنا كأننا من سلاة نساك  
الصحاري.

وكنا نقضي النهار في رفع نشكراتنا الى الله  
الذي فكنا من اسر كابر الغشوم وننوسل الى  
المولى عز وجل الا يسمح بوقوع واحد من النصارى  
بين يديه القاسيتين واذا حدث اثنا الاكل ان  
قدكرنا ما كنا نطعم في دار المعلم ازداد جوعنا

ازديادا تتضاعف معه نفقة ذلك اليوم. وكثيرا ما  
كنا نقص على ضون الونصو كيف كان يقبح لنا  
النهم حين يجلس امام الخوان مع انه لم يعرفه  
قط في حياته. وكثيرا ما بققه حين نخبره بانه  
كان يدخل ضمن الوصبة الالهية القائلة لا تقتل  
الحجال والديوك وكل ما لا يريد ان يعطينا اياه  
وكنتيجة لـ هذا الجوع نفسه اذ بظهر انه  
كان يعتبر من الخطايا لا قتل الجوع فحسب بل  
وتربينه حسما يؤخذ من طعامه.

وهكذا انقضت ثلاثة اشهر واخيرا عزم ضون  
الونصو على ارسال ابنه الى قلعة هناريس ليتم  
دراسة النحو. فسألني عما اذا كنت اريد مرافقته  
ولم أكن لأرعب الا في الرحيل عن ارض يسمع  
فيها اسم ذلك اللعين مضطهد الحشا. فعرضت عليه  
ان اكون خادما لابنه وعين له احد الخدما قهرمانا  
يدبر شؤون الدار ويقدم له حسابا عما ينفق من  
المال الذي كان يرسله لنا بحواليات على رجل  
اسمه خويبان مرلونا. ووضعنا الامتعة في عجلة

رجل يدعى ديفغو مونخي وكانت تتألف من  
 سرير نصفي وسرير آخر من امراس في اسفلها  
 دواليب لتوضع تحت السرير الاخر الذي كان  
 اى والمقهرمان المسمى اراندا ومن خمسة فرش  
 وثمانى ملاحف وثمانى مخدات واربع بسط وصندوق  
 يحتوى على الملابس الداخلية والسمط وبقية عفاش  
 الدار. وركبنا نحن في عربة عند الاصيل قبل  
 الغروب بساعة ووصلنا عند نصف الليل الى خان  
 «بيبيروس» (2) لا بارحته اللعنة وكان صاحب  
 الفندق طرارا من الموريسكوس (3) فبالغ بالحفاوة

---

(2) خان «بيبيروس» Venta de viveros . كان  
 هذا الخان قائما على الطريق بين مدريد والقلعة  
 فيحل فيه الطلاب في ذهابهم وايابهم. وقد اشتهر  
 بما كانوا يقومون به فيه من مداخلات. وورد  
 ذكره في عدة مؤلفات هزلية من ذلك العهد  
 (3) الموريسكوس الاسم الذي اطلق على بقايا  
 المسلمين في الاندلس. ثم ظل مستعملا لمن اعتنق  
 منهم النصرانية

بنا. وبما انه كان على اتفاق مع رجال العربدة - الذين وصلوا بالامتعة قلنا اذ كنا نسير على مهل - التصق بها ومد يده لمساعدتي على النزول منها وسألني اذا كنت ذاهبا للدراسة. فاجبته ان نعم، فقادني الى الداخل حيث كان سفيهان نصيحة بعض الفاسقات وكاهن بصلي، وتاجر شيخ شحيح يحاول ان يناسي حاجته الى العشاء وضالبان من ذوي المعاطف القصيرة (4) بنفشان عن تنى بدنهائه. فتناز مؤثري على صعره وحداثة عهده في الفندق: دبا صاحب النوى! اعطني مسا عندك لي واخادمين فأجاب فوراً احد السفهاء: انما كلنا خدام لحضرتك ولا بد لنا من القيام بخدمتك! إي صاحب الفندق! فليكن بمالك ان هذا السيد يشكرت على كل ما تقوم به. فافرغ ما ادخرته وما كاد ينتهي من هذا الكلام حتى

---

4 ذوي المعاطف القصيرة. كان الطلبة الفقراء الذين يرافقون طلبة 'عنيا' كخدم لهم يتمزون عنهم ناثوانهم



وصل واحد آخر ونزع المعطف عن ضون ديعغو  
قائلا: «فلتسترح حضرتك يا سيدي» ووضع المعطف  
على مصضبة هناك اما انا فقد استولت علي عند  
رؤيتي كل هذا روح الكبرياء وصرت كأني  
رب الفندق، وحينذاك قالت احدي الفاجرات  
«ما أحسن سمته وائبله! أألمدراسة يذهب؟ او  
انت خادمه؟» فاجبت معتقدا بان الامر كما  
يقولون باننا انا والاخر خادماه. فسألوني عن  
اسمه وما كدت اقلظ به حتى وصل احد الطالبين  
متباكيا وعانقه معانقة حارة ثم قال: «آه يا سيدي  
ضون ديعغو. من كان ليقول لي منذ عشر سنين  
اني سأراك اليوم على هذه الحالة! تبا لي من مسكين.  
ان حالتي قد تغيرت الى حد انك لم تعد تعرفني»  
فدهش ضون ديعغو ودهشت انا ايضا بحيث اقسما  
فيما بيننا اننا لم نره قط. واثنا ذلك كان الطالب  
الاخر يتفرس في ضون ديعغو. ثم قال لصديقه أهذا  
هو ذلك السيد الذي طالما حدثتني عن أبيه؟ اجل  
لقد شاء حسن طالعا ان نلتقي به وتعرف عليه على

كبره، صانه الله! ثم أخذ يرسم على صدره إشارة الصليب. وبعد هذا كله من لا يصدق انها ربيما معنا؟ اما ضون ديبغو فقد عرض عليه مساعدته وبينما كان يسأله عن اسمه خرج صاحب الفندق وبسط السباط واذا شم رائحة الاحتيال قال: «دعوا هذا فبعد العشاء تتحدثون اما الان فقد يبرد الطعام. ثم وحمل احد السفهاء فوضع مقاعد للجميع وكريسا لضمون ديبغو، وجاء الاخر بصحيفة وقال الطالبان: فلانعش حضرتك الان واما نحن فسنقوم بخدمتك ريتما يهيئون لنا شيئاً مما حضر. فصاح ضون ديبغو قائلاً: حاشا ان يكون ذلك! لا بل تجلسان وتخدمان، فأجاب السفهاء - مع ان كلام ضون ديبغو لم يكن موجها اليهما - لا يا سيدي! فيما بعد. اذ لما يفرغ من اعداد كل شيء، اما انا فحين رأيت البعض يدعون والآخرين بدءون انفسهم استولى علي الغم وخفت من وقوع ما وقع لان الطالبين تناولوا السلطة التي كانت تملأ قصعة لا بأس بها وتطلعا الى مولاي

قائلين «ليس من اللائق ان تبقى هاتان السيدتان  
 بلا أكل حيث يوجد سيد من قدرك فلتامر  
 حضرك بان نصيبهما لقمة فما كان منه الا ان  
 دعاهما تأديبا فجالسنا امام الخوان ونأقل من اربع  
 لقم اننا هما والخالان على السلطة، فلم يتركوا  
 منها سوى قلب خسة اردرده ضون ديبغو. وحين  
 ناوله اباه ذلك الطاب الخبيث قال: كان احد  
 اجدادك وهو عم والدي اذا رأى خسا اغمى عليه  
 فرحاً. أجل لقد كان رجلاً كل الرجل، وما كان  
 يفرغ من ثلامه هذا حتى تناول قريصاً من الخبز  
 وتناول رفيقه قريصاً آخر حيث ان الفاجرتان كانتا  
 قد اناعتا رغيفاً كاملاً غير ان الذي فاق الجميع  
 أكلاً هو الكاهن ولكن بالنظر فقط. ثم جلس  
 السفهان امام نصف جدى مشوي وشريحتين من  
 شحم الخنزير وفرخي حمام مطهين وقال: «باحضرة  
 الاب! علام انت هناك؟ اقرب ومد يدك فسان  
 مولاي ضون ديبغو يغمرنا جميعاً بفضلته، وما كاد  
 يقولان هذا حتى كان الكاهن جالسا معهم.

وحين رأى سيدي ان الجميع قد تراكموا عليه بدأ  
 يغتم. وتقاسموا كل شيء فيما بينهم. واعطوا ضوز  
 ديينغو بعض العظام والاجنحة اما البقية فقد التهمه  
 الكاهن والآخرين. وكان السفهان يقولان لا  
 تتعش كثيرا ياسيدي فانه مضر، فيجيبهم الطالب  
 الملعون وعلاوة عن ذلك من الواجب ان يعتاد  
 على قلة الاكل للاقامة في القلعة، (٥) وكنا انا  
 والخادم الآخر نتضرع الى الله ان ترق قلوبهم  
 فتركوا لنا شيئا. وبعد ان أكلوا كل شيء "لقت  
 جد انسغبين وقال وحي من خاطي! اننا لم  
 نترك شيئا للمخدم. الويل لكم! يا صاحب الفندق  
 اعطهم ما توافر لديك وهاك هذا الدينار فقطاعه  
 فجأة نسيب مولاي الشرير - اعني الطالب الآخر -  
 قائلاً اسمح لي باحضرة الشريف ان اقول لك  
 انك لا تعرف كثيرا من اصول المجاملة أتري انك  
 تعرف ابن عمي؟ أجل! انه ايضاً خدمه وحي  
 خدمنا لو كان لدينا خدم كما أطعمنا نحن فرد

(٥) بعني قلعة هناريس

عليه الاول قائلًا: لا تغضب يا صاح، فاني لم أكن  
لأعرفه حق المعرفة. وحين رأيت انا هذا المكر  
الكبير اغدقت عليه من اللعنات ما كنت أعتقد  
أنه لا آخر له

ورفع الخوان وأشار الجميع على ضون ديينغو  
بالرقاد اما هو فاراد ان يدفع ثمن العشاء لكن  
الباقيين اجابوه بان لديه متسعا من الوقت ليقوم  
بذلك في اليوم التالي. وامضوا شطرا من الوقت  
في السمر واستفسر ضون ديينغو الطالب عن اسمه  
فاجاب قائلًا انه يسمى ضون فلان كورنيل أحرقه  
الله بنار جهيمه أنى كان هذا الكذوب! ورأى  
الرجل الشحيح قد رقد فقال: أتريد حضرتك ان  
تضحك؟ فلنعد لعبة على هذا الشيخ الذى لم يأكل  
سوى اجاصة طول الطريق مع انه وافر الثروة،  
فقال السفيهان نعم ما رأى الطالب؟ افعل ما بدا  
لك فانت في ذلك مصيب، فتقدم الطالب وسحب  
من تحت رجلى الشيخ النائم خرجا وفضه فاذا فيه  
صندوق فاقبل الجميع كمن يقل على صوت النفير

يدعو للحرب. وفتحوه فاذا هو مملوء من الحلوى  
فاخرجها الطالب ووضع مكانها أحجارا واعوادا  
وغير ذلك مما وقعت يده عليه. ثم برز فوق ما وضعه  
ووضع فوق البراز نحو اثنتي عشرة آجرة قديمة  
ثم أغلق الصندوق وقال: ما هذا بكاف فان معه  
زقا. ثم اخرج الخمر من الزق واتى بمخدة من  
عربنا فجردها من غشائها وبعد ان صب في قعر  
الزق قليلا من الخمر ملأه صوفا ومشاقة وسده ثم  
ذهب الجميع ليرقدوا ساعة او نصف ساعة بقيت  
ووضع الطالب كل شيء في الخرج وجعل حجرا  
كبيراً في قبعة الرداء واخيراً مضى ليرقد. وحبس  
وافت ساعة الذهاب افاق الجميع سوى الشيخ  
فقد ظل نائماً. فنادوه وحين نهض له يقو على  
رفع قبعة الرداء فنامل ما فيه واذا بصاحب الصندوق  
يصيح به عن قصد: يا الله! ألم نجد اينما النسب ما  
نذهب به سوى هذا الحجر؟ ما رأى حضراتكم لو  
انه مضى دون ان اراه؟ وانى تفضل هذا الحجر

على مائة دكة (6) لأنه يشفي وجع المعدة: وكان  
الشيخ يقسم ايماننا معلظة أنه لم يضع هذا الحجر  
في القبة.

وحسب السفيهان ثمن العشاء فاذا به يبلغ  
ستين بليوناً. أجل: ان خوان دي ليعانوس (7)  
ليعجز عن فهم هذا الحساب وكان الطالبان بقولان  
«بما اننا سنخدم حضرتك في القلعة فاننا مقابل  
ذلك فعنبر انفسنا براً من النفقة» ثم فطرنا قليلاً  
وتناول الشيخ خرجه وحل رباطه في الظلمة تحت  
الرداء لئلا نرى ما يخرج ولا يتقاسمه مع أحد.  
وامسك كسرة اجرة مدهونة واقفاها في فمه وضغط  
عليه بخرس ونصف سن كانا باقين له ولولا  
اليسير لاضاعهما فاخذ ببصق ويبيدي امارات الاشمئزاز  
والالام فوصلنا كلنا اليه والكاهن في المقدمة  
مستفسرين اياه عما حصل له. وشرع الرجل

---

(6) دكة ducado نقد ذهبي اسباني قديم

(7) Juan de Leganos يظهر انه شخص خيالي

تضرب به العامة المثل في الذكاء.

يستعيز بابليس ورمى الخرج فوصل اليه الطالب  
قائلاً: -وراءك يا ابليس، ان الصليب فوقك، وفتح  
آخر كتاب صلاة الكاهن وحملوه على الاعتقاد  
بان به مسا حتى أقر أخيراً بحقيقة ما جرى  
وطلب منهم ان يتركوه يتممض بقليل من  
الخمر جاء به في الزق فتركوه وأخرج الزق وفتحه  
ثم صب في كأس قليلاً من الخمر فخرج من الزق  
خمر برى اوبر الحى ممزوج بالصوف والمشاقة  
نحبت لا يمكن ان يشرب ولا ان يصفى وحينئذ  
عير صبر الشيخ لكنه عند ما رأى القهقهات  
تصاعد فضل السكوت وركوب العربة مع السفهين  
والنساء. اما الكاهن والطالبان فامطوا حساراً  
وجدسنا نحن في العربة وما كدنا نسمع بالسر  
حتى أخذ الجميع يهزؤون بنا علانية مبينين ان ما  
فعلوه بنا انما كان سخرة. وكان صاحب الفندق  
يقول يا حديث العهد تكفيك فاتحات قليلة كهذه  
لتشيب ويردد الكاهن قائلاً: كاهن نفاقته تقام  
لك قداسات بدل هذا. ويصبح الطالب اللعين



قائلا: يا ابن عمي! في المرة القادمة حك جلدك  
حين تعض لا بعد ذلك، اما نحن فنغاضينا عما  
كانوا يقولونه - والله يعلم كم كان حجلنا كبيرا.  
وبين هذه وتلك وصلنا المدينة وحللنا في  
أحد الفنادق وامضينا النهار كله - اذ كنا قد  
وصينا الساعة التاسعة - في عد ثمن العشاء الفائت  
دون أن نتمكن من تقويم حساب ما انفق.

## الفصل الخامس

في دخولنا قلعة هناريس ودفع ضريبة النامدة  
وما لحقني من هزّ لجدتي في المدرسة

---

وقبل ان يلفي الليل رده عادرنا القدر  
الى الدار التي اكثروها لنا وكانت واقعة خارج  
باب شنياقب (1) مقام الطلاب حيث يسكن الكثير  
مهم في دار واحدة وان لم يكن في دارنا هذه  
سوى ثلاثة طلاب آخرين لا غير. وكان صاحبها  
من الذين يؤمنون بالله مجانية فحسب او مكررا  
خداعا وهؤلاء هم المعروفون ببنت العامة باسمه  
الموريسكوس وانتشون الى هذا الصنف كبيرون

---

1. باب شنياقب - كان هذا الباب واقعا  
في شمالي المدينة قرب الكنيسة والسارع للذهاب  
بحلان اليوم هذا الاسم

وكذلك دعو الأتوف الواسعة اسم كل رائحة ما  
حلا رائحة سم الخمر (٢) أوول غذا مع اسيرافي  
بالسل الذي تصف به كسارهيه وانهم لعدندون  
وقد اسقيلني صاحب ادار روجه عانس ولا  
اسقياه العربان اقدس واسر عري اكلان صومعه  
هذا لرحمدا على احرامه أم من صبعه ان نس  
من السحرين : نكور رجل سو من نان دا  
صل راع فوضعا لعمدا واعدنا السمر ونفقه  
عداات وديما ذلك الله وحين اصبح الصبح اذا  
تجمع الابل الممدق قد افتموا لسان البوء نظائون  
مولاي مدوح خرنده مده (١) وثار هو تجهل  
معني ذات قد هي عا صامون اما نا

ما يصح من ذلك  
ان قصصنا من غير ان يكون  
منه في غير ذلك من غير ان يكون  
وغير ذلك من غير ان يكون  
منه في غير ذلك من غير ان يكون  
منه في غير ذلك من غير ان يكون

فانسللت ان ذلك بين فراشمن اتقا لما قد دفع  
ولم ينق خارحا سوى نصف رأسي كاني سلحفاه  
وظلوا درختين من اللان فاعتلوا ما ظنوا  
وحسد اخذوا تصحون ناعلى اصوانهم صاحب  
سما قائمن نحي الرقيق والمعل في حصن  
صدف وربع دمبارات الاقدميه و بكر من  
حبه ان حجاب الجرب وسسي احنا ونا ونا  
الحسي كخبر وعدها نال صحتك له  
هدد ناه نرات سلكوا نرجح نرجح و نرجح  
حس الن حان ويرى حان اليرى ما سسي  
نعم مقدمه بعض الطلبة من معارف و ندم  
ومكدا دخل فانه اما اذا وقد صبر ناني ان اس  
نعم آخر نفع اخذت مره نرجح و نرجح  
رحم اليريه وما كانت في نرجح و نرجح  
حدهي لاجرون وندوا نودون حدهي و نرجح  
اصحت كمن ن ناني ناهر حفا ما كان نرجح  
في نسي ن نك له نكي ن و نسي ن نسي  
او نسي وندوا نضحكون و فاحشرت و نسي ن نسي

سمح الله بذلك فيما بعد : - اذ أمسك في الحين  
 واحد منهم كان الى جانبي انفه يديه وابتعد عني  
 قائلا : من رائحة هذا العازار ترى انه يحتاج الى  
 الى من بقيمه من الموت (4) فابتعد الجميع اذاك  
 عني وسدوا انوفهم . فظننت حينئذ اني سأنجس  
 فسددت ايضا انفي بيدي . وقلت : ان حضراتكم  
 لعلى حق : اجاز ان رائحته لمنسة فضحكوا كثيرا  
 مما قلته وكانوا قد بلغوا حين ابتعدوا ما يقارب  
 المائة وابتدأوا حينئذ يستجمعون ما في افواههم  
 وحاجهم وملحت من خلال السعال والاشداق تفتح  
 وتغلق ان نفثات كثيرة تنهباً للفتك بي . واثنا  
 هذا نقده طالب منتشاورى (5) مزكوم وزماني بنمته  
 كبيرة وقال متبها : اليك اصعب اما انا فرأيت  
 نفسي اذاك في مأرق حرج وقلت : والله اني  
 س . . . ولكن غيثا من البصاق الغليظ سقط على  
 بشدة فحال نبي وبين اسم الحملة التي بدأتها .

(4) يريد بذلك انه تن كائيت البالي

(5) اي اصله من مقاطعة المانتشا

وكان وجهي مغشى بالمعطف. وكنت في حلة من  
 البياض بحيث كان الجميع يسددون سهام نفثاتهم  
 نحوي وبالله كيف كانوا يصيبون الثرمي. وهكذا  
 أصبحت كالغمرور بالنلك من أم رأسه إلى أخمص  
 قدميه. لكن أحد ائناكر بن حبن رأي منما ورأي  
 وجهي لم يصب بشي أسرع نحوي قاذلاً بغضب  
 كبير: كفى! لا تقتلوه. وبدا اني كنت لا اعتقد  
 من تصرفاتهم هذه بدني قاتلي لا محالة فسفت  
 عز وجهي لا استطع تخبر وإذا بذاك الذي كان  
 يصيح برميي منة بين عيني. فأمل مبالغ غسي في هذه  
 الحالة! ثم اخذت تلك الجماعة الجهنسية تصيح مباحاً  
 تقل علي. وقد استنجمت من رمود علي من معدنهم  
 انهم ينتظرون قدوم غلاب جند نسمنشوا توفيراً  
 لأجرة الاطبا وتسن الادوية. وبعد هذا كله  
 ارادوا صفعي على قفاي. لكنهم لم يجدوا مجاً  
 لوضع يديهم علي دون ان يذهبوا نصف الترت  
 الذي على معطفي الاسود الذي ابتض سبب  
 ذنوبي وآلامي عتركوني وشاني وبقت صحفة

الشيخ مللاً بالبصاق فسرت الى داري وما اصبحت  
 في دخولها الا بعد جهد النفس. ومن حسن طالعي  
 ان الوقت كان صباحا اذ لم احظدم الا باثنين  
 او ثلاثة من الغلمان الطيبين القلب دون شك  
 لانهم اقتصروا على الهزء بي ثم مضوا في حال  
 سبيهم. فدخلت الدار وحين راني الموريسكو اخذ  
 يرضك ويداتي بحركات كمن يحاول البصق على  
 فخفت من ان يفعلته وقلت له: بالله عليك يا صاح!  
 لست انا بالمسيح المجلود (٤)، ويا ليتني لم اقه  
 بها لانه نفخني برطلين من الضربات على كتفي

---

(6) Ecce-humo هذا هو الرجل. هذه هي  
 العبارة التي لفظها بيلاطوس البنطي امام اليهود  
 بعد جلد المسيح. ويطلق الان هذا الاسم على  
 صورة المسيح مجلودا وكذلك من نوع المجاز على  
 رجل انحشم الوجه. وقد اخطأ المؤلف هنا استعمال  
 هذا التعبير لان صاحب الفندق من اصل مسلم  
 لا يهودي فلو كان يهوديا لكان من شان هذه  
 الكلمة ان تثير غضبه

دالعبارات التي كانت بين يديه وبعد ان استلمت  
 هذا الخاوان معدت الى الطابق الاعلى شبه كسيح  
 وقضبت برهة طويلة في البحث عن نقطة امسك  
 بها الجبة والمعطف واخيرا نزعته عني وعنقه على  
 السطح وارتميت على الفراش وبعدئذ جاء سيدي  
 وبما انه وجدني نائما وكان يجهل الحادثة الكريهة  
 التي اصابني فقد غضب واخذ يقفسي بسرعة الى  
 حد انه لو زاد على ذلك قفستين لانسفتت املع.  
 فقامت معرندا مستكبا فانتهرني سبدي وقد ازداد غضبه  
 قائلا: اهكذا نخدمى يا نابلس؟ ام انها حياة  
 اخرى؟ اما انا فحين سمعت قوله «حياة اخرى»  
 طمئت انه الموت فقلت: اجل ان حضرك نشجعني  
 في عملي. انظر الى تلك الجبة وذلك المعطف المذنين  
 قاما مقام فوت لأكبر انوفه سوداء في سواقي  
 الاسبوع المقدس وما كنت اريد ان يكتب  
 حتى اخذ الدمع ينحدر من عيني وحين رآني  
 نجبني صدق قولي وبحث عن الخبة وادخلها  
 رق لي وقال: افتح عينك يا يهوس فان الامر



هنا اشد بد وليس لك من بسهر عليك سوى نفسك،  
واخبرته بكل ما وقع لى فامرني بنزع ثيابي وبحملني  
الى مرقدتي حيث كان يرقد اربعة خدام اخرين  
ليرثوا لدار وهناك نمت. وعند الليل بعد ان  
تناولت غداً وعشاءً طيبين وبفضل ما نمته شعرت  
بنفسي قويا كما لو انه لم يقع لى شيء المنه  
ولكن حين نبدأ الذكبات ناسقوط على المرء يظهر  
انها لا نهاية ليا فتسر منسلسلة بجر بعضها البعض  
فقد اقبلت بقية الخدم ليرقدوا وبعد ان حيوني  
سألوني عن سب ملارمني الفرائش وعما اذا  
كنت مريضا فقصت عليهم قصتي. فأخذوا  
يرسمون على وجوههم اشارة الصليب، كان نفوسهم  
لا تضر اى شئ، قائلين: ان شبعة كهذه لا تقع  
حتى بين اللوثريين ١٧١ انفسهم! آه كم من الشر  
في الناس! ويقول الآخر: ان عميد المدرسة هو  
المسؤول لانه لا يمنع هذا امهه الامور، اعرف الدين  
فعلوا هذه الفعلة؟ فجنبته ان لا وشكرتهم على

---

١٧ اتباع 'وير مؤسس المدعة' البرتسطنطة

المعروف الذي كانت يلوح انهم سيقومون به  
نحوي. وخلال هذه المسامرة فرغوا من ذرع اثوابهم  
ورقدوا بعد ان اطفأوا الضوء ووقدت لنا بدوري  
وفد حل لي اني نين والدي واخوتي.

وحوالي الساعة الثامنة عشرة اذا واحد منهم  
بفبفي بمساحه قائلا: «آه انه لم يقتلوني! المصوص»  
المصوص وكانت ندوي على سريره اصوات ووقع  
مقرع فرفعت رأسي وقلت: «ما هذا؟ وماذا  
يكسف حتى كانت منزعجة علهة ذات جدل نهال  
على صهري. فمدت أسكي وحاولت النهوض وضمان  
الخريسكي ايضا انما المقارع نهال على وحدي. فرائت  
اصبح قتيلا: ن اعداء الله لك المقارع صائب نهال  
علي بسرعة الى حد انه لم يق لي من وسيلته - انه  
كنت ربيت ملاحف الى اسفل - سوى الاخفاء تحت  
السرير. وهذا ما فعلته وفي الحال حذ الملائكة  
الاخرون الذين كانوا قائمين يصيحون انصاوت.  
ان المقارع كذبت لم تزل ندوي خست ان واحد  
تربيا عند ضربها حبيبا. وانما هذا اتقرر ثابت

الذي كان بجانبى الى سريري وبرز فوق الفراش  
ثم عضى البراز. وبعد ان عاد الى سريره انقطع  
دوى المقارع وقام الاربعة صائحين قائلين: انها  
لخدعة كبيرة ويجب ان لا تمضى هكذا. اما اذا  
فكنت لم ازل تحت السرير اشتكي ككلب شد  
الباب على ذنبه منكشا كاسلوقي الاشج فتظاهر  
الاخرون بانهم يغلقون الباب وحينئذ خرجت من  
حت كنت وصعدت الى سريري مستفسرا الباقين  
عما اذا كانوا قد اصبوا باذى. فاذا بالجميع يشكون  
كمن اشرف على الموت.

فهمت وتعطيت ورقدت ثانية. ونسا اني  
كنت انقلب في الفراش وانا نائم فقد وحدث  
نفسي حين اسنفت وسخا من قدمي حتى وسط  
جسمي ونهض الجميع وبقيت انا نائما معذرا عن  
اللباس بالمقارع التي نلنها ليلا. وما كنت لاتحرك  
من الجانب الذي ارقد عليه وكان الحجل مستوليا  
على بينما كنت افكر فيما اذا كنت ياترى قد  
اقتبت تلك القفلة الشنيعة من جراء الخوف وسط

ذلك الاضطراب دون ان اشعر بالامر ام حيث  
 كنت نائما. وملخص القول اني كنت بريئا متهما  
 دون ان اعرف كيف ادفع التهمة عن نفسي.  
 ووصل الرفاق الى شاكين مداحين ليسألوني عن  
 حالي فاجبتهم انها ميئة للغاية لاني تلقيت مقارع  
 كبيرة. وسألتهم عما يمكن ان يكون ذلك فقالوا  
 لعمرى انه لن يفلت من ايدينا لان الساحر  
 سيعلمنا به. واكتب لندع هذا ونر هل اصست  
 بجراح فاك نكسر الشكوى وما كادوا بقولون  
 هذا حتى تقدموا لرفع الدحاف رغبة في فضحي. واتنا  
 هذا دخل سيدي قائلا: امز المنك يا بلوس ان  
 اعجز عن حملك على اعطاني؟ ايها الساعة النائمة  
 وانت له مر في الفراش قم قبح الله وجهك، وقص  
 عليه البقية 'لقصة كلها مدافعة عني وطاموا منه  
 ان يتركني اذام. وكان احدهم يقول: واد  
 كنت حضرتك لا تصدقه فليقم ونسك بالدحاف  
 ليرفعه لكي كنت عاضا عليه نسانني لئلا يروا  
 البرار. وحين رأوا ان لا نسجة من انباج ذلك

السبيل صالح احدهم قائلا : يا الله! يا لها من رائحة كريهة ورد ضون ديبغو الكلام نفسه لان ذلك كان حقا ثم اخذ الجميع يفتشون لعل في الغرفة مبوقة ويقولون انه لا يمكن التقاء هنالك. وقال احدهم: ان هذا لحسن جدا لمن اراء الدرس وفتشوا الاسرة ورفعوا الفرش لبروا تحتها ثم قالوا: لا شك ان تحت سرير بابلوس شيئا ما. فلنقله الى احد اسرتنا ولنغش نحتة اما انا وقد شاهدت ان الصفة خاسرة وادهم لا حانة مكنشعون امري، فتظاهرت بالصرع وقبضت على عيدان السرير مقلبا وجهي وحيث كانوا واقفين على الحقيقة بالغوا في فكائتي قائلين : يا للمسكين، فامسكني ضون ديبغو باصبعي الوسطى واحيرا تمكن الخمسة معا من رفعى. وحين رفعوا الملحفة كادت الدار تميد من قهقهانه اذ وقعت ابصارهم على شئ جديد لم يكن فرخا وحسب بل حمامة صبيرة (18)

Palomin 18 فرخ حمام. وتطلق مجازا على اطخة من التراز في اسفل القمصر وبهذا المعنى

وكار 'ماكرون' بتظاهرون بالتأسف على قائلين.  
 يا له مسكين اما انا فتظاهرت بالاعمال فاساروا  
 على مولاي بان بكثرت من جذب اصبعي الوسطى  
 ومن كثرة ما جذب معنقدا انه ينفعني بذلك  
 فك لي تلك الاصبع. وحاول البقية ان ينيلوني بعض  
 المقارع عني فخذني ويقولون. لا شك ان المسكين  
 قد نسر الاذن حين اصابه الصرع والله يعلم ما  
 كان يحول اذات في نفسي مما لحفي ومر حجل  
 ومن فك اصبعي ورؤيتي ذاتي على وسك ان  
 اضرب داسواض. واحسرا نظاهرت بالعودة الى ذاتي  
 خوفا من ان اضرب اذ كانت الامراس قد وضعت  
 فوق فخذي وبما انه كانوا يتصرفون عن خبث  
 وبالرغم من اسراعي في المظاهر بالعودة الى ذاتي  
 تركوا لي في كل فخذ علامة قدر اصبعين ثم  
 تركوني قائلين: بالله يا لك من هزيل وكنت  
 تبكي غضب فبقولون منعدمن. لا داعي نبيك

'سعمله' المؤلف وقابلها بكلمة حمامة Paloma دلالة  
 على كسرة اللطخات وكبرها

لأن ما فعله إنما هو من أجل صحتك لا عقوبة  
على تبرؤك ثم وضعوني في السرير بعد أن غسلوني  
وذهبوا.

وحين خلوت بنفسي ما برحت أفكر في  
كيف أن ما وقع لي في القلعة خلال يوم واحد  
يربو على كل ما وقع لي عند كابرأ. وعند الظهر  
ارتديت ملابسني ونظمت الحبة قدر طاقتي - إذ  
غسلتها كما تغسل الحرق - وانتظرت سيدي الذي  
ما كان يصل حتى استفسرني عن حالتي. واكل  
جميع من في الدار واكلت أنا أيضا وأن يكن  
بلا شهية. ثم اجتمعنا لتحدث في الرواق وبعد أن  
تهكم الحذم الآخرون علي فصيحوا خيرا من الحيلة  
التي نبذوها لي ليلا. فضحك الجميع وازددت أنا  
خجلا وقلت في نفسي: حذار حذار يا بابلوس،  
وعزمت اذاك على اقتناج حياة جديدة ومذاك  
تصاحبنا وعشنا كل من كنا نسكن تلك الدار  
كالأخوة. ولم يزعجني أحد بعد ذلك اليوم لا في  
المدرسة ولا في صحون الديار.

# الفصل السادس

في فضائع الوصيفة وما اتيت به من كياسة

يقول امثل السائد وهم في القول مصيب  
«افعل حسبما ترى» ولشدة ما تأملت في هذا المثل  
عزمت على ان اكون ما كرا مع الماكرين وان  
اكون امكرهم اذا امكن الامر. ولا ادرى اذا كنت  
حققت رغبتى لكنى اوكد لحضرتك اني بذلت  
جهدى في ذلك

واول ما فعلته اني حكمت بالاعدام على كل  
الخنازير التي تدخل دارنا وعلى جميع ديوك ربة  
الدار التي تجتاز من حوشنا الى غرفتي، فحدث  
ذات يوم ان دخل خنزيران من ازهى ما شاهدت  
في حياتي وكنت اذاك مع بقية الخدم وسعتيما  
ينخران فقلت لاحدهم: «امض وانظر من ينخر في  
دارنا، فعاد قائلاً انهما خنوصان فسا سمعت هذا



حتى استولى على الغضب وبادرت اليهما قائلاً ان  
 انجني لدار الغير لمنتهى المصير والقحة واعقبت  
 كلامي بطعنة خبجر في صدر كل منهما بينما  
 اوصدنا الساب ثم اجهزنا عليهما قفوا. ولئلا تسمع  
 المضجة التي كانوا يحدثونها جعلنا نرفع اصواتنا  
 باصباح كما لو كنا نغني. وهكذا قضينا نحبهما بين  
 ابدبنا ثم اخرجنا الكرشين وجعلنا الدم وشيخناهما  
 فلبا فوق شي من العش في الحظيرة بحث انه  
 حين اقل استاذنا كان كل شي منهما وان لم  
 بكر على عانة ما برام ما عدا الكرشين فاننا  
 لم نفرغ من تحوّلينا متصيدا وما ذلك لعدم الاسراع  
 د كما والحق يقال قد تركنا بهما دفعا للداخر  
 نصف ما كان في داخلهما

ثم اطلع ضون ديبغو والقهرمان على الامر  
 وحقا علي حقا شديد اجر نفية النازلين في الدار  
 الذين كانوا لا ينالكون من الضحك ان يتصدوا  
 للدفاع عني وكان ضون ديبغو سألني عما اقوله  
 فيما اذا انعمت وقبضت علي بد العدالة فاجبته

بأنى استنجد بالجوع الذي هو حرم الطلاب وأن  
 لم يجدني ذلك نفعا اقل: بما انهما دخلا الدار  
 ونور ان يقرعا الباب كمن يدخل داره ظننت انهما  
 لما فضحك الجميع من الاعتذار وقال ضون ديعو  
 .بالله عليك يا بابلوس! كيف انك تحسن التخلق  
 بثوب من حولك. فقد كان مما يستلفت النظر  
 مشاهدة مولاي على غاية ما من الهدوء والتقدير  
 ومشاهدتي انا على غابة من الشطارة اد كنا على  
 طرفي نقيض احدا يبالغ في الفضيلة والاخر في  
 الرذيلة.

اما الوصيفة فكانت لانتمالك من الفرح لانني  
 كنت واياها يدا واحدة فائتمرنا ببست المؤونة وكنت  
 انا وكيل اخرج يهوذا (1) ومنذئذ ورثت في هذه  
 المهنة شغفا بالسل مما اشتره. فاللحم لم يكن  
 يتبع بين يدي الوصيفة الترتيب البياني لانه كان  
 يسير دائما من اكثر الى اقل ومنى امكنها ان

11 اشارة الى يهوذا الاسخريوطي الذي بضاع

السيد المسيح

نستبدل بالضأن لحم ماعز أو نعجة لم تحجم عن  
ذلك. وإذا وضعت في المرق عظاما لم يدخله شيء  
من الهبر. وهكذا كانت تعد قدرا من الطعام كانها  
مسبولة من شدة الهزال. ومرة أو جدت لا يمكن  
أن تصنع منها سموط من خرر. وتميزا للعبيدين  
كانت تضيف إلى القدر لتسنيها بعض الطراف  
من شحم الغنم. وكانت تقول لمولاي  
بمحضري: الحق يقال أنه لا مثل لبابلوس في  
الخدمة! أو لم يكن شاطرا، فلتحتفظ به حضرتك  
إذا سكن غض الطرف عن شطارته مقابل أمانته  
فإنه يأتي بخير ما في السوق فأثني على ذلك  
مثما قالت عني. وهكذا كانت الدار واقعة في  
أحاييس خديعتنا. فإذا اشترينا زبنا أو صابونا أو  
شحم خنزير بالجملة خبأنا النصف. وحين يظهر لنا  
الامر مناسبا نقول أنا أو الوصيفة: رويدا رويدا  
في النفقة. فوالحق إن واخبتهم على الإسراف فإن  
خزينة الملك لا تكفيكم. وها قد نفذ الصابون أو  
الزيت. أحل! لقد نفذ سريعا. ولكن فلتامر حضرتك

بشراً كمية جديدة وانا الكفيلة بانها ستدوم اكثر  
 بكثير من السابقة اعطوا مالا لبابلوس، فيعطوني  
 مالاً ونبيع حينئذ النصف الذي كان مخبئاً ونصف  
 ما نشتره. وهكذا في كل شيء. واذا حصل اني  
 اشتريت مرة شيئاً من السوق بتمنه الحقيقي فكنا  
 فنسارع عن قصد انا والوصيفة فتقول هي غاضبة:  
 لا نفل لي يا بابلوس ان هذه السلطة. نسأوي  
 درهمين، فتبأكي واصيح واذهب الى مولاي  
 لا قدم له شكواي مدحا عليه في ان يرسل القهرمان  
 الى السوق ليتأكد من الامر كي تسكت الوصيفة  
 اني. كانت تصر على رأبها عن عمد. فمذهب  
 القهرمان ويسأل عن الثمن وبعبره. وبعداً نصمّر  
 اني استسلم رب البيت والقهرمان المذنب كان.  
 يثنيان على تصرفاتي من جهة وعلى عيرة الوصيفة  
 من جهة اخرى. فيقول لها ضون ديفغو مغتسلان  
 بي: لو ان بابلوس يجري في ميدان الفضيلة كما  
 يجري في ميدان الامانة! هذا هو الاخلاص بعينه  
 فما تقولين فيه؟

وهكذا ظللنا نمصهما كالعلق. واني اراهن  
على ان فرائضك لترتعد من عظم ما بلغت في  
آخر السنة كمية اقال المنفق دلائك انه كان كثيرا.  
اذكراه لم يكن نمة موجب للارجاع لان الوصفة كانت  
نعترف وتساو كل ثمانية ايام ومع هذا لم ار منها  
قط رغبة في ارجاع شيء ولا نوبة على ما فعله بالرغم  
عن فداسمها كما احبرت اد كانت تحمل في عنقها  
سحة في منهي الصبر بحيث ان حمل حزمة  
من الخطب كان اخص من حملها. وكانت تتدلى  
منها رزم من الصور والصلبان والخرزات الكبيرة  
وتقول انها نصلي بحميمها من اجل المحسنين اليها  
وتعد نيفا ومائة قديس شفعا لها. وفي الحقيقة  
كانت بحاجة الى كل هذه المساعدات لتعوض عما  
ترتكبه من الخطايا. وكانت ترقد في غرفة فوق  
غرفة سدي وتردد من الصلوات اكثر مما يردده  
الاعمى. فتبدأ بصلاة القاضي العادل. وتنتهي  
بعلبك السلام اينها الملكة، وتردد هذه الصلوات  
باللغة اللاتينية عن قصد متظاهرة بالبراة مما

يحملنا جميعا على ان نستلقي على ظهورنا من  
شدة الضحك وكانت بارعة في امور اخرى  
فتستهوي الارادات وتستميل الاذواق وذلك يوازي  
ان يقال عنها انها قواعد لكنها كانت تعتذر  
'مامي' قائلة ان هذا الفن جاءها عن سبيل الوراثة  
كما تلقي ملك فرنسا نعمة شفاء دا الخنازير (2)

وقد نظن حضرتك اننا كنا دائما على اتفاق  
ثم ولكن من يحجر انه اذا كان صدقان جشعان  
تعشار معا لا بد ان يحاول كل منهما غش لآخر؟  
فحدث ان الوصيقة كانت تبي دجاجة في حوش  
الدر وكانت لي رغبة كبيرة في اكل واحدة  
منها وكان عندها نحو اثني عشر او ثلاثة عشر  
ديكا كبيرا وذات يوم بينما كانت تقطعها اخذت  
تناديها مرارا بيو بيو (3) فما كدت اسمعها

---

(2) كان من حملة الاساطير الرائجة اذ ذاك  
ان ميوك فرنسا يتمتعون نعمة شفاء دا شدة  
العنق المسماة بالخنازير.

(3) نغمة تستعمل لمناداة الدجاج في اسبانيا

تنادي بهذه الكلمات حتى اخذت اصيح قائلاً: يا الله  
ابتها الوصيفة! يا لبتك قتلت شخصاً او سرقست  
خزانة الملك - وكلاهما مما اقدر على السكوت  
عنه - ولا فعلت ما فعلته وهو مما لا يجوز لى  
ان اسكت عنه؟ يا لتعسي وتعسك! وحين رأنتى  
استعيد واستلبذ اضطربت بعض الشىء وقالت: ما  
فعلت يا بابلوس؟ ان كنت نسحر بى فبالله تاهل  
لا تراء حتمنى -

- كيف اسحر؟ اف لهذا الامر! اذ لا يمكننى  
الا ان اعلم بالقضية وحكمة التغمش ولا حررت  
فصاحت قائلة: «محكمة التفتيش» واخذت  
ترتجف واضاعت بقواها: «هل خانفت الايمان بشىء»  
فقلت: «هذا شر ما فى القضية ياك واهر» بتضمة  
«المنيش بل اعترفى ببلاهنك وقولى انك فرحبتى  
عما فهمت به ولكن لا تنكرى المعنة والمعصية  
ومر سدة خوفها قالت لى: وادأ رجعت يا بابلوس  
عما فعله اعاقبوسى؟ قلت لا! وانما يصفحون  
بنك فقالت: انى ارجع عما قاله ولكن قل لى

انت الآن عن اي شيء لاني ورحمة موتاي لا  
 اعرف اني قلت شيئاً، قلت: اامن الممكن الا  
 نشعري بأي شيء؟ فوالله لا ادرى كيف اقوله لك  
 لان المعصية جسيمة الى حد انها تملأ قلبي جبناً  
 الا نذكرين انك ناديت الافراح بقولك: «يوه! ييوه»  
 مع ان «يوه» اسم لباباوات نواب الله و«يوه»  
 الكلمة؟ وابلعي الآن هذه المعصية

فحدثت كما كنت به قائلة: «احل يا باموس»  
 عند فمت من العوا كسر في مسيح الله لي ان  
 كانت تلك الكلمات قد صدرت عن مكر و«يوه»  
 بية! اني ارجع عنها وبالله عليك هلا دحت من  
 طريق عذرك من السعانة بي لاني ان رأيت في  
 امام محكمة المقيش مت هلعا قلت: ان قدست  
 امام مذب مقدس انت لم تضري مكرراً جبن  
 نطقت تلك الكلمات فانه يمكنني اذ ان «احل»  
 عن الشكامة والخصه من اللازم ان تعطيني هذين  
 الدبكين الذين كلا جبن فديهما باسم الاحبار  
 المقدس لادهب بهما الي احد ضاغط محكمة لنفسه



فيحرقهما لانهما اصبحا محكومين بالهلاك. وبعد  
كنه عليك ان تقسمي ان لا دعوتي قط اني اتركاب  
هذه المعصية،

فقلت وقد تمالكها الفرع: اليكهما الان يا  
بابلوس وعدا اقسم البمين، فقلت لاريدها اطمئنانا  
ان شر ما في الامر باسربابا - حيث كان هذا  
اسمها - اني اعرض نفسي للخطر. اذ سبقول لي  
ضابط محكمة التفتيش اني انا 'المخطي' وقد يلحقني  
منه حور بسب ذلك. فاذهبي بهما انت لانني  
وحتى خائف على نفسي، وحين سمعت مني هذا  
الجواب قالت: «بالله عليك يا بابلوس! هلا اشفقت  
على وذهبت بهما اد انت يصيبك ادني ضرر،  
فتركنها تكثر لي من التوسل واخيرا - وهذا ما  
كنت اريده - صممت النية وحملت الديكين  
واخبأتهما في غرفتي. ثم تظاهرت بالخروج وبعد  
ذلك عدت قائلاً: لقد تم كل شيء على احسن مما  
كنت اعتقد، فالضابط كان يريد ان يتبعني ليري  
المرأة لكنني خدعته خدعة واقنعته، فاخذت تضمني

الى صدرها مكثرة من معانقتي واعطتني ديكاً آخر  
فذهبت به الى حيث تركت رفيقه ثم حتمت  
الثلاثة الى صانع المعجنات فطبخها لنا واكلمتها مع  
بقية الخدم. وبلغ خبر الحيلة مسامع الوصيقة وضون  
ديغو. وهلل لها جميع من في الدار تهليلاً كبيراً  
واخذ الحزن من الوصيقة كل مأخذ فكادت ان  
يقضي عليها - ومن شدة حنقها كانت ممن افشاً  
سنى في الشراء على قاب قوسين ولو لم تكن  
محسرة هي نصاً على اسكوت لافشت نالامر.

• • •

حين رأيت العلاقات قد سأت بني وبين  
الوصيفة بحثت عن وسائل جديدة للانسياح.  
فوقعت على ما كان الطلاب يسمونه عزوا او  
احلاساً. وفي هذا المضمار وقعت لي امور مضحكة.  
ففي احدي الليالي بينما كنت سائراً حواء  
الساعة التاسعة - وفي تلك الساعة نقل التحول -  
في الشارع الاكبر اذا بي اشاهد دكاناً لبيع  
الحوى وفي داحله محفل من الزبيب فوق منضدة  
فاسرت في السبر ونقدمت وامسكنه في عذوت

فعدا ورائي بائع الحلوى وبعض الخدام والجيران،  
وبما اني كنت احمل القفة تيقنت انهم سيلحقون  
بي رغما عن اني كنت اتقدمهم اذاك. فحين درت  
حول احدى الزوايا جلست فوقها ولففت رجلي  
بالمعطف سريعا واخذت اقول ورجلي في يدي:  
«آه غفر الله له. لقد داسني، فسمعوا مني هذا  
القول: وحين وصنوا الي اخذت اقول: «استحلفكم  
بهذه السيدة الرفيعة، واضيف ائيبها العبارات المألوفة  
اللائبة: «في ساعة نحس وبسبب هوا» فاسد (4)، اما  
هم فاقبلوا بزعمون وقالوا لي: «همل مر من  
هنا رحل ما ايها الاثيم؟» فقلت: «نعم لقد تقدمكم  
وقد داسني هنا حين مر. والحمد لله».

فما كادوا يسمعون جوابي حتى استأنفوا  
العدو وابتعدوا وبقيت وحدي فحملت القفة الى

---

14 هذه عبارات كان المتسولون يرددونها  
في ذلك العهد وفحواها انهم اصبوا بما اصبوا  
به من الكوارث في ساعة نحس وبسبب هوا  
فاسد.

الدار وقصصت اللعبة التي لعبتها ولم يربدوا  
 تصديقي مما حملني على دعوتهم الى الليلة التالية  
 ليروني استلب الصناديق فجاءوا وحين ابصروا  
 ان الصناديق داخل الخانوت وانى لا اقوى على  
 اخذها بيدي اعتبروا استيلائي عليها من رابع  
 المستحيلات وخصوصا ان بائع الحلوى - بعد ان  
 جرى امر ما جرى لصاحب الزبيب - كان نقشا  
 فجئت وحين اصبحت على اثني عشرة خطوة من  
 المكان قبضت السيف الذي كان عبارة عن حذاء  
 ضيق وسببت في رأسه وثا شقيرة وجريت اعدو  
 فدخلت الدكان قائلا: مت وهزرت السيف امام  
 بائع الحلوى. فارتمى طالبا تضرعا بينما كتب  
 ما امر السيف في احد الصناديق فاخرقه وبواضعة  
 خرجته وذهبت به. فتعجبوا كثيرا حين شاهدوا  
 الحيلة وبقوا طويلا من ان بائع الحلوى كان  
 يصب ان يخلصوه قائلا انه دون ذلك قد جرى  
 وان فاعل هذه اللعبة رحل وقع له معه خصماء من  
 قبل. لكنه حين انفت - وكانت الصناديق التي

حول الصندوق التي ذهبت به قد تبعثرت حين  
اخرجته - ادرك الحيلة فاخذ يرسم اشارة الصليب  
وبكرز رسمها مرارا ومرارا. واعترف اني لم النذ  
قط بشيء كهذا. وكان الرفاق يقولون اني اقدر  
وحدي على تمويز البيت من جني غزواتي وهذا  
في لغة الشطار (٥) مرادف للسرقة.

وحيث كنت فتيا ورأيتهم يشنون على مياتي  
في النجاة من هذه المكاييد دفعني ذلك على مواصلتها  
ففي كل يوم كنت ارد وحول ازري بعض جزار  
استلبتها من الراهبات طالبا منهن ان يسقينني  
وقد حملهن ذلك على ان لا يعطين شيئا دون  
ضمانة سابقة. ووعدت ضون دييغو وجميع الرفاق  
بان اسلب الحراس الليليين انفسهم سيوفهم ذات  
ليلة. فعينت الليلة وذهبنا معا وانا في الطليعة.  
فحين لحنا عن بعد رئيس الشرطة اسرعت

---

٥ كان الشطار يضعون اسما خاصة لجميع  
الاشياء مختلفة عن اسمائها المعروفة، فتألفت لديهم  
لغة خاصة يتفاهمون ويتعارفون بها.

اليه مضطرباً بصحبة واحد من خدام الدار وصحت  
فأثت: ارجال العدالة؟، فاجابوا بقولهم: «نعم» قلت:  
اعو صاحب الشرطة؟، قالوا «نعم» فركعت على  
ركبتي وقلت: يامولاي! بين يديك دوائتي وانتقامي  
وخير كبير للرعية. واذا كنت راثبا في القبض على  
مجرم كبير فاسمح لي بان اسمعك كلمينز على  
حدة فمال الى ناحية بينما كان الجلاوزة يجردون  
سيوفهم والامورون يضعون ايديهم على العصي.  
وفلت له: يا سيدى! لقد جئت من اشبيلية متعبا  
سنة رجال من كبار المجرمين كلهم لصوص وقتلة  
وبينهم واحد قتل امي واخي ليسرقهما وهذه الجريمة  
ثابتة عليه، وهؤلاء اللصوص قدموا مرافقين حسبما  
سمعه يقول: جاسوسة فرنسية، ومما سمعته منهم  
يلوح لي انها جاءت - وهنا خفضت صوتي - من  
جانب انطونيو بيريث (6) فعند ما سمع صاحب

---

(6) كان هذا كاتمه اسرار الملك فيليب الثاني  
تم غضب عليه فالتجأ الى فرنسا سنة 1593 وفيها  
توفي سنة 1611

الشرطة اسم انطونيو بيريث قفر قفزة في الهواء  
وقال: «واين هم الان؟» قلت: «في الفندق. واني  
ارجو حضرتك ان لا تتأخر» وارواح امي واخوتي  
ستكافئك بصلواتها. والملك سيكافئك ايضا. قال:  
الى الامام ولا تتأخر، اتبعوني كلكم! اعطوني ترسا  
قلت بعد ان ملت به ناحية من جديد: «ياسيدي  
ان عملت هذا فانت هناك لامحالة. وانما المناسب  
هو ان يدخل الجميع واحدا واحدا بلا سيوف لاز  
الصوص في الغرف ومعهم مسدسات صغيرة» فاذا  
رأوا اناسا يدخلون حاملين سيوفا، وهم يعرفون  
انه لا يحملها سوى رجال العدالة اطلقوا مسدساتهم  
فالأوفق حمل الخناجر ومبارزتهم من الورا والقاء  
القبض عليهم لاننا كثيرون فانطلقت الحيلة على  
صاحب الشرطة بسبب طمعه في القاء القبض عليه  
واننا هذا بلغنا الى مقربة من الفندق. فنبهت  
صاحب الشرطة فامر بنزع السيوف واخفائها تحت  
الاعشاب في حقل يكاد يكون محاذيا للدار فوضعوها  
وساروا في طريقهم. وكنت انا قد اشرت على

الخادم الذي رافقني يان يستولى على السيوف حالا حين يتركونها ويذهب بها الى الدار. ففعل حسبما اشرت عليه وحين دخل الجميع الفندق بقيت في المؤخرة وبما انهم دخلوا ممتزجين باناس آخرين كانوا داخلين ايضا تسلمت الى زاوية الشارع وانصبت منها في زقاق ينتهي بالقرب من لايبغوربا، عاديا كالغزال.

ما هم فدخلوا وانا يجدوا احدا قد يكون هناك سوى طلاب وتظار - وكلاهما واحد - اخذوا يبحثون عني ولم يعثروا عني فدخلهم لريب من امرى وذهبوا الى حيث تركوا سيوفهم فلم يجدوها. ومن ذا الذي بقص ما قاء به صاحب الشرطة تلك اللبلة من المراجعات لدى العميد؟ فقد دخلا جميع المازل وكشفا عن الاسرة وبلغنا دارنا اما انا فلكى لا يعرفونني كنت مرتعيا على السرير وقد لففت مندبلا حول رأسي وحملت شمعة ناحدي يدي وصلسا بالآخرى ووقف الى جانبي احد الرفاق متزيا بزي كاهن يساعدني



لانتقبل الموت بينما كان الآخرون يصلون مرددين  
 'اطلبات. فوصل العميد وصاحب الشرطة. وما ان  
 رأوا ذلك المشهد حتى غادروا الغرفة دون ان  
 بخطر ببالهم انه من الممكن ان تكون اسلحة الحراس  
 فيها. ولم ينقبوا البتة. وانما اقتصر العميد على  
 مقدمة صلاة قصيرة من التي تقدم عن الموتى لراحة  
 نفسي، وسأل الحاضرين عما اذ كنت قد انتطعت  
 عن الكلام. فأجابوه بالايجاب، وخرجا ينلمظان  
 غبضا لعدم وقوعهما على اي اثر والعميد يقسم ان  
 يسلم المذنب متى عثر عليه الى يد العدالة، وصاحب  
 الشرطة يغلف الايمان بانه سيعلقه على اعواد  
 السنقة ولو كان من اناء الاشراف.

وبعد ذلك قمت من الفراش. وما زال الناس  
 في القنعة يتذكرون هذه الحيلة حتى اليوم (7)  
 ولثلا اطليل الكلام اضرب صفحا عن وصف

---

7 يقول مؤلفو «محكمة الانتقام العادل» (ص  
 62) من المحتمل ان تكون هذه الحادثة قد  
 جرت حقيقة وان يكون كيبيدو نفسه بطلها،

كيف اني اخذت سوق البلدة جبلا فكنت اغذي  
مدخنة الدار طيلة السنة من صناديق الجزارين  
والصاغة ومناضد البقالات - اذ لم انس قط ما  
اصبت به من اهانة يوم انتخبت ملك الديوك، (8) -  
كما اني اتجاوز عن الضريبة التي كنت اتقاضها  
من مزارع الفول والكروم والبساتين المجاورة  
فيهذه الامور وغيرها اخذ نجمي يعلو نجوم النقبة  
في سماء الشظارة والحيلة. وكان الاسياد يحمونني  
ويتشؤونني وقلما يتركونني في خدمة ضون دبيغو  
الذي لم احد قط عن احترامه لما كان يكنه لي  
من الحب الشديد.

---

## ١٥ انظر الفصل الثاني

## الفصل السابع

في رحلة ضون ديجو واستخباري بوفاة والدي  
وما عرّمت عليه في شؤوني للمستقبل

---

وفي هذه المدة يلقى ضون ديجو من والده رسالة ضيّفا رسالة أخرى بعث بها الي أحد اقاربي واسمه الونصو رامبلون. وهو رجل متصف بكل فضل ومعروف في شقوبية لعلاقته بالعدالة، اذ ان جميع الاحكام التي نفذت هناك منذ اربع سنوات كان هو منفذها. اجل! لقد كان جلادا ولكنه كان نسرا في هذه المهنة. وان رؤيته وهو يقوم بها كان لما يدفع المرء الى تمنّي الموت شنقا وهذا نص الرسالة التي بعث بها الي من شقوبية الى القلعة:

رسالة

«ولدي بابلوس - اذ كان يدعوني ولده

لشدة حبه لي - ان المشاغل الكبيرة في هذه المدينة  
 حيث استعملني صاحب الجلالة حالت دون قيامي  
 بهذا الامر لانه ان كان في خدمة الملك من شر  
 فهو كثرة العمل وان كان لنا عوض عن ذلك  
 في الشرف بخدمته. وانه ليؤمني ان اوافيك باخبار  
 غير سارة. فوالدك توفي منذ ثمانية ايام وقد ابدى  
 عند وفاته من الشجاعة ما لم يبده حتى اليوم رجل  
 آخر عند ملاقة الحمام. اقول هذا بلسان من رفعه  
 على الاعواء. فقد امتطى الان دون ان يدخل  
 رجله في الركاب وارتدى قميص الاعداء فكانت  
 كأنها فصلت له. ولم يكن كل من رآه على هذه  
 الهيئة مسبوقا بالصلبان الا ليعتقد بانه سائر الى  
 المشنقة. وكان يقدمه بلا تصنع ملنفا الى التوافد  
 محييا بأدب جميع من اهلوا اشغالهم ليشاهدوه.  
 واصلح شاربيه مرتين. وكان بامر المرشدين بان  
 ياخذوا قسطا من الراحة بينما يغدق الثناء على ما  
 يفوهون به من كلام حسن وجميل. واخيرا بلغ  
 المشنقة ووطأت احدى رجليه درجها. ولم يصعده

زاحفا ولا مמהلا. واد رأى احدى المراقبي منلفة  
 التفت نحو مأمور العداة وقال له ان من الواجب  
 اصلاح تلك المراقبة لشخص آخر لان الجميع لا  
 يملكون رباطة جأشه. وان قلبي لعاجر عن وصف  
 الاستحسان الذي قوبلت به هذه الملاحظة من جانب  
 الجميع. ثم جلس فوق وازاح الى الورا تجعدات  
 الملابس وتناول حبل المشنقة واداره حول عنقه  
 وحين رأى الراهب يحاول ان يعظه التفت اليه  
 قائلا: ايها الاب! اني اعتبر العظة قد القيت فهات  
 شيئا من فعل الابمان ولنكمل سريعا لاني لا اود  
 ان يقال اني مسهب وهكذا كان. واوصاني ان  
 اضع له الكسة من جانب وان امسح لعابه. وهكذا  
 فعلت فسقط دون ان تنقبض رحله 'وباني بحركة  
 وبفي محنوبا بوقار لا برجى وراءه وقار. فقطعنه  
 ربعاً 11 وجعلت الطريق له احدا والله يعلم كم

---

11 كان من جملة العادات القديمة ان تقطع  
 حنة الحرم بعد قتله اربع قطع وتعرض كل منها  
 في احدى الامكنة العمومية.

يعز علي ان اراه غنيمة باردة تنتيشها الغربان  
اكن في ظني ان صانعي المعجنات في هذه الدنيا  
سيعزونا بايوائهم اياه في المعجنات التي تساع باربعة  
دراهم الواحدة (2)

اما من حيث والدتك فانها وان تكن ما  
زالت قيد الحياة فالكلام عنها قد يكاد يكون شبيها  
بما سبق: وذلك انه مودعة في سجن محكمة  
النفش في طائلة لانها كانت ننشر الموتى دون  
ان تكون نامة. ويغال انها كانت تقبل كل ليلة  
فحة في العين الفايدة انسانها. ووجد في داره  
من السيقان والاذرع والرؤوس ما لا يوجد في  
كنيسة عجائبية واقل ما كانت تقوم به رفق

---

(2) اشارة الى اشاعة رائحة اذاك مفاهء ان  
بعض صانعي المعجنات كانوا يسنبون لحوم  
الموتى ويدخلونها في مصنوعاتهم وقد وردت هذه  
الاشاعة في عدة مؤلفات من ذلك العبد كرس  
المبحث التاريخي اذ كنت فيها في مسدد عسى ان  
من الصحة

البكارة واعادة العفاف الى العذارى. وبقية ال انهاء  
اشتركت في الطواف الذي اقيم يوم عيد الثاوث  
الاقديس لاربعمائة من المحكوم عليهم بالموت واني  
أتالم لما يلحقنا بسب ذلك من العار جميعا وانا  
بنوع خاص لاني بعد كل شيء من موظفي الملك  
وهذه القريبى لما يشيننى.

يا بنى! ان والديك قد خلفا هنا مالا مخبأ  
قد يقارب الاربعمائة دقة. وانما انا خالك وكر  
ما لي سائر ان يدك حتما فبوسعك اذا ان تاتي  
الي وبما نعرفه من اللغة اللاتينية والخطابة يمكنك  
ان تصبح بارعا في فن الجلادة اجني حالا حفظك  
الله الخ...

ليس بوسعي ان انكر اني اسفت جدا لهذا  
العار الجديد لكنني فرحت نوعا ما. اذ ان من  
مفاعيل عيوب الاباء انها تسلي الابناء في مصائبهم  
مهما عظمت. فاسرعت راكضا صوب ضون ديبغو  
وكان يقرأ رسالة ابيه وفيها يامر بالرجوع وبالا  
يستصحبني معه يا كان قد نلغه من حالي وتصرفاني

فأخبرني على ما أمره به والده وقال لي أنه يؤمنه  
 أن يتركسي وإن كان يؤمني في الواقع أكثر منه  
 وأضاف قائلاً أنه يدبر لي البقاء في خدمة صديق  
 له من النبلاء فضحكت من كلامه وقلت: يا سدي  
 لقد أصبحت شخصاً آخر كما أن افكاري قد تبدلت  
 أيضاً. وهنا نذا حيرت انطلع إلى العلى وينبسي  
 أن ارداد سطوة ومقدرة. لأنني أن كنت أملك  
 حسي السائة حجراً في الحلقة (١٣) ككل واحد من  
 هي فيها أن والدي (١٤)

وأخبرته كيف فارق الحياة ابناً شريفاً وكيف

---

١٣ كانت العادة أن يجتمع الناس للمحديث  
 فيؤلفون (حلقة) يجلس فيها كل على حجر. وكان  
 لكل واحد من ذوي المكانة حجر خاص لا يجلس  
 عليه أحد فاصح القول عن واحد أن له حجراً  
 خاصاً في الحلقة مرادفاً للقول نانه ذو مكانة  
 وأصبار.

١٤ أني المؤلف هنا بتلاعب في كلمة حلقة،  
 فمقصود بها ثانياً المنسقة



قطعوه رباعا وكيف كتب لي خالي الجلالد عن هذا  
وعن حبس والدتي. وقد امكنتني ان اكشف عن  
نفسي امامه دون حياء لانه يعرفني حق المعرفة.  
فتاسف كثيرا وسألني عما افكر ان اصنع فاعلمته  
بما عزمتم عليه. وفي اليوم الثاني توجه ضو  
ديغو الى شقوبية والالم يحز نفسه وبقيت انا في  
الدار مخفيا مصيبتى. واحرقت الرسالة لئلا تضيع  
فتمنع بين ايدي شخص آخر ويطلع على ما فيها.  
واخذت اعد العدة للسفر الى شقوبية بقصد الاستيلاء  
على امواني والتعرف على اقاربي كي ابتعد عنهم.

## الفصل الثامن

في الكلام عن الطريق بين القلعة وشقوبية

وما جرى لي فيه حتى ربخاس (1)

حبث بت تلك الليلة

وحان يوم انفصالي عن خير حياة ارى نفسي  
فقضيتها. والله يعلم كم آلمني ترك هذا العدد الوافر  
من الاصدقاء والمعجبين بي، فبعث سرا للمسكر  
ما كنت املكه ومن ثمنه وبفض بعض الاكاذيب  
جمعت ما يقرب من ستمائة بلموز. ثم اكتربت  
نغلة وغادرت المثوى الذي لم تكن لي ان اخرج  
منه سوى ظلي. من لي بسخير عن غم الاسكاف  
ندنه عبي ونتاجهاات الوصفى على احربها وصباح  
رب الدار على الكرا؟ فالواحد كان يقول: *الحب*

---

1، ربخاس Rejas قرية من مقاطعة سوريا

كانت نفسي تحدثني بهذا دائماً ويقول الآخر:  
«اجل! عن حق كانوا يقولون لي انه مخادع،  
وبالاختصار خرجت محفوقا بعطف البلدة واحترامها  
الى حد اني تركت بغياي نصف اهلها ليكون  
والنصف الآخر يضحكون ممن يكون».

وبينما كنت اقطع الطريق متاملا في هذه  
الأمور اذا بي التقى بعد مجاوزتي طوروتى (2)  
رجل يمتطي حصانا يخاطب نفسه ويمشي مسرعا  
وهو غارق في بحر أحلامه بحيث لم يرنى مع اني  
كنت قد وصلت الى جانبه فادلته التحية وسألته  
الى اين وبعد ان اجبنا كل على سؤال الآخر  
اخذنا نبحث فيما اذا كان الترك مزمعين على  
الترحف وفي قوات الملك واخذ يشرح لي كيف  
يمكن احلال الاراضي المقدسة وكيف ان الجزائر  
واقعة بين ايدينا لا محالة ففهمت من خلال حديثه

---

(2) طوروتى Torote جدوا ينبع في مقاطعة  
وادي الحجارة وينصب في نهر هاربس بين القلعة  
وطوربخون

انه مصاب بوسواس الاصلاح العمومي والحكومي (3) وواصلنا هذا الحديث المألوف بين الشطار متنقلين من موضوع الى آخر حتى انتهى بنا الى الكلام عن فلانديس، وهنا شرع صديقي بتتيد وبقول: ان هذه الولايات نكلفتني اكثر مما تكلف الملك حيث قد مرت علي اربع عشرة سنة وانا اخوف بمشروع من شأنه لو لم يكن مستحيلا ان يضع حدا فاصلا لكل هذه المشاكل فقلت: واي امر هو هذا الذي فيه ما نذر من نفع كسر لكه مسنحيل وغير ممكن التحقيق؟ فرد علي بقوله: من قال لك انه غير ممكن التحقيق؟ جاب انه يمكن تحقيقه. اما كونه مسنحila فذاك امر آخر ولولا رغبتى في ان لا اؤملك لاحبرتك به غير انه

(3) كانت الفوضى في الشؤون العمومية اذاك سببا لظهور عدد كبير من المؤلفات التي يرمي واصفوها الى اهداء الملك الى سبل الاصلاح فكثرت من جهة اخرى التلميحات انهجائسة الى هؤلاء المصلحين.

سيعرف فيما بعد لاني مصمم الان على طبعه مع  
جملة مشاريع اخرى بينها واحد اطلع فيه الملك  
على وسيلة لاحتلال مدينة اوسطند (4) من بطريقين،  
فرجوته ان يخبرني بهما. فاخرج من جيبه رقعة  
رسم عليها حصن الاعداء وحصننا وقال: انك ترى  
ان الصعوبة كلها ليست الا في هذه القطعة من  
البحر، فانا آمر بامتصاص ما فيها من الماء بالاسفنج  
فيزول ذلك الفاصل فما سمعت هذا الهذيان حتى  
بدرت مني قهقهة عالية فنفرس في قائلا: لم ادل  
بهذا الامر لاحد الا ضحك كما ضحكت انت لانه  
يبعث في الجميع فرحا كبيرا، قلت: ولا شك اني لم  
اسمع قط امرا اكثر جدة وامتن اساسا من  
هذا. ولكن فأت حضرتك انه متى امتصت المياه

---

(4) دامت محاصرة الجيوش الاسبانية تحت  
قيادة المركس دي سبينولا لهذه المدينة من شهر  
يوليو (تموز) سنة 1601 الى ستمبر (ايلول) من  
1604 وهذه الاشارة نسمح بنعيين تاريخ وضع هذا  
الكتاب.

الموجودة حيث عاد البحر فدفَعَ إلى مكانها مياهاً  
 أخرى، فقال: ولن يصنع البحر هذا لأنني استدركت  
 هذه القضية أيضاً. فضلاً عن ذلك لدى اختراع  
 لأغرق في البحر اثنتي عشرة ولاية من تلك الناحية  
 فلم اتجرأ على رد كلامه خوفاً من أن يقول لي  
 'أن لديه مشروعا لاسقاط السماء إذاني لم أرقط  
 في حياتي حمقا يعادله. وقال لي أنت ما فعله  
 خوانيلو (١٥) ليس شيئا وإنما يحاول هو لأن رفع  
 كل مياه نهر ناجة إلى طليطلة بطريقة أخرى  
 أكثر سهولة وما سألته عن هذه الطريقة قال إنما  
 هي من باب السحر والتعزيم. فنامت رعاك الله إذا  
 كان أحد في العالم قد سمع شيئا آخر كذلك.  
 وأخيراً قال لي: واني لا أفكر في تنفيذ هذا  
 المشروع إذا لم يعطني أمثلك أولاً رتبة دبراد وودك

---

(١٥) خوانيلو Juanelo خوانيلو طوريانو - أصله  
 من كريمونا وقد تمكن من رفع مياه نهر تاجه إلى  
 أعلى نقطة في طليطلة بأسلوب استنبطه وظل قائما  
 نحو ثلاث قرن على عهد فيليب الثاني

من حقى الصريح لأن لدي حكماً قديماً ينبت  
انمائى الى طبقة الاشراف . وبين هذه المحادثات  
والمباحثات بلغنا بلدة طورخون (6) حيث بقي  
رفيقي اذ اقبل اليها لمشاهدة احد اقاربه..

اما أنا فواصلت السير وقد كدت اموت  
ضحكا من المشاريع الخيالية التي كان رفيقي يقضي  
فيها وقته. واذا بي لحسن الحظ اشاهد عن بعد بغلة  
طليقة والى جانبها رجل واقف ينظر في كتاب  
ثم يرسم خطوطا يقيسها ببركار ثم يدور ويقفز من  
جهة الى اخرى وبين فترة وفترة يضع اصبعاً فوق  
الاخر وبعود الى القفز آتياً بحركات لا تعد ولا  
تحصى. فحسبته لاول وهلة ساحراً - اذ وقفت  
بعيدا انامله - وكدت لا اجراً على التقدم واخيراً  
عزمت على ذلك وحين وصلت اليه احس

---

(6) طورخون Torrejón اسم بلدة من مقاطعة  
مدريد، والاسم نفسه مستعمل لعدة قرى اسبانية  
لكنها تتميز بعضها عن بعض باسم آخر تضاف  
اليه هذه اللفظة النى معناها «البرج الصغير»

بي فاعلق الكتاب وحين وضع رجله في الركاب  
 زلت به فسقط. فرفعته وقال لي لم احسن احتساب  
 الحد الاوسط لاصنع الدائرة عند الركوب فلم  
 افهم ما قاله لي. ثم خفت مما كان لان النساء  
 لم يلدن مولودا اكثر حمقا منه. وسألني اذا  
 كنت اسلك في اتجاهي الى مدريد خطا مستقيما  
 او منكسرا فاجبته ان منكسرا دون ان افهم  
 كلامه. ثم سألتني عن السيف الذي كنت احمله  
 مدلي فوق حنبي فقنت انه لي. وبعد ان تأمله قال.  
 من لو احب ان يكون جانبا المقبض اطول مما  
 هما عليه الان لا تقا الجراح التي يحدثها في الوسط تكرار  
 الطعنات. واخذ يرسل القول مل شذقيه حتى اضطرني  
 الى استفساره عن اية حرفة يحترفها فقال انه  
 فارس حقيقي وان فروسبه نشت في اي مكان  
 كان، قلت وقد هزني الضحك: الحق يقال اني  
 خنتك لأول وهلة ساحرا حين رأيتك في هذه البرية  
 ترسم تلك الدوائر، قال: انما خطرت لي حولة  
 في الدائرة الرابعة مع الانتقال من نقطة الى



اخرى لعقل سيف الخصم وقتله دون ان يثبت  
 بينت شقة وكنت اقوم حينئذ بنقل هذا الحائط  
 الى عبارات حسابية.، فقلت: وهل في هذا حساب؟  
 قال: لا حساب فحسب بل لاهوت وفلسفة  
 وموسيقى وطب ايضا قلت: أما الاخير لا اشك  
 فيه لان هذا الفن انما يعنى بالقل فقال: تهزأ  
 فانك ستعلم الان كيف ستعمل الفرجون ضد  
 السيف لتوسيع الضربات الى حد انها تضم الدورات  
 الحلزونية التي يرسلها السيف قلت: اني لا افهم  
 شيئاً البتة من كل ما تقوله لي. قال: ان هذه  
 الأمور قد وردت كلها في الكتاب المسمى 'مجاد  
 السيف' وهو كتاب حسن جمع من الاعاجيب  
 الشيء الكثير وتصدق قولي ساريك حين فصل  
 اني تلدة ريخاس حيث نيت هذه الليلة ما افعله  
 من الغرائب بواسطة سفودين ولا يكن في نفسك  
 رعب في ان كل من قرأ هذا الكتاب يمكنه ان  
 يقتل كل من اراد، قلت: أما ان يكون هذا  
 الكتاب يعلم الناس شر وسائل الفساد او ان

يكون مؤلفه احد الدكاترة ، فقار: كيف نقول  
احد الدكاترة فحسب؟ اجل ان مؤلفه عالم كبير  
واكاد اقول انه اكثر من ذلك . (7)

وفي هذا الحديث وصلنا الى بلدة رينخاس  
وجلسنا في احد الفنادق وحين نزلنا نبهني  
صوت مرتفع ان اؤلف يساقى راوثة منفرجة ثم  
اقف مستقيما على الارض بعد ضمهما ليصبحا  
منواربين فابصرني صاحب الفندق ضاحكا فصحك  
ندوره وسألني اذا كان ذلك القائد هنديا (8) لما  
سمعه من كلامه، فظننت عندئذ اني فقدت رشدي

---

17 كل هذا المقطع تهكم لاذع على الكاتب  
ضوز لويس بانشيكو دي ناربايث مؤلف كتاب  
عظمة السيف وقد اشرنا مفصلا في كتابنا كبيدو  
امير الظرافة الى الخصومة منه وبين كبيدو وما  
جرت اليه.

18 لعلها اشارة الى ناتشيكو ناربايث لسكاه  
مدة طويلة في الجزائر الخالدات، وكان سكانها  
الاصليون يطلق عليهم كسكان اميركا اسم الهنود.

ثم وصل الى صاحب الفندق وقال له : « اعطني  
ايها السيد سفودين لزاويتيـن او ثلاث واني  
مرجعهما لك بعد هنيهة . فصاح الفندق متعجبا  
يا يسوع ! اعطني هذه الزوايا فان زوجتي  
تستويها وان كانت طيورا لم اسمع اسمها قط .  
فقال : . انها ليست طيورا ، و اضاف بقوله ملتفتا  
الي . . تأمل رعاك الله ما هو عدم المعرفة ، ثم عاد  
الى الفندق وقال : « اعطني السفودين فانما احتاجهما  
للمسايعة وربما كان ما تراني اصنعه اليوم  
خيرا لك من كل ما ربحته طول عمرك . . ولكن  
السفايد كانت مشغولة فاستعضنا عنها بمغرفتين  
وكان مشهد لم تر في العالم مدعاة الى الضحك  
مثيله وكان صاحبنا يقفز قفزة ويقول : بهذا  
الدور ابلع درجات الوجه . الان اغتنم هذه الحركة  
التي بدرت عن توان لاسدد الضربة القاضية .  
هذه يجب ان نكون طعنة وتلك ضربة . . وكان  
يدور حولي بمغرفته تفصلني عنه مسافة واسعة وبما  
اني لم اكن لاثبت في مكان واحد كانت

مسايفته اشبه ما تكون بمطاردة قدر تفور فوق النار. وقال لى: وفي النهاية هذا هو الصالح لانك السكرات التى يعلمها هؤلاء الماكرون من اساتذة المسايقة الذين لا يحبون سوى تعاطى المدام.

وما كاد يفرغ من كلامه هذا حتى خرج من احدى الغرف خلاسي مكشرا عن انيابه برتدى قبعة ادخلت في مظلة وسربالا من جلد الجاموس نحت كساء قصير واسع ذات كمين وقد ملني شرطا معوج الساقين كائنسر الامبراطورى معقوف اللحية، ذو شاربيه من عريضين يقيان 'لوجه' وقد تخلصر بخنجر اكثر ثقونا من شبكة (9) ثم قال وهو يحدق في الارض: انى قد امتحنت وببدي 'لاجازة' فبالشمس النى تسخن الحبز ابي لمقطع ارباكل من حدثته نفسه بامتهان من يحترف

---

(9) يظهر انها اشارة الى فرنسيسكو هرناندث المولاتو (اي الخلاسي) الذى كان من ابرع من نقل السيف في عصره وقد انتقده بانشيكو دي ناربايث في احد كتبه.

الفروسية، اما انا وقد رأيت الموقف حرجا فتوسطت  
 بينهما قائلا للخلاصي انه لم يوجه الحديث اليه.  
 ولذا ليس له من سبيل الى الغضب. فتابع قائلا.  
 'جرد حسامك ان كنت تحمله ولنراية هي الفروسية  
 الحققة. ودعك من المغارف اما رفيقي المسكين  
 ففتح الكتاب وقال بصوت مرتفع: 'هذا الكتاب  
 يقوله. وهو مطبوع برخصة من الملك. وانا أويد  
 صحة ما يقوله بمعرفة او بدون معرفة، هنا وفي اي  
 مكان آخر. والا فلنقس ذلك'. واخرج الفرجار واخذ  
 يقول: 'هذه الزاوية منفرجة، وحينئذ جرد الآخر  
 خنجره وقال: انا لا أدري من هو انغولو ومن  
 هو 'داوبتوسو'(10)، ولم اسمع قط هذين الاسمين  
 ولكنني بهذا الذي في يدي ساقطعك ارباء، وهجم  
 على ذلك المسكين الذي بدأ يفر من امامه قافزا  
 داخل الدار وهو يقول: لست تقدر على جرحي لاني  
 بلغت درجات وجهك فاصلحنا بينهما انا والفندقى

---

(10) 'انغولو، معناها: الزاوية. و 'داوبتوسو،

واشخاص اخرون كانوا هنالك وان كنت اكاد  
لا اقوى على التحرك من شدة الضحك.

ثم ادخلوا الرجل الى غرفته وانا معه. فتعشينا  
ورقد جميع من كان في الدار وعلى الساعة  
الثامنة صباحا نهض بلباس النوم واحد يدور في  
الغرفة تحت جناح الظلام ويقفز ويردد الف حماقة  
بلغة حسابية ثم ايقظني انا ولم يكنف بهذا بل  
هبت الى حيث الفندقى نائم ومطلب منه مشعلاقا  
له انه قد اكتشف محلا نابيا للطعنة المسددة  
مستقبة نحو القوس من وسط وتره اما الفندقى  
فاخذ يستعيد بالشيطان لايقاظه اياه في تلك الساعة  
وشدة ما بالغ في ازعاجه رماه بالحمق. فاذاك تركه  
وصعد الى غرفتنا وقال لى ان احببت ان تنهض  
فانك ترى الحيلة التي اكتشفتها احد الانراك  
وخناجرهم العريضة (11) واطاف قائلا انه سيعرض  
اكتشافه هذا على الملك لانه في صالح النصارى. وهنا

---

(11) في كتاب باتشيكو دي فاربانث درس

في الدفاع ضد الانراك وخناجرهم العريضة

أصبح الصباح فارتدينا ملابسنا جميعا ودفعنا اجرة  
الفندق ثم وقفوا بين صاحبي والخلاسي الذي ابتعد  
بعدئذ وهو يقول ان ما يدعيه رفيقي حسن ولكنه  
ينتج محابيز اكثر منه فرسانا لان الاكثرية على  
الاقل لا يفهمونه.

## الفصل التاسع

في ما وقع لي مع شاعر حتى وصولي الى مدريد

-----

سلكت طريق مدريد اما صاحبي فودعني  
نسلك طريقا آخر وبعد ان كان قد ابتعد عاد  
على اعقبه مسرعا واخذ يناديني بصوت عال اذ  
كنا في "برية حيث لا يسمعا احد وقال لي وفمه  
في ادني: بحياتك الا بحث بشئ من هذه الاسرار  
الخطيرة التي اطلعتك عليها في علم الفروسية بل  
احتفظ بها لنفسك فانك لبيب كيس فوعده بذلك  
ثم غادرني من جديد وشرعت اضحك من السر  
الظريف.

وهكذا قطعت ما يربو على فرسخ دون ان  
اصادف احدا وكنت اسير مفكرا في عظم ما بعرض  
سبيلي الى التخلق بالشرف والفضيلة من عقبات  
كثيرة اذ لا بد لي من سد ما تركه والدائي من نقص



في هذا الميدان ثم الحصول على مقدار كبير بحيث  
تستحيل معرفتي من خلال ذلك النقص. واذ بدت  
لي هذه الافكار شريفة اخذت اشكر نفسي عليها  
واقول في باطنى: «لابد ان اشكر انا الذي  
ليس لي من آخذ الفضيلة عنه اكثر ممن ورثها  
عن اجداده وبينما كنت غارقا في بحر هذه  
التاملات التقيت بشماس عجوز راكب بغلة في  
طريقه الى مدريد. فدار بيننا الحديث ثم سأله  
عن البلدة التي قدمت منها فقلت انها القلعة قال:  
«عمة الله على هؤلاء الاشرار اذ ليس بينهم رجل  
عقل. فسألته كيف ولماذا يقول هذا القول عن بلدة  
كالقلعة حوت ما حوته من كبار العلماء فاجابني وهو  
يحترق غيظا: «واي علماء؟ اعلم رعساك الله اني  
بالرغم عن مرور اربعة عشر عاما علي وانا انظم  
في قرية «ماخالاهوندا» (1) - حيث كنت وافها -  
الاناشيد لخميس الجسد وعيد الميلاد. ولم ير هؤلاء

---

(1) ماخالاهوندا Majalahonda - قرية من

مقاطعة مدريد وتسمى اليوم ماخاداهوندا

الذين تسميهم علماء ان يمنحوني جائزة على بعض  
اناشيد قدمتها للمباراة وها اني ساندوها على مسامحتك  
انرى اجحافهم بحقي في حكمهم. ونبدأ بقرأ مايلي.  
ايها الرعاية! اليس من النكت اللطيفة ان يكون  
اليوم عيد قدس جسد المسيح؟

الا انه يوم حبور بتواضع فيه الحبل الطاهر  
الى حد انه يزور بطوننا وفي وسط هذه الافراح  
بدخل الافواه البشرية  
الا فانفجوا في الابواق الطويلة لان سعادتنا  
به ايها الرعاية

اليس من النكت اللطيفة الخ ..

ثم قال لي: ما عساة ان بقول افضل من  
هذا متدع النكت نفسه؟ نامل ما تنضمه من  
المعاني كلمة الرعاية، فقد كلفني اكثر من  
شهر درسا فلم انمالك من الضحك اندي كان  
يتفجر من عيني وانفى وقهقهت قائلاً: انه نشي  
عجيب! وانما لي عليك اعتراض وهو انك تقول  
عيد قدس جسد المسيح، بينما ان ما يسمى

وجسد المسيح، ليس قديسا من جملة القديسين  
 بل اسم اليوم الذي انشئ فيه سر القربان المقدس،  
 فاجابني هارثا: « ما شاء الله ! اني اريكه في النقيوم  
 حيث تجده مضوبا في عداد القديسين. واني  
 اراهنك على صحة ما اقول. فلم اقول على حاجته  
 لاني كنت اكاد اهلك ضحكا لما رايت من جهله  
 الفاضح. بل قلت ان اتيانه جديدة بكل مكافأة  
 واني لم اقرأ قط شيئا الطف واعدب منها. فقال:  
 « كيف لا ؟ فاسمع اذا لاقرا عليك جزءا من  
 كتيب وضعته اكراما للاحدى عشر الف عذرا  
 حيث اخصر كل واحدة منهن بخمسين منظومة  
 من ذوات الثمانية ابيات واذك لتري عجبا  
 فرحونه تجنبنا لاستماع هذا القدر من ملايين  
 الثمانيات الا يردد على مسامعي شيئا من الالهيات  
 وهكذا اخذ يتلو علي مهزلة اكثر مراحل من  
 طريق القدس. وكان يقول لي: لقد وضعتها  
 في يومين، وانما هذه هي المسودة. وكان ما بين  
 يديه بربو على خمس ملازم اما عنوانها فهو « سفينة

نوح ، وتدور حوادثها بين الديوك والفييران  
والخيل والتعالب والخنزير الوحشية كما في حكايات  
جحي. فاثبتت على حق ابتكارها ونظمها فاجابني  
قائلا: «ان ذلك من ابتكاري» ولم يسبقني اليه  
احد وانما الجدة فوق كل شي. وان تمكنت من  
حملها الى المسرح فستلج الاسنة كلها بذكر  
هذا الحدث ، قلت: امن الممكن تمثيلها ما دام  
انه لا بد من مشاركة الحيوانات فيها وهذه لا  
ننطق؟ قال: اجل، انما هذه هي العقبة الكأداء  
ولولاها لما كان لهذه الرواية من متبر ولكنني  
فكرت بحملها الى المسرح مسنملا فيها البيغاوات  
والشعاريير والعقاعة النى تنطق. وفي المشاهد  
الهزلية التي تمتل في الفترات المتخللة بين فصل  
وآخر استعمل القردة»

قلت: «لقد صدقت في منظومة رفيعة جدا»  
قال: «انما نظمت ما هو ارفع منها احراما لامرأة  
اخبرها انها هي تسعمائة منظومة ومنظومة من  
الرباعيات - فكان كأنه يحصى الدراهم فانفر -

نظمتها متغزلاً بساقي مولاتي، فسألته هل رآها  
 فاجاب ان لا لارتباطه بحرمة الكهنوت ولكن  
 الافكار التي ابتدعها قد احييت نبوءات وانا  
 اعترف حقاً اني بالرغم عن طربي باستماعه خفت  
 من مقدار كهذا من الشعر الردي فحولت الحديث  
 الى محار اخرى وكننت اذا قلت له انني ارى  
 ارناب قال: سأبدأ اذا بقصيدة اشبههما فيها بهذا  
 الحيوان، واخذ يتلوها. فاقول لانه: هل ترى  
 تلك النجمة التي تشاهد نهرا، فيقول: حين افرغ من  
 هذه ساقرأ عليك القصيدة الثلاثين حيث اسميها  
 نجمة فكأنك تعرف مرامي في هذه القصائد، وحين  
 رأيت اني لا افدر ان اسمي حاجة لم ينظم حولها  
 جهالة ما حزنت الى حد اني احسست بغبطة واسعة  
 حين اطلنا على مدريد مؤملا ان يسكت حياً  
 وخجلاً. وانما جرى الامر بالعكس اذ اخذ يرفع  
 صوته حين دخلنا الشارع ليظهر عن نفسه. فرجوته  
 ان يعدل عن ذلك مبينا له انه اذا اشم الصغار  
 منه رائحة الشعرا فلن تبقى واحدة من بقايا

البقول الا رميناً بها الرمي الشعراً بالحمق في مرسوم  
 وضعه ليهم واحد كان من جملتهم ثم عاد الى  
 الصراط القويم. فسألني جزعاً ان اقرأه له ان كان  
 لدى منه نسخة. فوعده بان اقوم بذلك في النزل.  
 وقصدنا نزلاً كان من عادته ان يحط رحاله فيه  
 فوجدنا على الباب اكثر من اثني عشر اعمى.  
 فبعضهم عرفه من رائحته والبعض الآخر من صوته  
 وهللوا مرحبين به فعانقهم جميعاً ثم اخذ فريق  
 منهم سألته صلاة للقاضي العادل شعربة حكمية  
 يحمل على القطب وسأله فريق آخر صلاة من  
 النوع ذاته من اجل نفوس الموتى واخذوا يسهبون  
 في الكلام حول هذا الموضوع وتناول رقيق ثمانية  
 دلايين عربونا من كل واحد منهم. وصرفني ثم قال لي:  
 لا بد ان يدر على هؤلاء العميان اكثر من ثلاثمائة  
 بليون فاسمح لي الان ان اخلي قليلاً لانظم بعضها.  
 وحين نفرغ من تناول الغذاء نسمع قراءة المرسوم:  
 يا للحياة البائسة! اذ ليس ما يعادل بؤسا  
 حياة المجانين الذين يكسبون قوتهم بجنونهم.

## الفصل العاشر

في ما فعلته في مدريد وما جرى لي حتى وصلت  
الى ثرنديا (1) حيث بت ليلتي

---

اخلى الوافه قليلا ليعد للعميان خرافات  
وترهات وخلال هذا حانت ساعة الغداء فتغدينا  
ثم طلبوا ان تقرأ البراءة، وحيث لم يكن لدى  
شغل آخر اخرجتها وقرأتها. وها اني انقلها هنا لما  
فيها من قارص الكلام وصالحه لما اريد التأنيب  
عليه فيها وهذا نصها:

براءة بشأن الشعراء الخالين من كل معنى  
وفائدة وجوهر.

---

(1) ثرنديا Cercedilla بلدة من مقاطعة مدريد  
تقع على مقربة من الاسكوريال وهي من اماكن  
الاصطياف.

وما كدت أقرأ هذه الترجمة حتى صعد  
 الوافه قهقهة كبيرة وقال : علام لي تصرح سابقا؟  
 فوالله لقد ظننتك في بادئ الامر تعينى بكلامك  
 واذا به موجه الى الشعراء الخالين من فائدة وجوهر  
 فحسب، فاعتجبنى قوله هذا كما لو انه من الشعراء  
 المجيدين الذين لا تحصى لهم فلتة. ونركت المقدمة  
 وشرعت بقراءة "الفصل الاول" وقد جاء فيه ما ياتي:  
 "حيث ان افراد هذا النوع من الحيوان المعروفة  
 بالشعراء هم اقاربنا وتجمعنا وائاهم انصرافية وان  
 كانوا فيها من الواهين: وحيث انهم يقضون  
 طيلة سنتهم في عبادة الحواجب والاسنان والشرط  
 الحيرية والاختاف وارتكاب معاصي غلط واكبر  
 - عامر ان يجمع الشعراء العموميون والفاجرون  
 خلال اسبوع الالاء كما تجمع النساء "باغيات  
 ويرشدوا للرجوع عن غواينهم وان يسعى لردهم  
 الى حظيرة الايمان. واننا نعين لهذه العاية دورا  
 لا يوا التائين.

وايضا وبالنظر الى القيث الشديده السائد على



ما ينتجه شعراً شمس من منظومات حارة لا ترى  
الليل ابدا - وهي كالزبيب ذبولا لكثرة ما  
يستعملونه فيها من شمس وكواكب - نفرض  
عليهم الصمت المطلق في شؤون السماء (2) ونعين  
اشهر محرمة على ربات الشعر كما توجد اشهر  
محرمة للمصيد والقنص لكي لا تنفذ من جراء هذه  
السرقة التي ينفقونها بها.

وايضا حيث ان هذه الطائفة الجينمية من  
الرجال المحكوم عليهم بالتصور الدائم (3) الذين  
جعلوا دينهم تشزية الالفاظ وقلب المعاني قد  
اعدوا النساء من مرضهم هذا نعلن اننا نعتبر  
انفسنا متأورين بهذه الصفقة من الشر الذي حملنا  
اباه في بدء العالم واننا حبا بالفقراء المحتاجين  
نامر بان تحرق قصائد الشعراء كما تحرق الاهداب

---

(2) يقصد بها الكواكب

(3) النصور - الشعراء التصوريون هم الذين  
غالوا في اتباع مدرسة غونغورا وكان كيبيدو من  
الاعدائهم

القديمة ليستخرج منها الذهب والفضة والدرر.  
لأنهم في معظم اشعارهم يجعلون محبوباتهم من  
كل انواع المعادن.

وهنا لم يقو الوافه على تحمل هذا القول  
فانصب واقفا وقال: لا بل الاولى ان نجرد من  
اموالنا كفاك قراءة فاني عازم على رفع دعوى  
بعيد الشأن لا بالالف والخمسمائة (4). بل اى قاضي  
انا ثلا امس ثوبي الاكليريكي وكرامتي بضرر.  
وسائق كل ما لدي في ملاحقة هذه الدعوى  
والا لس من الحيف ان اتحمل انا هذه الالهانة  
لانى اكليريكي؟ وانى سائبت ان قصائد الشاعر  
الاكليريكي لا تخضع لهذه البراءة واريد بعد ذلك  
ان ابين الامر امام القضاء وعند ما سمعت منه

---

(4) الف والخمسمائة استئناف نهائي كان  
النظم فيه لاحدى غرف مجلس قشانة. فالدعوى  
التي لم تنجح في بقية درجات المحاكم كانت تستأنف  
اليها نهائيا. بعد ان يودع المستأنف (1.5.11) دويلا،  
ومن هنا بقى هذا الاسم.

هذا القول ساورتنى الرغبة في الضحك ولكني  
منعاً للتوقف - اذ كان الوقت قد فات - قلت  
له: يا مولاي! ان هذه البرائة انما قد وضعت من  
قبيل المداعبة ولا جبر فيها ولا ارغام لانها خالية  
من كل سلطة، فقال وهو يضطرب يا لبي من  
خاطي! ولقد كان الاجدر بك ان تنبهني الى  
ذلك اولا فتوفر علي اكبر هم. اتعرف اي وقع  
لكلام كهذا في نفس من لديه ثمانمائة الف منظومة  
نقداء تابع القراءة والله يسامحك على ما احدثته في  
قلبي من دعر وهلع، فتابعت قائلاً:

وايضا حيث انهم بعد ان تخلوا عن اسلاميتهم  
- وان كانوا ما برحوا يحفظون ببعض الآثار -  
احترفوا حرفة الرعاة فترى الماشية هزيلة لشربها  
دموعهم وتشيطها بنفوسهم الملهبة كما ان موسيقاهم  
فسحر البانها فلا تكلل - نامر ان يتركوا هذه  
الحرفة وان تعين مناسك يلتجئ اليها تحبو العزلة  
منهم اما الآخرون منهم فلينصرفوا الى سياسة الخيل

لأنها حرفة تتيح مُحترفها الفرح والفرصة لصب  
قوارص لسانه.

فصاح الوافه قائلاً: لا بد ان يكون واضح  
هذه البرائة يهوديا متخشا لواط دا قرون . ولو  
علمت من هو لهجوته هجا مرا يرزح نحتنه الى  
الاند وما قولكم في ان فنى أمرد مثلي يحب عليه  
ان بنعزل في منسك او ان رجلا وافها يحب ان  
ينصرف الى سياسة البعالي؟ مهلا أيها السيد ان  
هذه الإهانات لا تطاق فقلت: فقد قلت لك سابقا  
انها مداعبات وكمداعبات يجب ان تؤخذ  
واصليت القراءة:

وأیضا منعاً للسرقات الكرى تاب ان لا  
نفل فصائد من اراعون الى قشاة ولا من ابطانيا  
الى اسبانيا. ويعاقب الشاعر الذي يرتكب هذه المخالفة  
باجباره على تحسين زيه وان تكررت المخالفة يجبر  
على ان يكون نظيفا طيلة ساعة فوقعت هذه  
النكتة من نفسه موقعا حسنا لانه كان برندي  
جبة خلقا وعليها من الوحل ما يكفي لدفنه

بفكرها فوقه اما الشملة فكانت وحدها كافية  
لتسميد فدانين من الارض

وهكذا بين هزل وجد قلت له ان البراة  
قامر ايضا ، بان تدرج بين اليائسين الذين يشنقون  
نفوسهم او يرتمون من على النساء اللواتى يعشقن  
رجالا ليسوا سوى شعراء. وان يحرم من مثلهم من  
الدفن الدينى. واننا بالنظر الى وفرة الغلة التى  
حصلت من رباعبات واغانى وقصائد من ذوات  
الاربعة عشر بيتا خلال هذه السنوات الخصبه قامر  
بان تحال الملفات التى تنجو من ايدي التبالين  
الى المراحىض دون مراجعة، وختاما وصلت للفصل  
الاخير وقد جاء فيه ما يلي:

ولكن بعد الاطلاع بعين الرحمة على ان  
في المجتمع البشرى ثلاثة انواع من الناس هم من  
البؤس بحيث لا يمكنهم ان يعيشوا بدون هؤلاء  
الشعراء نعى بهم المثلين الهزليين والعميان  
والوافهين، فنامر بان يسمح بوجود بعض المتدرجين  
في هذا الفن على ان ينالوا اجازة من شيوخ

الشعراء الذين في جهاتهم. وبأن يحرم على ناظمي  
 المهازل انباء الفصول المضحكة بقرع العصي وظهور  
 الشياطين، والروايات الهزلية بالزواج. وعلى  
 العميان بايقاع الحوادث في تطوان وباقصاء كلمات  
 اخوى و«شرف» (٥) ونامرهم بالأيقولوا هوى،  
 حين يقصدون قول «هذا المؤلف» (٦) ونامر الشعراء  
 من الوافهين ان لا يستعملوا في اناسيدهم اميلادية

(٥) انما المقصود اقصاص كل مني «اخوى»  
 و شرف على الشكل الذي اسعملنا به هكذا hermanal  
 للاولى و pundonores للثانية وهو استعمال خاطئ.  
 (٦) تلاعب في الكلام لا يمكن تعريبه لانه  
 قائم على تقارب في نطق الكلمتين بالاسبانية ومن  
 المأوف ارتكاب العامة خطأ من هذا النوع عند  
 الكلام لعدم معرفتهم بنطق بعض الكلمات على  
 الوجه الصحيح فكان بعض الشعراء الجاهلة يقولون  
 zozobrar «توثوبرار» ومعناها هوى، بدلا من  
 قولهم la presente obra «الابرسني اوبرا» ومعناها  
 «هذا المؤلف»

قوافي تختم بكلمة «خيل، او «باسكوال، وألا يتلاعبوا بالالفاظ او يأتوا بأفكار لولبية تتكرر في الاعياد كلها دون ان يتغير منها سوى اسمها.

واخيرا نأمر جميع الشعراء ان يبعدوا المشتري وأبولون والزهرة وغيرهم من الالهة والا كانوا لهم شفعا في ساعة الوفاة،

ولقد اعجب بما في البراءة كل من سمعوا قرائتها وطلبوا مني نسخة منها. ما عدا الاويفه فانه شرع يقسم بصلاة العصر وغيرها من الصلوات بان تلك البراءة انما هي هجاء له لما جاء فيها عن العميان وانه لا علم بما يجب عليه ان يفعله. واخيرا قال: «اني لرجل جالس لينيان (7) في احدى الماثوي وقد آكلت «اسبينال» (8) اكثر من مرتين. وقال

---

7 بدرو لينيان دي رياثا Pedro Liñan de Riaza

شاعر معاصر للوبي دي بيغا.

8 اسبينال Espinel هو الشاعر الكاتب

شينطي مارتينيث اسبينال Vicente Martinez Espinel

ولد سنة 1550 في مدينة رنדה وتوفي سنة 1624

أيضا انه وجد مرة في مدريد على مقربة من لوبي دي بيغا. بقدر ما هو على مقربة مني الآن وانه شاهد ضون الونصو دي ارثيا (9) اكثر من الف مرة وان عنده رسما للشاعر الالهي «فيغيروا» (10) وانه اشترى السروال الذي نزعته الشاعر باديا (11)

---

ترك عدة مجموعات شعرية بالاسبانية واللاتينية. نما أهم مؤلفاته هي قصة «ماركوس دي اوبريكون» التي تنتمي الى فن اقصص الستار.

(12) «ونصو دي ارثيا» Alonso de Ercilla ولد سنة 1533 وتقلب في عدة وظائف واشترك بافتتاح تشيلي في أميركا الجنوبية ثم ألف ملحمة شعرية تدور حول هذا الفتح دعاها لا اراوكانا La Araucana وتوفي سنة 1594

(13) فيغيروا - فرنسيسكو دي فيغيروا Francisco de Figueroa (1536 - 1620) شاعر اسباني لقب بالالهي ولم يسلم من شعره الا القليل.

(14) باديا - بدرو دي باديا Pedro de Padilla شاعر اسباني من القرن السادس عشر - ولد في



حين ترهب وها هو اليوم يلبسه وان يكن في  
حالة مزرية. وما كان منه الا ان ارانا اياه مما  
اثار قهقهة الحاضر اجمعين الى حد ان واحدا منهم  
لم يرد مغادرة المئوى.

واخيرا حلت الساعة الثانية وبما انه لم يكن  
بد من السير غادرنا مدريد فودعت آسفا ووجهت  
خطاي شطر المرفأ. فشأت الارادة الالهية دفعا  
لكل فكرة سوء قد تجول في خاطري ان التقي  
بجندى، فما عتмна ان بدأنا نتبادل اطراف الحديث  
فسألني عما اذا كنت قادما من العاصمة فاجبته  
انى عرجت عليها مارا فحسب، فاعقب جوابي  
بقوله: .والحق يقال انها لا تصلح لاكثر من هذا  
فهي بلدة لسكنى الاناس السافلين. وقسما بالمسيح  
انى لافضل الف مرة ان اقيم في مكان تغمرني فيه  
الثلوج الى جسمي مرتجفا كالساعة مقتاتا من الخشب  
على تحمل المظالم التى يصاب بها اهل الصلاح

---

ليناريس وتعلم في غرناطة. انخرط في رهبنة  
الكرمليين سنة 1585

فيها فاعترضت بقولي ان في العاصمة من جميع  
 الاصناف وانهم يقدرون كثيرا ذا الطالع السعيد  
 فانتفض غاضبا وقال كيف يقدرون ؟ فقد قضيت  
 ستة اشهر ألتمس قيادة فصيلة من الجيش بعد ان  
 امضيت عشرين سنة في الخدمة وأرقت دمي في  
 سبيل الملك كما تشهد بذلك هذه الجراح وأرانني  
 في احدي كاذتيه طعنة تبلغ شبرا أوضح من  
 الشمس ان سببها احدي المناوشات. ثم رانني في  
 عرقوبيه علامتين أخريين قال انهما اثر رصاصين  
 نكني استنجت عن علامتين كانتا في رجلي  
 أنهما تقشر وورد من البرد. ورفع قبعته وأرانني  
 وجهه فاذا فيه ستة عشر رتقا من جراح طعنة شقت  
 منخاره وكانت في وجهه ثلاث ندبات أخرى  
 جعلته أشبه باخریطة من كثرة الخطوط فقال لي  
 مشيرا اليها هذه أصبت بها في باريس في خدمة  
 الله والملك الذي أرى وجهي مقطعا في سبيله. وثم  
 ألق مقابل ذلك الا كلمات جميلة تقوم اليوم مقام  
 الاعمال القبيحة. اقرأ هذه الاوراق وحياتك أنت

الذي لم تشترك بمعركة قط. وحق المسيح ان  
 رجلا مثلي ليشار اليه بالبنان، (12)  
 وكان صادقا في قوله لما فيه من اثار ولكن  
 من مجرد الضربات التي تلقاها. وأخذ يخرج مدافع  
 من التنك ويريني أوراقا لا بد انها كانت لشخص  
 آخر اتخذ هو اسمه، فقرأتها واغرقت عليه الف  
 ثناء قائلا انه لا السيد (13) ولا برناردو (14) قاما  
 بما قام به فانتفض قائلا:

(12) أنى المؤلف بتورية في كلمة señalar  
 فاستعملها أولا بالمعنى المجازى (اشار اليه بالبنان)  
 وثانيا بمعناها الحقيقي وهو (ترك أثرا)  
 (13) السيد El Cid لقب البطل الاسباني  
 رودريغو ديث دي بيار الذي عاش من سنة 1040  
 حتى 1099 ومن جملة مآثره الحرية استيلاؤه على  
 مدينة بلنسية من أيدي المسلمين.

(14) برناردو Bernardo بطل اسباني من ابطال  
 الأساطير واسمه الكامل هو برناردو دل كاربيو  
 Bernardo del Carpio ويضاف الى القرن التاسع.

ومن اين لهما مالي؟ لا والله ولا غرسيا دي  
 باريديس (15) ولا خوليان روميرو (16) ولا غيرهما  
 من كبار المحاربين. لعن الله الشيطان! في ذلك العيد  
 لم تكن مدفعية. ووالله ان برناردو ما كان  
 يناضل ساعة في عهدنا هذا. واسأل رعاك الله في  
 فلانديس مآثر الميادو، ترما يقولون لك عنه فسألته  
 قائلا: هل انت هو؟ فقال: ومن غيري يكون اياه

والمؤرخون غير متفقين على مسألة وجوده حقيقة  
 أم لا.

15) دييغو غارسيا دي باريديس 1466-1530  
 Diego Garcia de Paredes أصله من بلدة نروخبو  
 كان فارسا مغوارا واشترك في حرب إيثنابسا إلى  
 جانب ملك إسبانيا خون فرناندو الملقب بالكاثوليكي  
 وقد وضع ترجمته سنة 1621 الكاتب خون خومس  
 تامايو دي بارغانس

16) خوليان روميرو Julian Romero من قادة  
 الجيش الإسباني في حرب فلانديس حين كان القائد  
 الأعلى لويس دي ريكيسينس

إذا؟ أما ترى الثغرة التي في اسناني (17)؟ ولكن  
فلندع الحديث حول هذا الموضوع لأن من العيب  
أن يمدح المرء نفسه

وبينما نحن في هذا الحديث إذا بنا نلتقي  
بناسك راكب اثانا يكاد يكنس الأرض بلحيته  
هزيل البدن عليه جبة من الجوخ شعباً اللون  
فحينئذ بالتحية المعهودة «الحمد لله» واخذ هو يثني  
على حقول القمح ومعها على رحمة المولى فقاطعه  
الجندي قائلاً: آه أيها الأب لقد رايت الحراب حولي  
اكثف من هذا الزرع ووالله لقد عملت جهدي  
في نهب مدينة أمبريس (18) أجل والله! وكان

---

17) كلمة ميادو - mellado معناها أهتم أي  
من في اسنانه ثغرة. وهي في الوقت نفسه لقب  
لأحد الفرسان الذين امتازوا بأقدامهم في حرب  
فلاندرس

18) نهبت مدينة أمبريس عاصمة البلجيك خلال  
حرب فلاندرس في 18 نوفمبر سنة 1576 حينما كان  
ضون خوان دي أوستريا قائداً للقوات الأسبانية

الناسك يوبخه على إكثاره الأيمانات فأجاب الجندي  
قائلاً: إنه لمن الواضح أيها الأب أنك لم تكن  
يوماً جندياً فأنك توبخني على معاطاني ما هو من  
شؤون حرفتي، فاستولى على الضحك من رؤيته  
يجعله قوام الجندي ومهنت أنه محتل لأنه لا شيء  
أكبره على عظماء الجنود أن لم نقل كلهم من هذه  
العادة ثم بنغنا لحف المرفأ بينما كان الناسك يصلي  
المسبحة في حزمة من الخشب جعلت كرات من  
الخشب بحيث كان يسمع عند نهاية كل صلاة  
عنيت بأمرهم قرقة كقرقة الكرة في لعبة الخلق (11)  
والجندي يتقابل بين الصخور والقلع التي شاهدها  
ناظراً إلى أي الأماكن هي المنيعة وفي أيها نجب

---

وقد دخل الجنود الأسبان المدينة ونهبوها لكن  
القيادة العليا نددت بالمقضية حالاً وأصدرت أمراً  
بإعدام كل من ينهب شيئاً

(11) لعبة تقوم برمي كرات من خشب لمزرق  
داخل حلقة من الحديد ممسوكة بقضيب مغروز  
في الأرض

من نفعه تدفعية. وكنت انا انطلق اليهما خائفا  
من مسحة الناسك وحررتها الكبرة بقدر خوفي  
من كذب الجندي. وكان هذا بقول: آلو كان  
الامر بيدي لست قسما كبيرا من هذا المرفأ  
فاحسن نذك في مسافرين حسنا كبيرا.

وبسبب ما حصل في هذه الاحداث وغيرها وصلنا  
في بوندنا فدخلنا امانة فندق وقد حن النيران.  
وامرنا فاعدت العشاء. وكانت يوم الجمعة. فقال  
الناسك ادك فتنسرحا لان البطانة ام الردف  
والكنيسة على تلاوة السلام عليك يا مريم مرارا  
وحرج ورفي لعب مع كمة. فاخذ مني الضحك  
كل واحد حسب ريت ذلك وتفتت واقفا انا  
حررت مسحة. فقاتل الجندي. انزل لعب كاصحاب  
على نبي من المال لا بنجاور مئة بليون وهي  
الكنيسة التي احبها فقلت وقد داخلني الطمع  
في اللعب على مئة اخرى. وقيل الناسك بذلك  
محرارة ان وقال انه يحمل ثمن زيت مصباح الكنيسة  
وهي تبغ نحو مئتي بليون. واني لاعترف بانني

فكرت في ان اكون نصه فامتصه. وانما تجرى  
 الرياح بما لا تشتهي السفن. وذلك اننا شرعنا  
 لعبة الخظ (21) والانكسرى ان الناسك ادعى في  
 نادى الامر جهله تلك اللعبة وسألنا ان نعلمه اياها  
 ثم تركنا نرتج مرتين. وبعد ذلك فنك بنا فتكة  
 تركتنا صفر الابدبن. فورنا ونحن فيد الحياة. اذ  
 كان اللص يجمع تركتنا من على المائدة بقفا يده  
 ناعنا في نفوسنا اسفا واسى. فبخسر اللعبة التي  
 تكون السداول فيها قليلا نرتج انسى عشرة لعبة  
 تكون فيها كسرا. ولان اخدي عند كل لعبة  
 ردت انني عشرة ايماننا وقدرها من اللعنات المبطنة  
 بلا مافات. اما انا فكنت اخص اصابعي بنسا كانت  
 اصابع الراهب مشعولة بجمع ما. ولم يترك قدس  
 دون ان يستشعر به وانتهى به الامر الى ان نرثنا

(21) نوع من ألعاب الورق تدفع فيه ورفه  
 المصراف واخرى للنقاط وتكون الراحة الورقة التي  
 تلمتى اولاً بنسبها من الاوراق التي تسحب من  
 المجموع



خاني الوفا. فسالناه ان يلاعبننا على البسة ولكنه  
 بعد ان ربح مني ستمائة بليون كانت كل ما  
 'حمه ومن 'الجدي ائمة بليون التي كانت معه  
 قال ان ذلك انما هو من قبيل التسلبة فقط وان  
 لا ما قربه واذلك يحب عايه ان لا يفكر  
 بملاعتنا من غير ذلك 'فيل واضاف بقوله: 'لا  
 جمعوا' ونبأ ساعدني الحق لانك على الله وما  
 اند ثم دكن شاش نامتارة التي حواها فيما بين  
 'تابعه ومعصمه صدقنا قوله واقسم 'الجدي ان لا  
 يلعب فيما بعد. واقسمت ذلك ايضا وكان الملام  
 المستبر ان انه اعلمني حينئذ برئته العسكرية  
 بلعن ويقول: لقد وقعت فيما قبل ببر لورينين  
 ومسلمين نكسي له 'حرد مثلما جردت هذه المرة  
 ما تراغب فكان ضحك من كل هذا. ثم جاء  
 فاحرج سبحة يسائف الصلاة. فسأته وكنت قد  
 سحت سقراليدين ان يعطيني ما انعشي به وان  
 يدفع عنا نحن الاثنين اجرة المتوى حتى نصل الى  
 شقونية لاننا صرنا لا نملك فلسا. فوعد بان يقوم

بدلك ثم ازدرد ستين بيضة. وايم الحق اني لم ار  
 قط مثل ذلك ثم قال انه ذاهب ليرقد ونمنا كلنا  
 في غرفة واحدة مع اناس كانوا هنالك لان الغرف  
 كانت مكررة لاشخاص آخرين. ورقدت ننا والحزن  
 العميق مسنول على نفسي اما الجندي فدعا صاحب  
 التوى واودعه وراقه مع حناديق التيك التي حونها  
 وصرة من القمصان المبلهة ورقدنا عند ان رسم  
 النعشب على صدره منارة التعلب ورسمنا نحن  
 بعد مسمعين من منه. ثم اتى ونقبت مسيقظا فكر  
 كيف ابرع المال منه. وكان الجندي يبيد في  
 اسمه متكلما عن المئة طلبون كذا لو انها لم تق  
 له علاج

وحيات. امة تقم فسلم الجندي ان توني  
 سراج موقد فتوه به واذاه القمدي ناصرة ناس  
 الاوراق فاخذ الملازم المسكين بصب صباحت نبي  
 له الدار طالما ان نرد اليه خدمته (21) فاضطرب

(21) اسعمل المؤلف هنا كلمة Servicio  
 سرفيسو ولها معنيان: مولة وخدمة وفي المعنى

الفندقية واذا كنا نلج عليه بان ياتيه بها ذهب  
 مسرعاً وجاء بثلاث مبالٍ قائلا: هاكم واحدة  
 نكر واحدة. اتريدون مبالاً اخرى؟ وذلك انه  
 عن انما مصابون بدأ الزنطرية. وعندئذ قام الجندي  
 وسيفه بيده وجري وراء "الفندقية" مقسماً انه سيقتله لانه  
 نهزأ به - هو الذي شهد معركة "ببانتو"، وسان  
 كنجين ومعارك اخرى غيرها - مقدماً له مبال  
 ندلاً من الاوراق التي اعطاه اباها فخرجنا كلنا  
 وراءه لنصده وكنا نفعج عن ذلك، وكان الفندقية  
 يقول: ايها السيد! لقد طببت مبال سرفيسيو.  
 وليس علي ان اعرف ان هذه الكلمة يعني بها  
 في لغة الجندي الاوراق التي سجلت فيها مآثر كل

"الاخبر تستعمل في الجمع ايضا للدلالة على سنوات  
 الخدمة التي قضاه الموظف او العسكري وهذا ما  
 قصده الم لازم ففهمها الفندقية على المعنى الآخر  
 وقد صح فيهما قول الشاعر كل يغني على ايلاه،  
 وهذا المشيد كله قائم على اختلاف القصد بين  
 "الم لازم والفندق في كلمة "سرفيسيو،

واحد ثم هداثاهما وعدنا الى الغرفة. اما الناسك  
فبقى في الفراش احترازاً مدعياً ان الهلع قد اضر  
به. ثم دفع عنا كراً الفندق وغادرنا البلدة شطر  
المرفاً حائقين على تصرف الناسك ومن رؤيتنا اننا  
لم نتمكن من تجريد من المال

فالتقينا بجنود (22) - اعنى بهذا الاسم هؤلاء  
الذين يطاردون المال في اسبانيا مطاردة الامسحة  
"الدحائيز للمؤمنين - يصعد نحو المرفاً ووراءه خادم  
وببده مظلة شان المسؤولين. ففانحناد بالحديث نكنه  
كان يوجهه كنه الى الكلام عن الدراهم فكانهم  
قوم ولدوا للمال ثم شرع يسمى بيزانصون  
ويسألنا اذا كان من الموافق ام لا اعطاؤها مثلاً  
وردد الكلام في هذا الموضوع الى ان سألنا اذا  
والجندى تمن يكون هذا السيد فاجابنا ضاحكاً:  
انما هي بلدة من ايطاليا يجتمع فيها رجالات  
المال الذين نسميهم هنالك بالمحنائين المريشين (23)

---

22 نسفة الى مدينة جنوة الإيطالية

23 اعلاه يريد بذلك الإشارة الى علو مكائهم

ليضعوا الاسعار ومن ثم سيضطرون على المال وقد  
 سخلصا من ذلك انه في بيرانصون تدار دفة  
 مرابين . وسلانا غيلة الطريق قاصدا علينا انه  
 مشرف على الدمار بسبب فلاس مصرف له فيه  
 ما يربو على سين الف الكودو . وكان يقسم  
 لكل امر بدمه وان كنت اعتقد ان الذمة عند التجار  
 كالبكارة عند المرأة ليذر ذبائح مما ليس له وجود  
 وبكاد ان يكون لاحد ممن يبعثون هذه الخدمة ذمة  
 لانهم سمعوا بانها اذا نمت قليلا عضت ولذلك اتفقوا  
 على تركها في المهد.

وبينا نحن نجادب اعراف هذه الاحاديث  
 اذ انا نبصر سور مدينة سموية فشح نارق من  
 العمة في سبي بالرغم عن تعدى ذكرى ما جرى  
 لنا مع المعلم كبر هذه الغدنة فلغت المدينة وعند  
 مدخلها رأيت ابي على قارعة الطريق منتظرا  
 فرقت نفسي لذلك المشهد ودخلت وقد تغيرت

---

اذا كان ذوو المكانة الرفيعة يضعون ريشة في  
 قبعاتهم.

شيئاً عما كنت عليه حين غادرتها اذ وصلت اليها  
 الآن ملتجياً حسن الملبس وتركت رفقتي وجعلت  
 انحث عن يعرف خالي حق المعرفة في المدينة  
 فلم اجد احدا يبرد غليلي. وهكذا سألت كثيراً  
 من الناس عن الوئصو زاملون فلم يدلني عليه  
 واحد منهم بل كان جوابهم انهم لا يعرفونه ففرحت  
 كثيراً لرؤيتي هذا القدر الوافر من اهل الصلاح  
 في بلدي. وبينا ان في هذا اذا بي اسمع منادى  
 صييح معجبا بصوته وخالي يقرع بمقرعه ودللت  
 ن خالي كان يسوق جماعة من العراة المكشوفى  
 الرؤوس في طوافهم ويعزف بمقرعته على ضلع خمسة  
 اعواد تحمل بدل الاوتار حبلاً. موسيقى احدى  
 الاغاني الشعبية التي تغنى في الشوارع. وكنت  
 اراقب هذا المشهد برفقة رجل قلت له حين سألته  
 عن خالي اني من عائلة نبيلة. وادا بى ارى  
 خالي ورأى بدوره مروره بجانبى فارسى علي  
 يعانقنى ويدعونى بابتن اخته فكادت اموت خجلاً  
 وابتعدت دون ان اودع الرجل السنى كنت

حادثته. وذهبت مع خالي فقال لي: ،بممكنك ان  
دراقتني ربما افرغ من هؤلاء القوم، فها نحن الان  
عائدون من الطواف ولا بد لك اليوم ان تؤاكلني  
'ما انا وقد رأيت نفسي على منى حسان واني  
بين تلك الجمعة اكاد اظهر كواحد من المجلودين  
وحينه فاني 'نطشه همالك وعكذ' انفصلت عنه  
وقد اخذ مني 'الحجر كد مأخذ الى حد اني لو  
. بكن استلام تركني موقفا عليه يا كلسه في  
حياتي وانا ظهرت بين الناس.

وفرغ من قرع اكسفهم ثم عاد وذهب في  
الى داره حيث حات واكلنا

# الفصل الحادي عشر

في ضيافة خالي وزائريه وقبض تركني  
وعودني الى العاصمة

- - -

كان مسكن حالي بالقرب من الجزر في دار  
سفا، فدخلنا وقال لي: لست هدد الدار بقصر  
والكر صدقي يا بن احبي بانني مناسبة  
نصرف شؤوني، وصعدنا درجا انظرت من  
ابلق اسلاه لاري اذا كان يتميز عن المشقة شيء  
ثم دخلنا عرفة منخفضة السقف اضطررنا ان  
نحرك فيها مضاطئي الرؤوس كمن يلقى المركبة  
وعلق خالي المقرعة في مسمار كان هناك الى جانب  
مسامير اخرى فندى منها حال وتناثرت وحاجر  
وخطائف وغيرها من ادوات حرفته فسألني  
اي سبب لا اترع عني شملني واجلس فاحسه ان  
ذلك ليس من عادتي والله بعلمه على اي حال



كنت حين شاهدت دناءة خالي وقال لي ان جثلي  
 كان كبيرا لالتقائي به في فرصة حسنة كهذه اذ  
 اني سألقي غدا شيئا وانه قد دعا بعض اصحابه  
 واذنك دخر في الباب واحد من الذين يطلبون  
 صدقات لاسعاف انفس موتى مرتديا جبة بنفسجية  
 الملون نعني حتى اخمص قدميه وقال وهو يقرع  
 صندوق الذي يجمع فيه الصدقات لقد كان  
 متغاضي اليوم من نفس الموتى بقدر انتفاعك من  
 المحلودين. فهات يدك ووضع كل منهما اصابع  
 يده الخمس على وجه الآخر دلالة على الموافقة  
 والاتحاد ثم شر جامع الصدقات جبهه عن ساقين  
 معوجتين وسروال من نسيج الكتان واخذ يرقص  
 مائلا هو جأ كلمه طي. فقال ان لا ولكنه ما  
 كاد نلفظ كلمته حتى اطار علينا في ساعة سعد  
 زمار بلوط اعني به راعي خناير ملتفا بقبعته  
 محتذا بقبانا. فعرفته - حاشاكم - من القرن  
 الذي كان بحمله بيده. وله يكن تنقصه ليسير

على ما هو مألوف إلا أن يحمله على رأسه (١)  
 فحيانا على طريقته . ودخل وراءه خلاسي اعسر  
 لزور يحس قبعة يزيد اطارها على لحف جبل  
 ورأسها على رأس شجرة جوز . ويرتدي سروالا  
 من جلد الجاموس وعلى حنيه سيف مقبضه اكثر  
 رؤوسا من مصيدة الملك صقورا (٢) اما وجهه فهو  
 عبارة عن نسيج مسرد لانه كثير التذب كانه  
 مشرحة . فدخل وجلس وبعد ان حيا اهل الدار  
 نمت لي خالي قائلا وحتك بي الونصو ! لقد  
 احس الدفع لجلاد لي من الرومو و العارسو  
 فصدي ذو الانفس قائلا: انما اعطيت انا فلتشيا  
 جلاد او كانب اربع ذكات ليهمز الحمار ولا باخذ  
 المقرعة ذات الثلاث ضفائر حين جلدت فقال

١١ يكنى في الاسبانية بندي قرون من تخدمته

رواحنه

١٢ اتى بنورية في كلمة gabilan فاستعملها

اولا بمعنى الحدائد الناذنة التي نحمي مقبض السيف ،  
 وثانيا بمعنى صقر

الجلوار دوالله لقد كافأت لودرنثو في مرسية احسن  
مكافأة فقد كان الحمار يسير كأنه يقلد السلحفاة  
ببطئه لكن ذلك الماكر انالني المقارع خفيفة  
نحت ثم يحدث لي سوى بعض الانفخات في  
الجند وذاك فاطعه راعي الخنازير مسحاً بقوله:  
"ن كسبي ما ر" "ن كسر" فقال المنسول باسم  
"نفوس تنقعه" ما من خنزير "ناتى علمه  
يوم سان مارتن" وقال حابي نصائح: "يوسعي  
ن امحر على كل من يحملون المقارع ن من  
وصي به اعامله كما يجب. فحلودو اليوم دفعوا  
ي سنن ابامونا ونالوا مني مقابل ذلك مقارع  
مدبق نالقرعة الوحيدة الضعيرة،

---

١١) يقع عند "القدس مارتين في 12 نوفمبر  
اتشربن" "ناسي" وفي هذا اليوم كان يبدأ دسج  
الخنازير المعنوفة تنقده حومها تنصر "شنا". فبقى  
منالقولهم ما من خنزير الا باتيه يوم سان مارتن  
لي ان كل واحد لا بد ان نأذبه مصصة ما عاجلا  
او آجلا.

أما أنا وقد رأيت ما هم عليه من النبل  
أحمدقاً حالي فأعترف بأن ما أحيأ ورد وجنتي  
بحيث لم أستطع أن أكتف خجلي ولا حظ ذلك  
علي الجلوار فقال: «والدك هو الذي جلد منذ  
نساء، فقلت أن والذي لبس ممن يعاقبون منهم  
وحينئذ نصدى حالي للكلام فقال: «انه ابن احبي  
وهو اسناد في القلعة ودو مقام رفيع هالك  
فاتذروني» «ني وعرضوا علي كل عطف ومساعدة  
وكنيت في ناظي بحرق عار أن آكل وأقص  
بريبي وبعده عن حالي.

ثم مدوا الخوان وأصعدوا الطعام من مطعم  
زري قائم وراء الدار برتناً لف حول قبة كبا  
تصعد انصدقات إلى المساجين في بقانا قصاع وأباريق  
ودنان لعبت بها ادي لقدم وأي لأحد أن يصف  
شمي وعاري! ثم جلسوا حول الخوان وتصدر المسو  
واحنل الآخرون مقاعدهم دون ترتيب ولا رند  
أن أدلي بما أكلناه وأما أفول أن در سي  
كان مما تسرب فجرع الجلوار ثلاث ~~كسوس~~

من التنبذ الاسود. اما راعي الخنازير فحبس رافى  
على تلك الحالة احدث بده مساوئ الاثريق من ندي  
على الطائر. ونحرج من الكؤوس اكثرا مما نفوه  
ه ساهنا من الكلمات ولم نحضر اما على ذهن  
احد. ولم نذكر احد رعة فله

ثم حرر قوى الخوان خمسة فراص من الحلوى  
من ذوات الاربعة درهم. مساوئ حدهم مرسه  
ما مقدس ونعد ان ارانوا من الاقراص المحبب  
المصفح تلوا صلاة قصيرة خموعا بالذعا وتمسى  
الراحة الملدنة نفس انبت ندي احدث من حسمه  
لحم الاقراص 14. وقال حيا. لا سك انك نذكر  
ب اني حيا ما كنت اليك نشان والدك فعاودني  
ذكرى ما في تلك الرسالة. واكل البقية اما انا  
فاقتصرت على مساوئ اسعار الاقراص ونقبت تلك  
المعادة عاتقة نبي ولهذا ما رنت حيا اليوم حين اكل

---

14 راجع ما قلناه سابقا في الفصل السابع عن  
اسعمال لحم الموني

'قراصا من 'خلوى' اقلو 'انسلا' علبك يا مريـ  
 من اجل نفس من احدى لحم 'لاقراص من جسمه.  
 وامتدت الابدى مرة فلو مرة الى انابن من  
 'خمر ونلع نالجلوار والسائل ما حرعاه ان قال  
 'احدهما وقد 'حضرت صحفة من التناقق التسيغة  
 نالاصابع السوداء' انه اذا نؤنى نابعرة مطبوخة  
 وكانت حال حالي حيث انه مد يده وقضى عن  
 واحده منه قتلا. - وقد حانط 'لحه صونه  
 وترت 'حدى عسبه بيما ثابث 'اخرى نعو في  
 'سرف - - نر 'حصى: نحق هذا 'اخر الذى  
 خلع 'رب على صورته وماله له آصر فط لحما  
 مطبوخ 'نذ من هذا' ام 'ما فحس 'نصرت الخرار  
 نهد له وب'اول 'شحة قتلا. ان هذا 'سرف  
 'اسخر. ويرعى 'خنازير نهد' كعه علجا ويرسه في  
 فيه قتلا 'اصا ما 'احسه مر منه لنسرب  
 احدث 'ضحك من جهة و'لمط صمدا من جهة  
 'اخرى واني نمرق فناول 'السور صحيعة من  
 نديه قتلا. ان الله قد برك النطاقة، وبدا من ان

بضعها على شفتيه ليحسبها ووضعها على خده ثم قلبها  
 واذأ به يشوى بذلك المرق. واصبح كله من اعلى رأسه  
 إلى اخمص قدميه على هيئة مززية وحين شاهد نفسه  
 على هذه الحالة حاول ان يقف ولكنه احسن بثقل في  
 رأسه فسقط على المائدة - وكانت من الموائد التي  
 حرت بسبوتة - ففسحها ووضح لآخرين. وبعد هذا كله  
 ادعى ان راعي الخنزير دفعه. واذ رأى هذا ان الآخر  
 ساطع عليه ولاخالة قام بدوره ورفع القرن وضربه به  
 ضربة ثم تماسكا بالأيدي. وعض المتسول راعي الخنازير  
 في خده، وحيث كانا متلاصقين اذا بهذا من  
 جرة النجار شوالسقوط بقي في وجه المتسول  
 بل ما كان قد اكله.

اما خالي وكان اكثرهم تمايكا لنفسه فصار يسأل  
 ممن جاء الى داره بكر هوالة الاكلبريكين، وحين  
 رأيت انهم صاروا يضربون في الجمع ١٥١ اعدت السلم

١٥ كناية للدلالة على انهم في حالة سكر  
 لا يعون ما يقولون فكانهم في عملية الجمع  
 يضربون الارقام بدلا من ان يجمعوها

الى نصابه بيه. وقلت كلبهما من يد الآخر  
 وزعت الجلواز الذي كان منظرها على الارض  
 يبكي تحزن عميق. ودفعت نخالي الى الفراش  
 فما كان منه الى ان ارتوى على مائدة ذات  
 قائمة واحدة خنا منه انه احد الضيوف ونزعت  
 البوق من يد راعي الخناير الذي لم اكن لا قوى  
 على اسكاته بعد ان رقد الآخرون اذ كان يصبح  
 مثابا بنوقه وتلا به لا احد يعرف ان سمع به  
 الخنا من ذا يعرفه هو والله يريد ان يعرف  
 الاربعين واخيرا لم افارقهم اذ بعد ان رأيتهم نائمين  
 وخرجت من الدار وقضيت ما بقي من النهار في  
 اللعلاء على ارضي. وعرجت على دار المعلم كابر  
 فقبر لي انه توفي. وله احيى الى السؤال عن  
 سبب وفاته لعلمي انه لم يسزل في الدنيا شيء  
 بسمى جوعاً

عدت الى الدار ليلا بعد ان قصبت خارجا  
 عنها ربع ساعات فوجدت احدهم مسيقظا ددب  
 على يديه ورجليه في الغرفة باحثا عن الباب وهو



يقول انه قد 'ضاع' الدار فابيضه وتركته الاخرين  
 اثنين حتى 'حادبة' عشرة 'بلا' واداك استفاقوا  
 وسأل 'حدهم' وهو 'دستى' 'كم الساعة؟' فاجابه  
 'شي' 'خدره' - 'وتن' 'السكر' لنا 'ترانه' - 'به' لا  
 'سي' 'ولسا' هي 'ساعة' 'تقبلوا' 'وال' 'الحر' 'سند'  
 'يطلب' 'المسور' 'فعبه' 'ساعة' 'به' 'ردوه' 'نحوه' 'اقد'  
 'المت' 'الشمس' 'المكانه' 'ناتاسي' 'نظامي' 'ودلا' من  
 ان 'بغض' 'الشب' 'سار' 'الى' 'النسك' 'فرى' 'المج' 'وم'  
 'واحد' 'بصيح' 'منابا' 'الاخرين' 'فائلا' ان 'المج' 'طالعة'  
 'في' 'رابعة' 'التيار' 'ون' 'الشمس' 'قد' 'كسفت' 'كسوف'  
 'ثبير' 'فرسموا' 'جميعا' 'سلامة' 'اصحاب' 'وعملوا' 'الارض'  
 'اما' 'انا' 'فعدنا' 'انصرت' 'مكر' 'المسور' 'خامرني' 'الاسي'  
 'وعزمت' 'على' 'الاخترار' 'من' 'امثال' 'عقود' 'القوم' 'وكت'  
 'كلما' 'ساهدت' 'هذه' 'المكرات' 'والدسات' 'ارددت'  
 'في' 'الرعة' 'نان' 'زى' 'نفسى' 'ببر' 'قوم' 'اشراف' 'ونبلا'  
 'ومصرفهم' 'واحد' 'واحد' 'كما' 'ساعدني' 'المجد' 'وارقدت'  
 'خالي' 'الذي' 'لم' 'يكن' 'ليرايله' 'المكر' 'وان' 'زاييله' 'السكر'

ونمديت لنا فوق ملابسى وبعض الملابس الأخرى  
التي أراد الله أن تكون هنالك

وعلى هذه الحالة قضيت الليل وفي أحد حاويات  
مع خالي أن اتعرف على بركة والدي واستلمها  
حالا مدعيا أنني مضى ولا أعرف السبب. فسط  
رحله به نفض ونجادنا في شؤونى وقد أعصابى  
أمر أن حائى رجل كسر السداحة والذمن عن  
معافرة أحمى وأخبر فعه أن علمى بمصير  
فسه من دروسى - وأن له كن كلفه - وهكذا  
أعسى بلانمائة ذكة ربحها ثرحوم والذى بيده  
وودعها عند امرأة خيرة كان يسرق تحت كنفه  
في ما أمند حولها من هذه الكورة على بعد عشرة  
فرس

وحلاصه القول وإثلا نعب حضرتك فالاستباب  
أسلمت مالى. ولم يكن خالى قد سرته ولا أنفقه  
فكان قدرا وإفرا أو قبس نغلة عقله لأنه كان  
نؤم أن اسنعمله للدرس والحصول على شهادات  
عالية. وأن أبلغ بذلك رتبة كرددنسال، لاعتقاده

نستولوا بلوغها اذ كان هو نيلها بمقارعه دون  
 جهدا 16) وحين رأى المال بين يدي قال: يا بني  
 ان لم تصلح نفسك وتسلط حادة الخير والصلاح  
 فملك نعمة كبيرة لان لك من تقتفي اثره ودين  
 عندك مان واد لك في كل حين وكل ما عندني  
 وه، اريجه ثما هو لك فشكرته تنكر حزبا على  
 هند السخا وقضينا النهار في حديث لا حاد  
 ورثها وفي رد الريارة للسخاص المذكورين سابق  
 والمضي خالي العشية في لعبة عظم العرقوب (7)  
 مع راعي الخنازير والمنسول وكان هذا يراهن على

16) اسعمر المؤلف هما جناسا لا يمكن ترجمته  
 بكلمة كـدنيا، اد له معنان في الاسبانية: الرتبة  
 ندسية نعرونة وهو المقصود اولا والحدور التي  
 نسبها في البنز الضربة السديدة وهو المقصود  
 ثانيا

7) لعبة تقود نرمي عظم العرقوب في الهواء  
 فاذا سقط على الارض وثبت على جانبه الضيق  
 ربح اللاعب.

القداسات (١٩) حسن يراهن على أي شيء آخر  
 وكان مشهدهم وهم يتداولون العظم مما يستحق  
 أن يرى؛ إذ يتناوله راميته من الهواء وبعد أن  
 بهزه في قبضة يده يدفعه إلى الآخر وكانت لعبة  
 العظم فعنيهم بديلا عن لعب الأوراق ومنها يستخرجون  
 ما يقابلون به معمل العطر لأنه كان يتخلل  
 المراهنة دائما أبريق من الخمر.

حل الليل فذهب الأخيران وقلدنا لنا وحاشي  
 كل في سريره إذ كان قد جهر لي فرأينا وحين  
 أصبح أصبح نهضت من قبل أن يستيقظ وذهبت  
 إلى فندق دون أن يشعر بي ثم عدت وأغلقت  
 الباب وشدته من الخارج ورببت المفتاح إلى الداخل  
 من ثقب صغير تمر منه فقط.

ولما فلت سائقا ذهبت إلى فندق لاحتسبي  
 وأنظر فرصة مناسبة لانتقل إلى العاصمة. وتوكلت  
 في الفندق رسالة مختومة أخبره فيها نذهابي وسسه  
 وأوصيه ألا يبحث عني لأنني لن أزدأ بد فيما بعد.

(١٩) أي على جعل القداسات

## الفصل الثاني عشر

في هري وما حصل لي خلته حتى بلغت العاصمة

-----

في ذلك الصباح كان بسعد نعدرد سوى  
نصار بقر حمولة في العاصمة. وكان معه حمار  
فاكتربته منه وخرجت انتظره امام الباب وما  
ان خرج حتى امتصيت الجحش وبدأنا نقطع ذلك  
المرحلة. وبينما نحن سائرون كنت اردد في خاطري  
قائلا: ألا فابق هناك ايها الحمار يا غار على  
الصالحين وفارسا على الرقاب.

وكنيت افكر في اني داهب الى العاصمة  
حيث لا احد يعرفني - وذاك خبر تعزية لي -  
وانه لا بد لي ان اتكل على حذاقني وحدها.  
وعزمت على ان انزع عني هنالك ملابس الطلاب  
الطويلة واستبدل بها اثوابا قصيرة على زى العاصمة

ولكن قلنرجع اذن الى ما عمله خالي بعد ان  
داعته "الاهبة" التي تضمنتها - والذي اتى تحتها  
حسبه رائي .

## رسالة

حضرة السيد الوصو رامباون: بعد ان اعمه  
الله علي جميع عشاء كماله من امام عيني والذي  
كبره وابداعه والذي في خلطة - من حيث  
على الاقر اعرف انها من حرج - - -  
ار - - - من نعمه سوى ان بفعل لك - - -  
تغير - - - وعلم اني اريد ان اكون وحيد سلائي  
- - - من المسحيل ان يكون منيا اثنان - ما افع  
ببر نديك ونقطعي كما عهدت نادحين ولا  
نسال شي - لاني منظرنا بعد من فرقة واحد  
لك والله

ولا حاجة الى الكلام عما قد تكون حصي  
- - - من قرحي نقول ورماني به من سب وشتمه  
ونرجع الى ما وقع لي في ضرتي : فقد كنت

سير ممنتيا حمارى المنشاوي (1) متمنيا الا التقى  
 ناخذ وادبي زى من بعيد نبلا يقبل رهوا وقد  
 انمى عليه معصفا ونفقد سيفا ولبس سروالا يبلغ  
 اثر كة واحتلى حدا يغطي الى ما فوق ساقيه.  
 فمرر حسن الهداء. وكان طوقه مفتوحا وقبعته  
 محمية الى احد حبي رأسه فطنت انه من  
 نداء وانه نرك عرسته الى انورا فادركه وسلمت  
 عليه فنصر لي وقال. انك ب حضرة الاساد  
 تسير على منن هذا الحمر اكتر اطمئنا وراحة  
 متى نكر هذا الجهاز. فحبتة وقد فهمت من قواء  
 انه بعني بذلك العربية والخدم الذين تركهم الى  
 انورا: حفا انى اعتبره اهدأ من ركوب العربية  
 انى - وان كان جنابك قادما بكل رفاعة في  
 العربية انى تركها وراءه - اجد ضيقا كبيرا في  
 سائلها من جب الى جب فقال مضطربا - اية

---

(1) نسبه الى الماشا وهي مقاطعة اسبانية.  
 وانبها نمسب صون كخطوطي نظر قصة سرفانطيس  
 الشهيرة

عربى غني؟ واد اتفت الى الوراء بعنف مقط  
 سرواله لان النكة انقطعت ولم يكن لديه سوى  
 واحدة. فكدت اموت ضحكا من ذلك وحينئذ  
 سألتني ان اعيره نكة. اما انا وقد انصرت انه لا  
 ترى من القميص الا كفتها فقلت: بالله عليك يا  
 سبدي! ان لم نسطر حدك فلن تقوى على مساعدتك  
 انه ليس لدى سوى نكة واحدة فاجاب وهو  
 يشد بده على سرواله الذي بدا عبر مفصل على  
 قناسه وان ذات نزع فلا حرج لاني لا افهم ما  
 عني ناشرتك في خدم وفتح لي عن حاله  
 - في باب الافتقار - الى حد اننا ما كدنا نقطع  
 نصف فرسخ حتى اعترف لي بانني ان لم اسبح  
 له تركوب الخمار فلن يكون له سبل او ندوة  
 عاصمة لثأته من السبر باد بفضة نده على  
 سرواله. فداخات نفسي ارقاة ونزات عن حمار  
 وحيث انه لم يكن توسعه ان يغلب السروال وقد  
 انصرفت ازرعه واركانه وقد هالني ما خدمته  
 حين مسنه: وكدت ان لمعطف لم تكن له من





اعجل انصلح عصى نسر مما رسته في هـ  
 سا ذ، فتار ه مؤكدا ابي افعاب ايو  
 صدره سار وها رأسه حتى لان فدل اوج  
 هذا كنه له نر حتى لان سار د في سحصى ما نر  
 عدرم في لان نسي مما في معصى فها اس ري  
 في سرعا حاصا من در عرقه في الحسب او نه  
 معصى كنه اذنه اسرف لا لان اي ورا - سل  
 ميه واه حصره لاس - مر عجل ن  
 حقت على سار ارفع اذ حرو - حه جمع د  
 واكر ري في سروحه مد د في رجه لاه

نى - روى روجه البحر مدس - روى - ندر -  
 جد الاخر ١٧

١١ سبه عصبه عصى نسي في  
 ن سهر - ندر على اناصر وعصبه ن سحاب  
 معصاف قد يصغر حر سبه اعجل صفي احسبه  
 نتر احوام رسته فسجلر - نري - مقدر خارجي  
 ١٢ نرد سكره ن وعصبه - ن في سوي  
 م - نرق

وائس توسع من لاسي عده ان تكون من طبعه  
 اسراف (آ) وقد انراک فیه صکوک اسرفه  
 خبر رقت ذات بود قصه طاوا صاحب مطلع  
 رری ز ترسه مقار سرخس من الحج مدعا  
 ر س مه حروف مذهبه واکر ان صون  
 مدعت فی الحرف در مه فی الحروف واکر  
 درت ومع هد که فی الحروف فیه قلله واعد  
 عد حی خدی سی له سی ی م مع عده  
 ۱۶۱۰ و ان برود وائس سورسو رودر عس

آ سوسر نو م فی هـ قطع عده  
 حـ سـ سـ مکر سرحسـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ  
 سـ سـ فی لغة سـ سـ و سـ سـ سـ سـ سـ  
 (ا) وائس هـ مع شاه عدا من سـ سـ  
 سـ سـ علی سـ سـ و سـ سـ سـ سـ سـ  
 سـ سـ سـ سـ و قد سـ سـ سـ سـ سـ  
 سـ واحد اسل سـ سـ الحقی لا التجاری فکاتب  
 سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ  
 ان سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ

ساجو غومب ستي امونرو - 'دا صکار حمر  
 لار هزه لاسه - قد وهد کلهای کفاه قدمه  
 واه سو ی ما سعه سوی عب صور ولکسی  
 سو خالعی لا حد مر حدح الیه لار مر مس  
 حباه قدمه لاسه حمله فی حبابه لاسه هو الخال  
 فی ارمدور و اسدور و وودور و - لدور  
 و وردور و خیرها (۱۷)

(۱) کلمه اصول معناه است و در  
 و در - مر - عین خالعی سعه - و - و - و  
 سعه رفعت - مر - سعه لار حد اوج  
 معادل القاب حری سعه - مر - سعه لار  
 لار و لکسی و لار عده سیر یوم سوه  
 حد حد حجه - لار و مع لاس ساجده حمر  
 ساجده حجه و لار سیر ساجده حمر  
 حمله کله لاسه حمله فی حجه و لاس  
 حله حله سعه و مع لاسه لاسه لاسه  
 لاسه لاسه لاسه لاسه لاسه لاسه  
 لاسه لاسه لاسه لاسه لاسه لاسه

وانى اعرف بان لانا هذا السبل وان  
 مبروءه الصاحبه قد لى وسرح حاطرى  
 فساد عن به ولى هو ذاهب ولاندا فعلى  
 بحس كلى لى به وهى صون حور و  
 رود عى - نحو عومى تر مورو تر حور دان  
 وحو عى - لى به لى به لى به لى به لى به  
 - - - - -

و حورى عى - لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به

ما عى اصورا فسمعى يوم لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 اصورا

هذا وى لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به  
 لى به لى به لى به لى به لى به لى به

تسريده بعد مود مسوخته کفر فارم و صاف  
 عو له ما دخلها فت و حلب صربي من ماله  
 سبون و حرم و رايه سريح قوفه او مئده آمد  
 سبي سبي اومر سعه ساهو محرم ان مخره في  
 نعاصه كاه لسر جون كين ما مسه دعها اما  
 اما فرست اخرج عني كذا له و نحوه ليحده من  
 سب روي مصر في ر عس ثاني ان سب و سب  
 من عس في اعاصيه من سب ثاني سكه سب سبون  
 سب ان الامر على سب سب سب سب و سب  
 سب سب سبون سب سب سب سب و سب سبون  
 ما عو لعبر فعال من هذا الصنف سب سب و سب  
 و امك من الصنف سب سب و عو ان السب سب  
 سب سب سب سب سب سب سب سب سب سب  
 و سب سب سب سب سب سب سب سب سب سب  
 حواشي و حواشي سب سب سب سب سب

## الفصل الثالث عشر

وفيه وحبر اسرع السير وما وعد به  
من قتل حياه وعاراه

— — —

سنت في عرف ودين في اعديه راجعا  
حبر من وعليه عناه وفقرهم وون فيها  
حرف الامور كلها وفيها سير الاسرار وحفي  
احبر وون فيها صوت من الناس على سائلني -  
في عرف به ماتت باب وذا مثل و - ي سي  
احبر سحر منه واسما سحر فمما سمع - عاب  
مجانا - بعضا منهم دمر من - ذكاته - والعص  
حبر حله وسرع - 2 - وجود وهرقي وكليس  
والحله سماعا وعاء ما يكون حاوي المضاوي  
التي ريع القوم من - الحبر من لسان العظمي  
وما لانت اوليه وعت المتاعم وصوف بالعر  
وحبر قوم تاكل الزكل ويصهر انه ذكك مسم

[illegible]



'جنا ان بلى . وان كان رب البيت يجيد قد  
 الخبز او الخمر او اللحم او اى شئ كان فاننا  
 نقول بحادا لعرضه نردرد فينا ثقمة ما : ، والان  
 فلنسمح حضرتك ان نرد ان قوم نرد نردك بمهمة  
 حاد الخون بعد ان من عادة - وهنا نذكر  
 . واحد من "السرف الموفن" نوكي او كونيدي -  
 سكه الله لجه ان سعه رؤوني قطع نرد منه  
 - لاكل ، وما نفرغ من هذه الكلمات حتى نساو  
 نكمن ونعنع بعض المقم وبعد قليل نقول : ما  
 حسن رائحته ! احل ! ان له اذقه اهنت انضباحة  
 ما ريع ندها وديرقق القول ناعس وعكدا بدهب  
 ناسجربة نصف نصف الفف لاه اهت والشحه  
 لانه سحه وكل شئ لاه هو

ومي فاننا هذا الامر فاذا نجد قصعة مروي  
 من احد الاديرة نكنا لانناوله جهرا بل حفة  
 حامبين الرهبان على الاعتقاد بان ذلك من جانبنا  
 نفسف كثر منه حاجة

وما احمل ان يرى احدنا في احدي دور

انقلب وما يبذله من عناية في الخدمة فراه بقرط  
 الشهور وبنى بناهول وبسط الاوراق وبرزف  
 الى الرابع. وكل هذا للحصول على بلون حلو  
 وحفظ عن ظهر قلبنا ما يصيب من واحد  
 من مجموعة البسنة القديمة. وكما ان في  
 مكة حري ساعة معينة للصلاة لما ساعنا للرفق  
 وما عرب ما تقوم له حينئذ: وحسب ان الشمس  
 عدونا للودد لانها تفضح سر بقعنا وعزائد وحرف  
 وقتنا بغير مساحة مفتوحى سفار تحت شعبي  
 فمن على الارض ما يرسه من خر الخرق والخبوط  
 يندلذذ من الرقع المضافة الى السروال في ما نرى  
 نساقين. فتأتي عصف على الحبة. وبما ان هذه الرقع  
 سوف نرى فانك تعلم ما يراى من النكتة  
 تورية مضبها الى العسة الامامي. ولذلك من عاريد  
 ان نكون والكفل: نحميه بقية شاة تحت سمي  
 وليس عليه الا عساوة رقبة من الصوف ولا عرف  
 عند الاصطف ويحترق من الانام للريحة ومريضعود  
 الدراج المسبورة ومن ركوب الخيل. وندرس ونخمة

تحرسنا من الضوء ففي الايام النيرة نسير والساقان  
 متقاربتان. وحين ننحني للسلام لا نحرك الا  
 الكعاب لانه لو انفتحت ركايبنا لشوهدت من  
 سر وبلنا نوافيها العبددة. ولا شيء على اجسامنا  
 انه وقد كثر من ذي قبل شيئا آخر وله قصته  
 مثلا: انت ترى هذا اللبس المصير ذات انكبين  
 فقد كان سيفا سريوا<sup>1</sup> ومن قبل معصفا وفي نادي  
 "امر قبعة. وعو بنظر لان ينقلب باطن  
 جوزب وعدة اشيا اخرى غيرها (1) اما الخفاف

1. واسربت ملأة مذارية فلبستها ما شاء  
 لله رد<sup>2</sup> وملحفة. ثم اخرجت الى حليسان فقصعتها  
 وبسسه ما شاء الله ثم احتحت الى جمة فجعلته  
 خهارة جمة خسوة فلبسها ما شاء الله ثم اخرجت  
 ما كان فيها من الصبح فجعلته مخادا وجعلت  
 قضيا لبقناديل ثم جعلت ما دون خرق المخاد  
 لبقاذنس وجعلت السقاطات وما قد صار كاخبوط  
 وكالقطن المندوف صماما لرؤوس القوارير

الجاحظ - كتاب البخل ص 112 طبعة ليدن 1900

فتكون قبل مناديل مقلوبة عن مناشف كانت سابقا  
اقصة بنات ملاحف وبعد هذا كله نستعملها  
كورق وعلى الورق نكتب ثم نحوله سحيقا نحبي  
به الاحذية، فقد رأيت هذا الدواء يشفى احذية  
نه تكن يرجي لها حياة وما اقول في فرارنا من  
تنور لبلاتل ترى معانقنا الصلعا وارضينا الجرداء  
ان ليس فيها من الشعر اكثر مما في الحصة ولا  
ندري ما هي حكمة الساري في منحنا الشعر في  
"المحي وثرعه من المعاصف. ولكي لا نساحر  
حمامين اتفقنا على ان نصبر دائما ان يطول  
سعر واحد آخر منا واذك بنبادل الاثنان نزرعه  
عملا به جاء في الانجيل وتعاونوا كالاحوة البررة  
ونحسب من ان نبدأ لواحد منا مبارك الاخرين  
حين نعلم ان واحدا يعامل مع نفس لقوة الذهن  
يعامل معهم واحد آخر وما ادراك بالغيرة ممن  
البطون!

من واجبتنا ان ننجول في الشوارع منطينين  
جواذا مرة في الشهر وان يكر جحشا وان نركب





الاسناد ان الشربف يمكن ان تنقصه هذه الامور  
كلها اما الطوق المنشى فلا، وذلك لان الطوق  
مضوحا رنة لمرء وافرقة ولانه وهو منشى يصلح  
هو ان يدس على جهسه اد بسلى المرء  
في انسا محسا انا سرقة واعلم حاما با حضرة  
الاسناد الشربف، يجب ان يجاور عدد حاخانه  
منه الخندق الحلى في ان شهر التاسع من الحضر (١١)  
وبعد ذلك كنهه في "عاصمة سوا تاه الان  
في نه دحة "المرء" ام في المسسفى واكبر  
في رثانه .. عشر ومن حسن المصرف فهو  
ملك منها عن ما يد.

١٣) سنعمل المؤلف هنا حناسا في كلمة faltas  
فمعناها الاول انعور او الحاجة والثاني امتناع الحوض.

قضينا تلك الليلة ونعشى الشريف سمعته ي اذ لم  
 يكن لديه فلس واحد وكنت من فاحبتي مدنا له  
 ننصائحه اي لانه فتح عيني بها الى امور كثيرة  
 ومالت نفسي الى الدجل فاعربت له عن رضى  
 قبل ان ذرفد . فعانقني مسي ودانا قائلا انه كان  
 يؤمل ان تفعل ذلك ، انه فعلها في رجل عاقل منلى  
 وعرض على ان يعرفى في العاصمة بمدة اخوان  
 الدجل وار افي مع كلغة في "سدير" الى سكونه  
 فقلت بمرحله وله انه نال الدنا الى كبر  
 احبها من افصرت على "تلاوة" دائة دعه وحسب  
 وقد كانت هذه الكمية مع ما فله واقلده من حمى  
 كافة اكسب مودته.

فاشترت له من رب الهوى اثاث بكمك  
 فربط سرواله بها ونسنا تلك الدالة ثم سحرنا  
 فلما مد يدنا كرا.





الكتب الثاني

من حياة الشاطر



# الفصل الاول

في ما وقع اي في العاصمة منذ وصولي حتى الان

—

على الساعة العاشرة صباحا بلغنا العاصمة  
وحسب الانغنى فصدنا در اصحاب منو بلورينيو  
! نزلنا وحين وصلنا الى الباب قرعه فصحه نحور  
هرمة سمته اللبس. فسالها رفيقي عن الاصحاب  
واحاسه بانهم ذهبوا بحثون، فبقينا وحدنا حتى  
الثانية عشرة وقضنا لك الفرقة من حله اساي  
على احراف حرفة امسر الرخص وافدالي على  
كبر ما يعوله اساي وعلى الساعة المائة عشرة  
والنصف دخل الباب طيف نرندى حبة من الصوف  
الدي تباع قدمبه وقد فاقت حباه ريانة. فنحدث  
الانازدعة الجمانين واسار حد-يم عز معانه بي  
وعرضه خدمانه علي به نكلمنا قلما واحرج قفازا  
مع ستة عشرة ثلونا ورساله جميعها بواسطتها قاتلا

اثنا براءة للاستجداء من اجل احد الفقراء. فافترغ  
 الفخار واحرق واحدا آخر ثم طواهما على عادة  
 لاطما. فسأله لماذا لا تلبسهما فاجاب لان الاثنين  
 ليد وحنة. وانما حملهما اياهما حيلة يقال ان لديه  
 روحا من الغفائر. واثنان هذا كله لأخضت انه  
 ثم يزل ملتقا بمعطفه فسأله - كمستدي يرمز  
 الاخلاء - عن سبب اشنائه لدته ديامخف فقال:  
 يا سي. في شهري ثقب واسع تصحبه رقعة من  
 لصوف ونقعة من الزيت. وهذا اللثام يغطيها  
 كلها وهكذا أقوى على النجول، ثم فتح المعطف  
 ورأيت ان تحت الجبة شيئا ذا حجم كبير. فظننت  
 انه سروال اذ كان مظهره شبيها به لكنه حين  
 شمر ليدخر فيثقل اذا بي ارى انهما دارتان من  
 الكرتون رنطهما بنطاقه واحكمهما على ساقيه  
 تحت كسوة الحداد بحيث تخدعان الناظر لان  
 صاحبنا لم يكن يلبس لا قميصا ولا سروالا  
 ولذلك كاد ان لا يكون له حاجة الى الثقل

اذ كان على مقربة من "العري". ودخل المتغلب (1)،  
وقبب لوجه كسب فوقها في الداخل متفلاً، سحلاً  
يدخل واحد آخر. فحدث الله حداً واحداً على  
تعبضه الخلق بأشطاره مما يمنعه عنهم من الغنى  
وقال صاحبي : وره لقد اقلبت واذا مصاب بداً  
"سرويل (2) وعليه فلا بد لي من الانصراف إلى  
الترقب". وسأل عما اذا كانت هنالك بعض الرقاع  
فاجابه "عجوز - وثلاث نوصي بومين من كل  
اسبوع في جمع الخرق من نسوارك ~~كـ~~ نجمع  
غرها "لورق لآحيا ما لا يبرجي له شفاً من امور  
"الفرسان - ان لا وأن ضوء لورثو إنبيعيث  
دل بدروسو اضطر إلى ملازمة الفراش خمسة عشر  
يوماً لآمانه بداً الاقصة (3)، وفقد الخرق

وبنينا نحن في هذا الحديث "د" يرجل يدخل  
عليه محتذياً هذا "سعر وميرندا ~~كـ~~ سوسة شهد"

1 موضع "تغلب"

(2) أي أن سرواله مقطع

(3) أي لا قميص عنده

اللون وعلى رأسه قبعة شد اطارها من الجانبين  
 الى عل. وحين علم من الآخرين بقدومي اقبل علي  
 وكلمني بعطف كبير. ثم نزع عنه المعطف واذا  
 بثوبه - وتأمل رعاك الله ان كان هذا يخطر على  
 ببال احد - نصفه الامامي من الجوخ الاشهب والنصف  
 الخلفي من الكنان الابيض وقد تبطل باطنه من  
 العرق. فله املت نفسي من الضحك فقار الرجل  
 مخفيا غضبه: اعمل السلاح (4) ولن تضحك واني  
 نراهن على انك لا تعرف لاي سبب جئت بهذه  
 القبعة مشدودة الاطار الى عل. فقلت انه يفعله  
 تصرفا وللفت الانتظار اليه قال: «لا! بل لحجب  
 لانظار واعلم اني اعمل ذلك لان القبعة لا شريط يحيط  
 بقعرها. وهكذا لا يرى ذاك النقص وبعد ان  
 فرغ من حديثه اخرج نيفا وعشرين رسالة ومثلها  
 من البلايين قائلا انه لم يتمكن من ابلاغ  
 تلك وكان مع كل واحدة من هذه الرسائل بلون  
 اجرة حملها وكان صاحبنا يكتبها بيده ويضع في

---

(4) مثل اسباني يراد به ان «اعمل ما اعمله»

اسفلها امضاءً من احب. وكان يكتب رسائل جديدة  
يخترقها الى اشخاص محترمين ويسلمهم اياها وهو  
بذلك الثوب وبقبض اجرة ابصالها. وهذا ما كان  
يفعله كل شهر فها اني ما رأيت من جديد في  
شؤون الحبة (١٧)

١٧ وقد وقع كبيدو نفسه مرة في حبال هذه  
الحيلة التي نصها له احد الرهبان اذ وصلته نسخة  
من كتابه رسائل فارس الكلاية. وهذا نص  
الرسالة: لقد خلعت الرسائل التي انقمتها عن  
فارس الكلاية والاساليب الكثيرة والوسائل المخلقة  
التي تقترحنا ليتخلص الرجال من محبات النساء  
لكني. ثم اجد وسيلة واحدة بخلص بها حضرت  
من دفع درهمين اجرة ايصال هذه الرسالة ففك  
الصرة واضرب علجا آخر الى فارسك والانصات  
كلامه قصيرة. حفظ الله لك روح المزاج والصحة  
طيلة سنوات عديدة هنيئة واراني اباه. الامضاء:  
الدكتور فراي بنيطو برناردو دي موراليس، على



ثم دخل اثنان آخران احدهما يرتدي قباً  
 من الجوخ يعطي حنى وسط سرواله ومعطفاً من  
 الجوخ أيضاً وقد رفع الحوق لئلا يرى الخيش  
 الذي كان مسرقاً اما السروال فكان من اللباد. ولكن  
 لم يكن من اللباد سوى ما يرى اما البقية فمن  
 البقعة الخمرية. وقد دخل صاحبا هذا وهو يزعم  
 مع واحد آخر ببس زيق بدلاً من الحوق ويحمل بعض  
 الثمانيات لانه لا معطف له وبندقي على عكاز وقد  
 ثف احدى ساقيه باسمال وجلود لانه لم يكن له  
 سوى نصف سروال يغطي ساقيه واحدة. وكان  
 يتظاهر بالجندية وفي الواقع كان جندياً ولكن  
 من اسوأ الجنود وفي امكنة هادئة وكان يحدث  
 خدمات عريضة أدها. ووصفنه جندياً يدخل أي مكان  
 سراً. ياذ اقلما كان ذو القبة والسروال يقول:  
 عذبت ان تعطيني النصف او على الاقل قسماً  
 وافر فوالله ان لم تعطيني ... فيجيبه الآخر بقوله:

الغامش حسن برناردو سنياغو دي غاليسيا في  
 17 يناير سنة 1619ء

لا تحلف باسم الله . واعلم اني حين اصل الى  
 الدار يزايلني العرج فاذا يقك طعم هذا العكاز،  
 وبين اخذ ورد وما اعتادوه من تكذيب واحدهم  
 الاخر هجم احدهم على الثاني وتماسكا. وعند المشادة  
 الاولى خرج كل منهما باسمال الآخر في يده.  
 فوقفنا بينهما وسألناهما عن سبب الخلاف. فقال  
 الجندي: أمزاح علي؟ انك لن تنال قدر حبة  
 خردل منها. وتعلم حضراتكم اننا بينما كنا في  
 سان سلبادور، وصل صبي الى هذا الفقير وسأله  
 عما اذا كنت انا هو الملازم خوان دي لورثافا.  
 فقال نعم لانه رأى في يده شيئا جاء به. فقاده  
 نحوى وقال ملقبا اياي بملازم: فلنر حضرتك ما  
 يبتغي هذا الصبي وحيث فهمت مراده قلت اني  
 انا هو فتلقيت الابلاغ ومعه اثنتى عشرة فوطنة  
 واعطيته الجواب لانه التى ارسلتها الى واحد يحمل  
 ذلك الاسم. وها هو الان يطالبني بالنصف وانى  
 لا قطع نفسي اربا قبل ان انزل عند طلبه. ولا بد  
 ان يبلغها كلها انفي فحكوا له في القضية وانما

خالفوه في مسألة تمخطه بها و'مروه بان يسلمها  
الى العجوز لانتفع بها الجماعة فتعمل منها اطراف  
اكمام بارزة فتلوح كأنها قمصان لان التمخط  
ممنوع

ثم جن الليل ونمنا مناصقبة كأننا ادوات  
رست في غلاف. اما العشاء فلم يخطر على بال احد  
ومعظمهم لم ينزعوا ثيابهم لانهم بنومهم مرتدين  
ما يلبسونه نهارا يفوت بواجب النوم عراة.

## الفصل الثانى

وفيه يتابع الموضوع المبدؤ به وعيره من  
الحوادث الغريبة

اصبح الصبح فتأهبنا جميعا وكنت قد  
امتزجت بهم كما لو اننا كلنا اخوة ، وذلك ان  
في الشر دائما هذه السهولة والعذوبة الخارجية.  
وما اغرب ما كان من مشهد ترى فيه احدهم  
يلبس القميص اثنى عشرة دفعة لانها تتركب من  
اثنى عشرة خرقة. وترى الآخر وقد ضلت رجله في  
'زقة' السروال واذا به يجدها مطلة حيث لا يرغب في  
ان يراها وترى الثالث يستعين بدليل ليرتدى  
صدرته. فتتقضي نصف ساعة قبل ان يهتدى  
اليها.

وما انهى هذا المشهد ولم يكن بالشئ القليل

قبض كل منهم ابرة وخبطا لياشروا رتق الحروق  
فكنت ترى احدهم ماداً ذراعه ليرفأ بدون احكام  
ما تحت ابطه فكأنه انقلب لأمأ (1) وترى الآخر  
جاثيا على ركبته محاكبا رقم الخمسة (2) وذلك انه  
يمد بمساعدة جواربه وترى الثالث وقد ادخل  
رأسه بين فخذه ليحكم ضي ما يتصل بهما من  
انسروال قد انقلب كبة. واشهد ان بوسكو (3) لم

---

11 اي ان الواحد منهم حين يمد ذراعه  
يصبح تشبيها بحرف اللام الذي يكتب في الاسبانية  
هكذا L

(2) اي رقم خمسة في كنانة الارقام العربية  
هكذا: ٥ وهو يشبه الرجل جاثيا ومحنيا رأسه.

(3) بوسكو - لقب المصور الهولندي خبرونييهو  
فان أكين (1450 - 1516) وقد ولد في بلدة بوالفي  
دوك Bois le Duc واليها ينسب قلدا لقب المصور  
بيوسكو. وقد بقى كثير من لوحاته في اسبانيا  
في دير الاسكوريال ومتحف اليرادو

ويمتاز فن بوسكو بمزجه الجذ بالهرل فبرى

يصور مشهدا اغرب من هذا الذي رأيته، لأنهم  
بينما كانوا يخيطنون كانت العجوز تمدهم بالمواد  
من رقع وخرق بالية من مختلف الالوان كانوا  
قد اتوا بها نهار السبت. وانتهت ساعة الترقيع  
- اذ كانوا يطلقون عليها هذا الاسم - واخذوا  
بنظرون بعضهم الى بعض ليروا من منهم لم يوفق  
في عمله، ثم قرروا الذهاب خارجا فقلت لهم اني  
اريد ان تفصلوا الي ثوبا حبث كنت ارضب في  
صرف مئة درهم في ثرا واحد لانزع عني الجبة.

---

في لوحاته خليط لم يعهد له مثيل سابق. لكن  
اخراج هذا الخليط محكم الاتقان وهو ما قلده  
فسته الكبيرة، وكأن المصور اراد ان يصور ناظر  
الانسان وما فيه من تضارب وخليط، مما حصل  
المؤرخ الاب يوسف دي سيغوانا على القول في  
مؤلفه تاريخ رهبنة سان خرونسو، الجزء الثالث  
ص 36 ضعة سنة 1605 ان غيره من المصورين  
سعوا لتصويرا خارج الانسان. اما هؤلاء فهو  
اوحده الذي نجحاً على تصوير ناظره

فقالوا لا، وانما يعطى المال الى المستودع ولنلبسه  
 مما لدينا برسم الاحتياط ولنعين له دائرته في  
 المدينة حيث يكون له ان يفتش وياكل منها وحده.  
 فاستحسنن الرأي ودفعت المال ليودع وفي  
 لحظة قصيرة خاطوا لي من الجبة قبا حداد من  
 الجوخ وقصروا المعطف فاصبح صالحا. وما فضل  
 حواؤه الى قبعة قديمة جدد صبغها. واستعاضوا  
 عن الشريط الذي يحيط بها بنسف من قطن المحبرة  
 احكوا وضعها. ونزعوا عني الطوق والسروال  
 والبسوني بدلها سروالا قصيرا لم تكن فيه  
 شقوق (4) الا من الناحية الامامية. اما الجانبان  
 وانورا فكانت من جلود الوعول. ولم تكن  
 الجوارب الحريرية بجوارب حقا لانها كانت تبلغ  
 ما تحت الركبة بربع اصابع. وما بقي حتى الركبة  
 كانت تغطيه موق احكمت فوق الجوارب الاحمر

---

(4) في ذلك العهد كانت تفتح شقوق عامودية  
 في السراويل لترى نحتها انسجة اخرى من الوان  
 مختلفة يزين بها السروال

الذي جئت به انا. وكان الطوق مفتوحا لتمزقه  
فوضعه لي قائلين: «ان في الطوق خلا من الورا»  
والى الجانبين فان التفت اليك احد وجب عليك  
ان تلتفت اليه كعباد الشمس. وان اقبل عليك  
اثنا ملتفتين من الجانبين فتقدم الى الامام  
دون ا — تلتفت وراءك ودع القبعة تقع دائما  
على القفا بحيث يغطي اطارها العنق ويترك الجبين  
بارزا. وان سألك احد لماذا تسير على هذا الطراز  
فقل لآنك تقدر ان تسير مكشوف الوجه (٥) في  
اي مكان كان. واعطوني صندوقا صغيرا فيه خيوط  
سوداء وبيضاء وابرة وكشتبان ورقع من الحرير—  
والجوخ والكتان والحرير المطلس وغيرها من الرقع  
وسكينا. ووضعوها الي بطاقة في حقوى وصوفانة  
وقداحة في هميان وقالوا: «بهذا الصندوق يمكنك  
ان تتجول اينما اردت دون ان تحتاج الى اصحاب  
ولا الى انساب». وفيه ينحصر كل علاج فياكنه

٥) وبمعنى ذلك من الوجه المجازي انه شريف  
السيرة.



واحتفظ به، ثم عينوا لي حي سان لويس مرتعا  
ابحث فيه عن معاشي، وهكذا بدأت نهاري خارجا  
من الدار مع البقية. لكنهم نظرا لجدي ارسلسوا  
معي كمرشد لابدأ حياة الاحتيال نفس ذلك الذي  
جلبني وهداني اليها.

خرجنا من الدار بخطى بطيئة والسبحات بين  
ايدينا وسلكنا طريق الحى الذى عينوه لي؛ وكنا  
نساه على الجميع، على الرجال بنزع قبعاتنا متمنين  
او اننا نقتدر على فعل ذلك بمعاطفهم وعلى النساء  
بانحنات نغبطن بها واكثر منهن يغبط بها  
الابانيون (6) وكان مرشدى يقول لاحدهم غدا  
سانوننى بدراهم، والآخر: ارجو حضرتك ان  
تمهلنى يوما واحدا لان المصرف سيأتينى بها. وكن  
واتقا من ذلك. ورأيت واحدا يطالبه بالمعطف وآخر  
بالتكة وعرفت من ذلك انه صديق اصدقائه الى

ii) الابانيون .فرده آتاني وهو لقب يشبهه  
معناه كلمة أب يطلقه على رؤسا بعض الادبار

حد انه لم يكن عنده شيء ملكه (٦٧) وكنا في سيرنا  
 تنساب كالافعى من رصيف الى آخر تجنبنا لمنازل  
 الغرما. اذ كان واحد منيم يطالبه بكرا الدار  
 والاخر بكرا السيف والثالث بكرا الملاحف  
 والقمصان مما حملنى على استنتاج ان صاحبى  
 فارس كرا كالبغلة. وحدث انه ابصر من بعيد  
 رجلا كان يرهقه ارهاقا شديدا بسبب دين له  
 لكنه لم يكن عنده مال ليفيه اياه. ولئلا يعرفه  
 الغريم ارخى وراء اذنيه شعره الذى كان مجموعا  
 ولصق رقعة على احدى عينيه وشرع يمشى  
 بالاطالية وقد امكنه ان يقوم بكل هذا بينما كان  
 الاخر مقبلا لكنه لم يره لانه كان منهمكا في  
 الهذر مع احدى العجائز والحق نقال ان رأيت

(٦٨) في الاسانبة مثل مضمه ان ما الانسان  
 يكون لصدقه ايضا اي انه يضعه تحت تصرفه  
 فلتألف المؤلف بهذا البر دعواه ها ان الشاظر لم  
 كنه له سيرة وانما هو لمدته مفروض ان المحاص  
 آخرين فاعرف هو صدقهم

الرجل يدور حول صاحبي كالكلب يريد الهجوم على فريسته ويكرر رسم اشارة الصليب اكثر مما لو كان راقية، ثم واصل طريقه قائلاً: «يا لله! ظننت انه هو، ومرددا المثل المشهور: من فقد بقره تخيل دوي الاحراس وكنت اكاد اموت ضحكا من هيئة صاحبي، ثم دخل بهو دار ليجمع شعره ونسزع المزقة عن عينه وقال: هذه عدة نكران الدين فتعلم يا اخي لانك ستري الكثير من هذه الامور في المدينة

وبابعد السير وحيث كنا في الصباح تناولنا في احدى الزوايا قتلعتين من الحلوى الرديئة وجرة من ماء الحياة من عند احدى الشاطرات التي اعطينا ذلك مجاناً بعد ان رحبت بمدرربي فقال: يمكن للمرء بعد تناول هذا ان يسير آمناً وان لم يجد ما ياكله في يومه فان هذا على الاقل لا ينتقص فأنالمت حين رأيت ان طعام يومنا لم يكن مضموناً واجبه منأسفا على معدتي فقال: يا قليل الايمان بماء طارق ورهبنها ان الله لا يتخلى

عن الغربان والزرقان (8) حتى ولا عن الكتبة  
 فهل يتخلى عن الهزلي؟ ان معدتك لاصغر من ان  
 يستحيل ملؤها قلت: صدقت ولكنني اخشى ان  
 يصغر عنها ما لدى وان تبقى خاوية، وبينما نحن  
 في هذا الحديث دقت الساعة الثانية عشرة وبما  
 اني كنت حديث العهد بهذه الحطة لم ترق لامعائي  
 تلك الحلوى الرديئة التي اكلتها وكنت اشعر  
 بالجوع كما لو انه لم يدخل في شيء سنة فالتفت  
 الى صاحبي وقد جدت تلك الدقات ذكرى الجوع  
 في حافظتي وقلت: يا اخي! ان التألف على الجوع  
 لتدرج شاق! لان المرء خلق اكلوا وها انذا اقاد  
 في طريق الصوم وان كنت انت لا تشعر بالجوع  
 فما ذاك عليك بكثير لانك على الجوع رعبت منذ  
 "صغر - كما زني ذلك املك على اسم (9) ومعه  
 اصبحت نقات ولست اراك تسعى بجدة لمضغ

١٨ جمع زريق

١٩ اشارة الى مضغ يد افس ملك يوضو  
 زني على جرع اسم لئلا يفعل به فيما عد

ولذا قررت ان افعل ما بوسعي ، فقال : «تبا لك  
انما هي الان الساعة الثانية عشرة لا غير. وهذا  
انت قد ساورك العجلة! اجل! ان شهيتك على  
الطعام لدقيقة ومعجلة ولا بد لينا ان نتحمل بصبر  
تأخر بعض الروائب! هذا ولا الاكل طول النهار  
اذا ما فعل الحيوانات غير ذلك؟ ولم يروقط ان  
واحدا من فرساننا اصيب باسهال. ونفضل ان لا  
نبرز على ان نذل في اقتياتنا (10) وقد قلت لك  
ان الله لا يترك احدا. وان كانت تساورك العجلة  
فاني اذهب فاقتاول المرق الذي في دير سان  
خروونسو وهناك املا معدتي فان تتبعني  
فعال والا فليس لى منا في سبيله. قلت: مع  
السلامة. اذ ايس ثوبي قصيرا لا اكمله بما يفضل  
من انواب الغير (11) وليتبع كل منا طريقه،

(10) انى المذنب يجناس في كلمة prover  
ومعناها هكذا اقات فلذا لحنها الضمير هو صار من  
حسب دعائها نزل.

(11) انى نسر حاجة الى الآخرين

وكان صاحبى بسير بخطوات يسمع لها وقع شديد  
متطلعا الى رجله ثم اخرج فناقا من الخبز كان  
يحملة دائما لهذه الغاية في صندوق صغير فذره  
على ذقنه وثيابه بحيث كان يظهر بظهر الاكل  
اما انا فجعلت اسعل واستاك اخفا لهزالي وانظف  
شاربي وقد قلثمت والقيت المعطف على كتفي  
اليسرى وجعلت لعب بسبحة ذات عشر خرزات  
فقط. فكر من راني ظن انى اكلت. ولو انه  
ظنوا ناني اكلت (12) وان آكل هو القس لما  
اخصوا.

وكنت اسير واتقا بدنانيري وان كان ضميري  
يوجبني على انه مما يخالف انظمة الجماعة ان  
بعش من الدنانير من كانت امعاؤه طفيلية في

---

12 جاء المؤلف بجناس في كلمة Comido وهي  
اسم المفعول من فعل Comer لكنها تستعمل ايضا  
بمعنى اسم الفاعل. وهنا استعملها المؤلف في المعنيين  
اولا كاسم فاعل ثم كاسم مفعول في جملة بصيغة  
المجهول

الحياة. وأخيرا عرمت على الفطور واثنا هذا بلغت زاوية زقاق سان لويس حيث يقطن بائع معجنات فرايت واحدة محمصة من ذوات الثمانية دراهم تطل من الواجهة مرسله نفسها الحار الذي تغفل في انفي فعلقته بها في الحين نظرا للحالة التي كنت فيها - كالكلب الصاري؛ فاحدقت فيها نظري احداقا يبست منه كالسحور وان نظرت الى ما نصبت من الحيل لاختلاسها لرأيت العجب العجيب لكنني في آخر الامر عزمت على دفع ثمنها. وبينما أنا في هذا دقت الساعة الواحدة. فتألمت الى حد اني قررت ان الجحلا احد المطاعم؛ وأنا الذي كنت انرقب فربسة ارتدى عليها فقد شاء الله ان المتقي اذناك بأحد اصدقائي الماذون ملتشيا الذي اقبل معروفا في ذلك الزقاق وقد لطخت جبته بالاولحال فشابه عجلة ذات دولابين وما ان ابصرني - ولم يكن ذلك بالهين لو تأملت شكله حينئذ - حتى هجم علي وتعانقنا عناقا وديا. وسألني عن حالي. ثم قلت له: -ياصاح كم لدي من الامور لاقصها عليك

وانما يؤمني ان نبد لي من السفر الليلة، قال:  
«وهذا ما يؤمني ايضا ولولا ان الوقت قد فات  
وعلي ان اذهب على عجلة لاكل لتوقفت معك  
مليا. لان شقيقة لي متاهلة وزوجها ينتظراني». .  
فقلت: «او سيدني حنة هنا؟ فوالله لازورنها ولو  
اضطرت الى ترك كل شيء. فسر بنا لاني اريد  
ان اقوم بالواجب نحوها .

وقد فحنت عيني حين سمعت انه لم ياكل  
وذهبت معه وشرعت اخبره بانني اعرف مقر احدي  
النساء - وكان قد عشقنا كثيرا حين كان في  
القلعة - واني اقدر ان ادخله الى دارها. فعنقت  
نفسه بهذه الدعوة. ورايت ان الحيلة في قص ما  
وافق مشتهاه. وبلغنا داره ونحن في هذا الحديث  
فدخلناها وعرضت نفسي مرارا وتكرارا على اخيه  
وزوجها اللذين لم يؤولا مبالعتي في الاخشاء  
الا لمجيئي في تلك الساعة فاخذا بعذر ان قائلين  
لو انهما عرفا بان ضيفا كريما ملى سيحل عليهما  
لا عدا شيئا لانتقاه. فاغتنمت الفرصة ودعوت نفسي



قائلاً اني اعتبر نفسي من جملتهم واني صديق  
قديم وان المجاملة بيننا من الاهانة. فجلسوا وجلست  
ولاهون الامر على صاحبي - الذي لم يدعني في  
الواقع ولا يخطر له دعوتي على بال - جعلت  
اغريه بين فرة واخرى بالفتاة قائلاً له انها سالتني  
عنه وانه يحتل قلبها وغير ذلك من الاكاذيب  
المشابهة له. فكان لدى سماعه كل هذا يزداد صبراً  
وتحملاً لرؤيته ايدي ازدد الطعام لانني فتكت  
باللون الاول منه ولا فتك الرصاص بسربال من  
الجلد (13). ثم جاء دور قدر اللحم والشحم والخضر  
فكدت اقضي على كل ما فيها بلقمتين دون سوء  
قصد وانما كنت اسرع في الابتلاع كائنني والطعام  
بين انساني لم اكن واثقاً من صيرورته الي  
والله عليهم بان تربة مقبرة لا انتيغوا في بلد الوليد (14)

- 
- (13) جاء المؤلف هنا بجناس في كلمة Ante،  
ومعناها اللون الاول من الطعام وهو الذي قصد  
ه. اولاً والجاموس وهو الذي قصد به ثانياً.  
(14) كانت تروج بين العامة اسطورة مفادها

ليست أسرع في تحويل الجثث هباءً منثوراً - وهي  
تفتتها في 24 ساعة - مما كنته في القضاء على  
طعام يومهم كله اذ فقت بذلك سرعة بريدا  
مستعجلاً ولابد انهم لاحظوا جرعاتي المفرطة  
واستنزافي القصعة ومطاردتي العظام واقتلافي اللحم  
وان صدقت القول اخبرتك ايضا اني بين جد وهزل  
رصدت جيبى بالفتات. ثم رفع السماط وملت انا  
وصاحبي الى ناحية نتحدث في شان ذهابه الى دار  
من ذكرت واكثرت في نهوبن الامر عليه وبينما  
كنا نتحدث امام احدي النوافذ تظاهرت بان  
شخصا يناديني من الشارع فقلت مجيباً: ايها  
قنادي ابها السيد؟ رويدا فاني هابط، واستاذنت  
صاحب قانلا له اني ساعود فيما بعد وبقي ينظرني  
حتى ابروه اذ انني احنيت عملاً بالمل قائن.  
خبز مأكول وصحبة مفصومة، والمقبت به مرارا

---

ان قرية مقبرة سيدة «لا انديغوا la Antigua» في بلد  
الوليد جلبت من ابحاً بعدة وان لها ميزة خاصة  
وهي انها تفتت الجثث في 24 ساعة.

عديدة فاعذرت له عن تخلفي قاصا عليه الف  
كذبة لا مجال لذكرها الآن.

وسرت على وجهي في الشوارع كيفما قدر  
الله فأنتهى بي السير الى باب وادي الحجارة (15)  
فجاست علي مقعد من المقاعد التي يضعها التجار  
على ابوابهم وشاء الله ان تصل اذ ذاك الى الحانوت  
امراة - من اللواتي يقترضن على وجوههن (16)  
وقد تحجبتا فلم يبين منهما سوى عين واحدة  
يصحبهما خادم وعجوز فسألنا صاحب الحانوت عما  
اذا كان عنده مخمل حريري مطرز من النوع  
الفاخر، واخذت انا حبا بفتح حديث معهما انلاعب

---

(15) باب وادي الحجارة - كان هذا واقعا في  
الشارع الاكبر بالقرب من 'بالاترياس' وهو اليوم  
زقاق مدينة رودريغو، وكانت في ذلك العهد  
خاصا بالخوانيت ومجتما للعاطلين.

(16) يقال عن شخص انه يقترض على وجهه  
اي دون ان يقدم ضمانا لدائته لانه معروف .

بكلمة ترسيو (17) و بيلادو و بيلو و أبيلو و  
 بيلي فلم ادع شاردة ولا واردة تمت اليها بصلة  
 حتى اتيت بها فشعرت بان طلافسي حملتها على  
 الاعتقاد بانني صاحب الامر والنهي في الحانوت.  
 فعرضت عليهما ما بتمنيانه مخاطرا في عرضي  
 شأن من 'لا يخاف على شي' يخسره' فاعذرتا مدعيتين  
 انهما لا يقبلان شيئا ممن لا يعرفانه فاعتنمت  
 الفرصة قائلا انه لمن الجراة ان اعرض عليهما  
 شيئا. واكنى رجوتهما ان يقبلاني بعض الاقشة  
 واصلتني من مدينة ميلان وسيحملها اليهما ليلا  
 احد الخدام - واشرت الى خادم كان واقفا ازا  
 الحانوت ينتظر مولاه الذي كان في حانوت آخر  
 ولذلك كان مكشوف الرأس فقلت انه خادمي -  
 وجعلت ارفع قبعتي لئلا المارة من وجهها

---

(17) كلمة ترسيو بيلو معناها المخمل  
 الحريري وهي تتألف من كلمتين: ترسيو ومعناها  
 الثالث و بيلو ومعناها شعر

ومعممين (18) محييا اياهم كما لو كانت روابط  
 الصداقة محكمة بيننا دون ان اعرف واحدا منهم  
 لاحملهما على الاعتقاد بانى ذو جاه كبير ومقام  
 رفيع، فمن هذا التصرف ومن رؤيتيما اياي اخرج  
 دينارا ذهبيا من الدنانير السى كنت احملها  
 هاما بان اتصدق به على مسكين استجدانى  
 استنجا اني من عظماء الاشراف، وازمعدا على  
 مغادرة الخانوت لغوات الوقت فاسناذناني وشعرت  
 من جهتي بان الخادم ذاهب ايضا، فطلبت منهما  
 مستعطفا كمن يطلب منحة عظيمة سبحة نظمت  
 خرزاتها فى سلك من ذهب كانت تحملها اجملهما  
 ضمانة على انه لا بد لى ان اراهما، وونقنا بى  
 بقصد الاحتفال على بكمة اكبر منها، وسألناى

(18) ترجمت بمعمين لفظة Oxidor وهو اسم  
 كان يطلق اذ ذاك على موظف قضائي عال يسمع  
 الى الدعاوى المرفوعة الى المحاكم الاستئنافية ويفصل  
 فيها، وعلى راسه تبة خاصة تكاد تشبه العمامة  
 السوداء.

عن داري قائلتين ان الخادم لا يقدر ان يدخل  
 دارهما اية ساعة كانت لانهما من طبقة الكبار.  
 فسرت بهما في الشارع الاكبر، وحين دخلنا زقاق  
 دلاس كاريطاس، انتقيت احسن واكبر دار ظهرت  
 لي وكان على بابها عربة بلا خيل، وقلت لهما انهما  
 داري واضفت قائلاً ان الدار وصاحبها والعربة  
 تحت تصرفهما. وتسميت بضون البرودي قرطبة  
 ودخلت في الباب على مرأى منها. واذكر اني  
 حين خرجنا من الحانوت اومأت بهيئة الامر الى  
 احد الخدم ليأتي الي. وتظاهرت بانني اقول له ان  
 يقولوا كلهم وينتظروني هناك وفي واقع الامر سألته  
 اذا كان هو خادما عند عسي الكومندادور (19)  
 وهكذا تمكنت من ان اتصرف بخدم الغير كما  
 لو كنت من الاشراف حقاً

اقبل الليل فالتجنا كلنا الى الدار، واذ  
 دخلت وجدت جندي الخرق ويمده شعة كسيرة  
 وغليلة دفعت اليه ليرافق جنازة ميت فجاءهم، وكان

---

(19) رتبة في الجيش او في جمعية الثرمان

صاحبنا هذا يسمى «ماغاثو» واصله من اولياس (20) وقد مثل دور «كابيطان» في احدى المسرحيات الهزلية وحارب المسلمين في احدى الرقصات فاذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب فلانديس قال انه خاض غمار حرب الصين واذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب الصين قال انه شهد حرب فلانديس وكان يحاول تأسيس ميدان وهو لا يحسن الا ان يتفلى فيه وبذكر القصور ولم يرها الا مرسومة على النقود. ويغدق المديح لذكرى ضون خوان (21) وكيم مرة سمعته يقول عن لويس كبخادا (22) انه كان مفخرة الاصحاب. ويكثر من ذكر الاتراك والمراكب البحرية وامراء البحر وكل

---

(20) اولياس Olías بلدة في مقاطعة مالقة، واولياس دل اي: بلدة في مقاطعة طليطلة.

(21) ضون خوان دي اوستريا شقيق الملك فيليب الثاني وقائد القوات الاسبانية في معركة ليبانتو

(22) لويس كبخادا Luis Quejada بطل اسباني.

ما قرأه حول هذا الموضوع في مقطوعات شعرية كانت رائجة حينئذ. وبما ان صاحبنا لم يركز ليعرف شيئاً من شؤون البحر - اذ لم يكن فيه من بحرى سوى اكل اللفت (23) - قال متحدثاً عن المعركة التى ربحها ضون خوان في ليبانطو: ان ليبانطو هذا مسلم شجاع قوى الشكيمة وحيث لم يكن المسكين يعرف انه اسم للبحر قضينا معه في استماع هذا الحديث ساعات لذيذة وممتعة.

وبعد ذلك دخل رفيقي مهشم الانف مضمدا الرأس ملطخا بالدم وملوثا بالاقذار، فسألتناه عن سبب حالته هذه فقال انه ذهب الى دير سانت خيرونيمو لتناول المرق الذى بوزع هناك وطلب جراية مزدوجة مدعيا انها لأشخاص ذوى م روة

---

23 انى المؤلف بجناس في كلمنى naval ومعناها بحرى و nabal ومعنا لغني اي نسبة الى "اللفت" وبما ان حرفى B و V يلفظان باً في "الاسبانية كانت الكلمتان متشابهتين تماما في اللفظ. وكثيرا ما يرتكب خطأ في الاملاء بسبب هذا التشابه



عضت عليهم انياب الفاقة، فتزعوها من بقية  
 المستجدين لبعثوه اباها . لكن هؤلاء وقد اشتد  
 حنقهم تبعوه وابصروا في احدى الزوايا وراء الباب  
 يجرع المرق متعنتا ودار الجدال حول ما اذا كان  
 بجوز لئلا ان يخدع ليزدرد وان ينزع من  
 الآخرين نينال هو فارفعت اصوات عقبتها عصي  
 وبعد العصي الاخاذيد والورم في رأسه المسكين  
 وهجموا عليه بالاباريق اما الورم في الانف فقد  
 احذثه له احدهم بقصعة من الخشب قربها اليه  
 ليشمها بسرعة اكبر من اللازم ثم جردوه من سيفه  
 وعند قيام الجنبه خرج البواب اليهم لكنه عجز  
 عن احلال السلم بينهم وقد وجد اخونا نفسه في  
 مازق حرج الى حد انه صار يقول لهم 'انى أرجع  
 لكم ما أكلته، ومع هذا لم يكونوا ليقنعوا لانهم  
 أصبحوا لا ينظرون الا الى انه كان يطلب من  
 اجل أشخاص آخرين أنفا من ان يحسب نفسه  
 بين عداد مستجدي مرق الدبر وكان احد الطلاب

اطفيليين من ذوي الغزر (24) يصبح قائلاً: «ألا  
 فانظروا هذا المركب من خرق كدمية الاطفال. وقد  
 أصبح اشد حزناً من حانوت الحلوى في زمن الصوم  
 وأكثر نقوباً من المزمار وأكثر نقطاً من كتاب  
 موسيقى. مع ان بين من يلتمسون مرق القديس المعظم  
 (25) من يقدر ان يكون اسقفاً او اية سلطة دينية اخرى  
 ولا يانف من استجداء طعامه. الا انى حائز على  
 الاجارة في الثمنون من سغونثا (26) وتداخل البواب  
 في الامر حين سمع شيخاً من جملتهم يقول انه وان  
 اقبل على المرق الذي يوزع على الفقراء فهو من  
 سلالة القبطان الاكبر وله انساب من الكبار  
 وهنا افرك الكلام عن هذا الحادث لان صاحبي  
 أصبح خارجاً وخلصت عظامه من الضغط.

- 
- 24 اي من الطائفة الفقراء الذين كانوا  
 يحملون غزراً لجمع الفتات وبقايا الطعام  
 25 اي الذي يوزعه الدبر الحامل اسم القديس.  
 26 سغونثا Sigüenza بلدة من مقاطعة وادي  
 الحجارة مشهورة بآثارها القديسة

## الفصل الثالث

وفيه يتابع الحديث حول الموضوع نفسه حتى  
ينتهي الأمر بإيداعهم السجن جميعا

- - -

دخل ميرلو دياس. وقد احبك بسط من  
الحرف والحرف سرقتها دون ان يخشى الله من دير  
راهبت عرج عليه مستسقيا لكن ضون لورثو دل  
بنروسو فاقه شارة اذ اقبل وعليه معطف فاخر  
بدن به حول المائدة الخضراء معطفه الذي لم تبق عليه  
شعرة واحدة. وكان من عادة صاحبنا هذا ان  
ينزع معطفه كمن يريد اللعب ويضعه مع المعاطف  
الآخري. ثم يذهب بعد ذلك - اذ لم يكن يشترك  
قط في اللعب - لياخذ معطفه فبستولي على احسن  
واجد معطف يبدو له ويخرج وكان يستعمل هذه  
الحيلة في لعبتي الحلقات والاكر.  
لكن هذا كله لم يكن شيئا يذكرك بالنسبة لمشهد

ضون كوسمي دخلا وقد احاط به قتيان متجاوز  
 بمختلف الامراض العاهات. فمنهم بداً الخنازير  
 وغيرهم بالسرطان والآخرين بالبرص ومنهم الجرحى  
 والتدنف. وسببه ان صاحبنا ادنى معطاة الرقية  
 مستعملاً بعض التعاويذ والصلوات التي تعلمها  
 من احدى العجائز وكان يفوق في 'حتياله' الآخرين  
 كلهم لانه ان راي شخصاً اقبل مسنقياً ولاشداً  
 فأتى تحت معطفه 'او لم يسمع رنين' انتقوت في جيبه  
 او صياح ديوث مسنة فلا مجال لسفائه. وكان  
 شره ممزداً وبحس الناس على اعتقاد كل ما يجب  
 لانه لم يلد من يضاهيه في فن الكذب ولم يخرج  
 قط من فمه - ولو سهواً - كلمة صدق. وكان  
 يتحدث عن لطف يسوع ود حل 'الموت مررد'  
 كلمة 'حمد لله' وبكرز 'فنيكر' 'روح نفدس'  
 معكم جميعاً وبحس جوار المصرة كاملاً ومو سلف  
 من سبعة ذات حبات غلبة وطرف سوط ملصق  
 بدم الانف يرى عند ما يتحرك تحت المعطف  
 وبحس على الاعتقاد - بنحريكه كتفيه وتهدد

كذب يحنك - بان القمل مسوح وان الجوع الفناك  
 انما هو صوم اخيارى. ويقص قصص تجارب وحين  
 تذكر اسم الشيطان بقول «اعاذنا الله ووقانا»  
 وبقبل الارض حين تدخل الكنيسة ويدعو نفسه  
 بالحقير ولا يرفع عينيه الى النساء وانما يرفع انوابهن  
 فيبذه الامور كان مسبطا على عقول العامة بحيث  
 يستسلمون اليه وكان ذلك كاستسلامهم الى  
 الدس. اصف الى هذا كله انه كان مغامرا  
 وفضلا عن ذلك ضاعيا. وكان يحلف باسم الله  
 تارة بالباطل وطورا بلا داع. اما من ناحية النساء  
 فكان له اولاده وحبيبان من المومنات بتعاوبذه  
 والخلاصة ان ومنا الله التي لم يكن يخالفها (1)  
 كان بفريها

واقبل بولانكو محدثا جلبة كبيرة وطلب

---

(1) اتى المؤلف بجناس في فعل quebrantar وله  
 معنيان كسر وخالف - فاستعمله بالمعنى الاول ثم  
 استعار المعنى الثاني لالبراء فعل «فرى» مبالغة في  
 الكسر

كيسا انتهب اللون وصليبا كبيرا ولحية منويلة  
مستعارة وجريسا وكان يسير لئلا على هذه الهيمّة  
مناديا تذكروا الموت واحسنوا الى نفوسكم  
التي .. فيجمع بهذه الوسيلة صدقات عديدة ويدخل  
الببوت التي يراها مفتوحة فان لم يجد شاهدا  
او عائقا سرق كل ما وقعت عليه يده وان تنمر  
عليه قرع الجرس قائلا - بصوت ينصعه كصوت  
قائب شديد الندم - تذكروا يا اخوتي الخ ...

فكل هذه الحيل الاخلاصة وعمرها من  
الاساليب الجببة نعمتها الى حاديه حلال شهر  
واحد. وانعد الان الى قصتي فقد اريهم اسبحه  
وقصصت عليهم الخبر فاعجبوا بالحيلة واحذت  
العجوز السبعة السبعين ونشرت تدخل السارل  
تارضه انها قلة انها لعماد فقرة ارادت معها  
الأكلي سمها ان كان لديها لكل حقه ككده  
وخدنة. ولسانت العجوز كلما حطت خطوة تكمي  
ونضم يديها واحدة الى الأخرى ويدهد من اتماف  
صدرها بهذا الهم ونسبي الجمع انماها ونلمس

فوق قميص فاخر وصدره وفستان وشملة  
كيسا موزقا من الصوف الخشن استعارته من  
سدبق لها عابد كان يقيم في عقبة القلعة،  
وكانت العجوز هي التي تحكم العصاة فنشير  
وتستر راتن ساء انليس الرجيم - الذي لا يعرف  
البتالة نبي ما يتعلق بعبيده - انها بينما كانت  
ناهبة الى احد المنازل لتبيع بعض الثياب واشياء  
اخرى عرف واحد من الناس حاجة له، فذهب  
وجاء بمأمور العدالة فقبضوا على العجوز التي  
كانت تدعى "لام لبروسكا"، ثم اعترفت بالقضية  
كلها من انها الى يائها واخبرت كيف تعيش  
كلنا واقتنا فرسان نهب وسلب

فتردنا مأمور العدالة في السجن وجاء الى  
الدار فوجدنا فيها جميعا وكان يصحبه ستة  
جلاوزة - وهم الجلاذون المشاة - وقاد جماعة الشطار  
كلهم الى السجن حيث اشرفت الفروسية على  
هاوية خطر كبير.

## الفصل الرابع

وبه وصف السجن وما جرى فيه حتى  
خروج العجوز مجلودة والاصحاب الى  
الغار وخروجهي اذا بضمانة

بعد ان فيدوا كلاً منا بزواجين من اليهود  
اودعونا سجنًا مظلماً وحبس رأيت نفسي ساقراً  
الى ذاك المقيم مددت يدي الى المال الذي كنت  
احسه فاخرجت ديناراً ذهبياً وقلت للسجان:  
ابا موسى فتنسب عني حشرتك سرا ولكي يتسقى  
الي اريته الدينار فما راد حتى دفعني الى جانب  
فقلت له ارجو حشرتك ان تشفق علي رجل  
خير، وفشتت عن يديه وبما ان راحته كانتنا  
معتادين على حمل هذا النوع من المور فقد



شدهما حاة على الأربعة وعشرين بليوننا (1)  
قائلا . ساحقق في شان مرضك وان لم يكن  
ذا حظورة انزلتك الى حيث يودع المقيدون .  
فغممت الخبلة واجبته مذكلا فتركني خارجا بينما  
انزل اصحابي الى اسفل

وانني اضرب صفحا عما اتار مشهدنا من  
الضحك في السجن وفي السوارع . اذ جيء بنا  
مقيدين يسوقوننا دفعا وبعضنا تلا معانف والبعض  
الاخر بمعانف تجر على الارض فظهرت اجسام  
مرقعة بدماء واجسام اخرى شابحت مزيج الخمر  
الاسود بالابيض فكنت ترى الواحد منا وقد امسك  
الجواز بلحمه لئلا يكون بده على شيء ثق انه لا يفلت  
منها - حدث كان كل ما عليه غابة في القدم - ومع  
هذا كله لم يكن ليحد ما يمسكه لان الجوع كان  
قد فاك به فمكا ثريعا . وترى الآخرين يتركون  
بين يدي الجلاوزة خرق الاقبية والسرابيل . وحين

---

(1) اسارة الى الاسكودو الذهبي الموازي في

عرفهم 24 بليوننا

رفع الحبل الذي كانوا مربوطين به اذا باسما  
كثيرة قد علقت به. واخيرا حين اقبل الليل  
ذهبت لانام في غرفة الاشراف. واعطوني سريرا  
ويا له من مشهد ان ترى البعض ينامون مغلفين  
دون ان ينزعوا شيئا من ملابسهم النهارية بينما  
البعض الآخر ينزعون دفعة واحدة كل ما عليهم  
من الثياب وآخرون غيرهم يلعبون. وفي آخر  
الامر اغمضوا اجفانهم واطفيء الضوء

ثم نسبنا جميعنا القيود وحبث كان المبرز  
جانب رأسي ما كاد ينتصف الليل حتى اصبح  
الامر بين مجيء مساجين واطلاق مساجين (2)  
فخلت في بادىء الامر حين سمعت الدوى انه رعد  
وشرعت ارسه اشارة الصليب واستعيذ بالقديسة  
بربارة. واكنى حين بلغت انفى الرائحة الكريهة  
ادركت انها لم تكن رعودا من اصل رفيع، وكانت

(2) بكنى بالاسبانية بعبارة اخلاق مساجين،  
عن الضرطة. اي ان المساجين اخذوا يردون أو  
المبرز فسمع ضرطهم

رائحتها من الكراهة بحيث اضطرت الى دفن  
 انفى في الفراش وكان البعض منهم قد جاؤا  
 بالاسهال والآخرين بمخادع (3) واخيرا رأيت نفسى  
 مضطرا ان اقول لهم ان ينفلوا المخدع الى مكان  
 آخر. ولكن ما لبث ان احتدم الجدل بيننا حول  
 ما اذا كان يتجاوز الحد في الاتساع ام لا. فلجأت  
 الى استعمال رتبة مقدم (4) اذ خير لك ان تشغلها  
 في صفقة منه في قشتالة (5) وما كان مني الا ان  
 ابلغت التكة وجه احدهم فحاول ان ينهض عاجلا  
 فقلب المبوالة وارق ما فيها، وعلى الجلبة افاق  
 الكل. وهناك جعلنا نتقارع بالحبك تحت جناح  
 العتمة لكن الرائحة كانت قوية الى درجة انها

- (3) اتى المؤلف بجناس في كلمة *cámara* ومعناها  
 غرفة - وايضا اسهال - واتبعها بكلمة *apuesto*  
 التى معناها غرفة او مخدع  
 (4) اي خير لك ان تكون البادى في الصفح.  
 (5) مقدم في قشتالة *adelantado en Castilla*  
 كانت رتبة رفيعة في ذلك العهد

اجبرت الجميع على النهوض وبهذا ارتفعت الاصوات  
بالصياح فظن قائد السجن ان بعض مسجونيه قد  
فروا فصعد راكضامصحوبا باعوانه وقد شكوا السلاح  
كلهم فوصل وفتح الباب وادخل الضوء واستخبر عن  
الامر، فحكم الجميع عاي وكنت اعتذر قائلا انهم لم  
يتركوني اغمض عيني طول الليل من شدة فتحهم  
اعينهم (6) وظن السجنان اني سأنفحه بدينار لئلا  
يزجني في السرداب فتمسك بالمسألة وامر بزجي  
فيه، فقررت ان ارضى بذلك قبل ان تمتد يدي  
من جديد الى الصرة. فاقتدت الى السرداب حيث  
استقبلني الاصحاب بالزغرودة والفرح.

بت تلك الليلة دون غطاء واف، ثم اصبحت  
الصباح فغادرنا السرداب ورأبنا وجوه بعضنا  
البعض واول ما ابلغنا اياه هو العطش من اجل  
النظافة والا تعرضنا لحيلة مرة المذاق (7) فاعضيت

---

(6) كلمة عين تطلق ايضا على الاست في

الاسبانية وهذا ما قصد به هنا

(7) كانت العادة ان يدفع المسجون الجديد

انا ستة ذراهم. اما رفاقي فلم يكن لديهم ما يعطونه  
 فاجلوا الى الليل (8) وكان في السجن فتى اعور  
 طويل القامة اسبل كتيب الوجه ذا ظهر مرتفع  
 طالما حمل اسواطاً (9) وكان ما يحمله من حديد  
 يزيد على حديد بسكايا (10) وهو عبارة عن زوجين  
 من القيود الغليظة متصلين بسلسلة ضخمة وكانوا  
 يسمونه «الحيان» ويدعي انه مسجون لشؤون

قدرا من المال يسمى حق الدخول، يتنعم به  
 المسجونون «الاقدمون» فمن امتنع عن دفعه دبروا  
 عليه حيلة كأن يضربونه ليلا في العتمة ويصيح  
 الجميع مناوهين في نفس الوقت كأنهم يضربون  
 ايضاً.

١٨ اي لتدبر عليهم الحيلة في الليل

١٩ اتى المؤلف بجناس في كلمة cargado ومعناها

«محمل» وهي المقصودة في قوله «حمل اسواطاً»

اي جلد. وباضافتها الى كلمة espaldas اي ظهر

يتألف منها تعبير معناه «مرتفع الظهر»

(10) مقاطعة من اسبانيا الشمالية

هوائية فظننت انه بسبب بعض الاكيار او المراور  
او المراوح. والذين يسألونه عما اذا كان شيئاً  
من هذا يجيب ان لا بل بسبب خطايا الورا  
ففكرت انه يعنى بها امور سابقة قديمة. ولكني  
في نهاية الامر عرفت انه مسجون لكونه لواطياً  
وحين كان قائد السجن يوبخه لارتكابه شيطنة  
ما كان يسميه «ساقى الجلاد» ومستودع الخطايا العام.  
واحيانا اخرى كان يتهدهه قائلاً: «انك تتعرض انما  
المسكين لعقاب النار (11) فوالله اني لقاتلك في  
طريقي» وكان قد اعترف بالامر هذا وقد حملنا  
فسقه على احاطة اكفالننا جميعا بالسواجير الشائكة  
ككلاب الحراسة. ولم يكن احدنا ليجرأ على الضرب  
لئلا يذكره بموقع اليه. وكانت الصداقة مستحكمة  
بين رجلنا هذا وسجين آخر يسمى روبليدو  
ويعرف ايضا باسم «التريادو»، وكان هذا بدعي  
انه مسجون لسخائه. وحين الحوا عليه في السؤال  
خير انه لسخاً يديه في اصطياد كل ما تقعان

---

(11) لان اللواطيين كانوا يحرقون في ذلك العهد

عليه . وكان قد سيط اكثر من خيل العجلات  
لان كل الجلادين جربوا ايديهم فيه . وعلى وجهه  
من آثار (12) الطعن ما لو كشف لما غلبه اكثر  
اللاعبين نقطا . وكان وحيد الادن افطس المنخار  
مشقوقة بطعنة . وإلى هذين الرجلين يتقرب اربعة  
آخرون - يحسنون الاختلاس كمحترفي السرقة -  
مقيدون ومحكوم عليهم بشقيق رومولو (13) واما  
هم فكانوا يقولون انهم عما قريب سيتمكنون  
من القول بانهم خدموا الملك في البحر والبر . ولا

---

(12) اتى المؤلف بجناس في كلمة punto فاستعملها  
اولا بمعنى 'اثر الطعنة او الجرح' ثم بمعنى 'نقطة'  
عند الاشارة الى اللعب بالورق حيث يربح من  
يجمع لديه اكبر كمية من النقط

(13) شقيق رومولو هو 'ريمو' وهما حسب  
الاسطورة مؤسسا مدينة روما . وكلمة Remo معناها  
في الاسبانية مجداف اي انه حكم عليهم بجذف  
احدى السفن . وكان هذا النوع من العقوبات  
شائعا في ذلك العهد

سبيل لوصف الفرح الكبير الذي كانوا ينتظرون  
فيه حلول ساعة ارسالهم الى تنفيذ العقوبة.

فيؤلاً كلهم - وقد غمهم ان يروا رفاقي  
لايساهمون بشئ - قرروا تدبير حيلة قاسية عليهم  
ليلا بواسطه حبل معد لهذه الغاية. فحين اقبل  
الليل دعينا الى آخر غرفة في الدار ثم اطفأوا  
الضوء. فاخبتأت انا تحت الدكة وبدأ اثنان منهما  
يصفران والاخر يقرع بالحبل. ولما رأى فرساننا  
المساكين صفقتهم خاسرة. شدوا اجسامهم - تلك  
الاجسام الجائعة التي فعلت بها الحكة والقمل  
فعلتها - بحيث اتسع اهم جميعا خصاص الدكة.  
فكانوا كالصئبان في الشعر او كالبق في الفراش  
وكان يسمع دوي الضربات على الخشبة فيسكت  
هولاً. ولما ابصر اولئك المكرة انهم لا يشتكون  
انقطعوا عن ضرب السياط وشرعوا يرمونهم بالاجر  
والحجارة وقطع الردم مما كان مجموعاً لديهم.  
فاصابت واحدة منها ضون طوريبو على قفاه  
واحدثت له فيبا انتفاخا بعلو اصبعين. واخذ بصيح



فأثلا انهم قتلوه لكن المكرة شرعوا يغنون جميعا  
ويحدثون جلبة بالقيود أثلا يسمع عواؤه فحاول  
ان يختبئ ولذا امسك بالآخرين ليزج بنفسه  
نحتهم فوقعت بينهم مشادة كانت تسمع من جرائها  
قرقة عظامهم كاللوحات التي يقرعها المتسولون  
وهنا فاضت روح اقبيتهم ولم تبق عليهم خرقة  
قائمة وقلت الحجارة والردم وما مر سوى وقت  
قصير حتى كان في رأس ضون طوريبو من  
"ضربات اكثر مما في قبا" مفتوح من الشرائط  
الحريرية المذهبة (14). ولما لم يجد سبيلا للنجاة من  
ذلك البرد المنهال عليه ورأى نفسه على وشك  
لموت شهيدا - دون ان يمت الى القداسة ولا الى  
الصالح بصلة - صاح قائلا ان اتركوني اخرج  
وبعد ذلك ادفع ما علي واسلمكم ثيابي رهينة  
فقبلوا منه بهذا الاقتراح وبالرغم عن الآخرين

(14) اتى المؤلف بجناس في كلمة golpe ومعناها  
ضربة وايضا زينة في الثوب مؤلفة من شريطة  
حريرية مذهب

الذين كانوا يدافعون عن انفسهم معه نهض كما  
امكنه الامر. وقد شج رأسه فمال الى جانبي اما  
البقبة فمع اسراعهم بالاتفاق على ان يحذو حذوه  
في الوعد كان قد سقط على رؤوسهم من الاجر  
اكثر مما عليها من الشعر. فعرضوا البستهم مقابل  
درسم الدخول، بعد ان فكروا بانه خير لهم  
ان يلازموا الفراش عراة منه جرحى. فتركوهم  
وشأنهم تلك الليلة. وعند الصباح طلبوا منهم ان  
يتعروا. فتعروا واذا بكر البسنتهم لا تصلح ان يؤخذ  
منها فتيلة، وبقي اصحابنا في الفراش اعني ملتفين  
بدثار خلق كان الجميع يتفلون فوقه. فما عتصموا ان  
شعروا بالغطاء يتحرك فوق اجسامهم. وذلك انه  
كان في الدثار من القمل ما هو جائع ولا جوع  
الكلاب وما يزدرد كالقنطرة بعد صوم ثمانية ايام  
ومنها الضخمة ومنها ما يمكن رميها على اذن  
ثور. فظن اصحابنا ذلك الصباح انهم سيكونون  
فطور القمل فنزعوا عنهم الدثار لاعين حظه  
واخذوا بهشمون ابدانهم باضافتهم حكا. اما لنا

فخرجت من الدهليز قائلا لهم ان يعذروني اذا  
كنت لا اطيع مجالستهم لانه يهمني ان لا اطيلها  
وعاودت يدي السجان بثلاثة نقود من ذوي الثمانية  
دراهم. وحين عرفت من هو كاتب الدعوى بعثت  
في طلبه فتي ممن يخدمون مقابل حلوان فجاء  
وادخلته احدى الغرف واخذت اقول له - بعد  
ان تحدثنا في الدعوى - ان لدى ما لا ما ورجوته  
ان يحفظه لي وديعة وان يساعد ما يمكنه الامر  
شريفا منحوس الطاع اقتيد مخدوعا لارتكاب هذه  
الجريمة فقال وقد انطلت عليه الحيلة «صدقني ان  
نقطة الدائرة هي بين ايدينا. فاذا اراد احدنا ان  
لا يكون رجل صلاح يمكنه ان يسبب شرا كبيرا  
وان عدد الذين دفعت بهم الى القوارب (15) مجانا  
لشهوة في النفس فقط لاكثر مما في الدعوى من  
الحروف فثق بي وصدقني بانني ساخرجك صحيحا  
سالما

---

(15) 'ي الذين حكم عليهم بجذف القوارب -  
وكان هذا من جملة الاشغال لشاقة التي يحكم بها

وذهب بعد هذا الحديث ولم يلبث ان عاد  
 وسألني من الباب شيئاً للخير ديفغو غرسيا مأمور  
 العدلية الذي لا بد من كم فمه بكمام من الفضة  
 وذكر لي شيئاً آخر عن قارىء الدعوى ليساعد على  
 حذف فقرة بكاملها وقال: اعلم يا صاح ان قارىء  
 الدعوى يكفيه ان يرفع حواجه ويغلظ صوته  
 ويرفس الارض برجله ليستلفت نظر القاضي الساهي  
 - وغالبا ما يكونون هكذا - ليقتضى على واحد من  
 الناس، ففهمت مراده واضفت خمسين بليوناً اخرى  
 ومقابل هذا قال لي ان اقوم طوق المعطف واعلمني  
 بدوائن لمعالجة الزكام الذي اصابني من برد  
 السجن وفي الاخير قال لي: «روح عن نفسك فان  
 ثمانية بلايين تضعها في يد قائد السجن كفيلة  
 بان يخفف من همك. لان هؤلاء قوم لا ياتون  
 بعمل صالح دون فائدة يجنونها منه، فاعجبتنني  
 الملاحظة هنا وفي نهاية الامر ذهب في حال سبيله  
 واعطيت السجن دينارا فنزع القيود من يدي  
 وسمح لي بان ادخل داره.

وكان له زوج كأنها الحوت وبنتان كأنهما من  
 دنات ابليس لما اتصفا به من قبح وحمق فضلا عن  
 الفجور بالرغم عن قبح خلقتهما. فحصل يوما ان جاء  
 السجان - واسمه فلان بن بلاندونس - الى سان بابلو  
 واسم زوجته ضونيا آنا مورايث - ليأكل وهو  
 ينفخ غضبا وكنت انا هنالك فلم يرد ان يأكل  
 فاقربت المرأة منه وهي تتوقع هما كبيرا وارهقته  
 فاسلتها الملحة كالعادة حتى فار جأشه وقال: «وما  
 عسى ان يكون؟ فان ذلك اللص الخبيث «المندروس»  
 المكلف بالمنزل قد قال لي - اثنا مناقشة وقعت  
 بيننا على الكراء - انك غير نظيفة» فقالت: «اكل  
 هذه الاذئاب ازاليا عني هذا الخبيث؟ فوحياة جدي  
 انك لست برجل والا لحقت له لحيته. اترى اناذي  
 خدمه لينظفوني؟ ثم التفتت صوبي وقالت: الحمد  
 لله فانه لا يقدر ان يدعوني يهودية مثله فان  
 نصفه محتال والنصف الآخر يهودي وماله على  
 هذه النسبة ايضا. ووالله يا ضون بابلوس لو  
 سمعته لتأكدت ان على ظهره صليب سان

اندريس (16). واذاك قال انسجان وهو ينقطع  
 حزنا: «آه يا امرأة! لقد سككت حين قال انك  
 تحملين على ظهرك كبتين او ثلاثا (17) وان ما  
 ذكره من الوساخة لم يعن به القذارة بل الامتناع  
 عن اكل الخنزير، قالت: «فقد قال اذا اني يهودية  
 وبهذه الالانة تردده على مسامعي؟ اهكذا تحافظ على  
 شرف ضوفا آنا مورايث بنت اسطفانيا روبيسو  
 وخوان دي مدريد اللذين يعرفهما الله والناس  
 اجمعون؟» فقاطعتها قائلا: ما تقولين؟ بنت خوان  
 دي مدريد؟ قالت: نعم! خوان دي مدريد الذي  
 هو من اونيون. ووالله ان الماكر الذي قال انه  
 يهودي لتاجر ذو قرون، فالتفت اليهما وقلت: «ان  
 سيدى خوان دى مدريد - اسكنه الله الجنة - ابن  
 عمه والذى واني لات بحجب نبت من هو وكيف

16) صليب من القماش الاحمر كان نخط  
 على اللباس الاصفر الذى يلبسه من فرضت عليه  
 المحكمة الدينية عقوبات علنية

17) اي ان على ظهرها صنيبا احمر كسرا

كان. اجل ان هذا يبقى على عاتقي وان خرجت من  
 السجن لاجبرن هذا الحبث على الرجوع عن قوله  
 مائة مرة. وان عندي في القرية صكا بحروف من  
 الذهب يثبت انتماء الاثنين الى طبقة الاشراف،  
 ففرحوا جميعا بالقرب الجديد واسترجعوا قواهم  
 حين سمعوا ما قلته عن الصك مع اني لم يكن  
 عندي شيء من ذلك ولم اكن اعرف من هم  
 هؤلاء الناس، وبدأ السجنان يستفسرنى عن دقائق  
 هذه القرابة. ولئلا يشعر بكذبي تظاهرت بالغضب  
 الشديد واخذت اقسم واهدد. فهدأوا روعي قائلين  
 ان لا يبحث في الموضوع والا يواصل التفكير فيه  
 ولكنى كنت بين حين وآخر اقطع الحديث فجأة  
 مرددا: «خوان دى مدريد! ان الحجة التى بين  
 يدي على عرق نسبه لتهازأ من هذه الدعوى!» ومرة  
 اخرى اردد قائلا: «خوان دى مدريد الاكبر! انه  
 والد خوان دى مدريد وكان متزوجا بخوانا دي  
 اثبيدوا السمينه» ثم اسكت قليلا  
 وبالنتيجة صار السجنان بسبب هذه الامور

كلها يفتح لي داره للاكل والنوم. والكاتب الخير بدوره - نزولا عند طلب السجن والرشوة التي تلقاها - احسن القيام بالامر فاخرجوا العجوز واركبوها جوادا اكهب وكان يتقدمها مناد ينادي فتعاقب هذه المرأة لارتكابها السرقة، وكانت مقارع الجلاء تنصب على اضلاعها على نغم صوت المنادي عملا بما اوصاه به ذوو الالبسة الطويلة (18) وكان يتلوها بقية رفاقي على صهوات جياد من النسي تستعمل لنقل المياه مكشوفي الرؤوس والوجوه. فقد اخرجوا على هذا الشكل ليلحقهم العار على مرأى من الجميع مع ان كلا منهم كان من اخلاق ما عليه يحمل عاره بارزا. وحكموا عليهم بالنفي ست سنوات. وخرجت انا بكفانة بمساعدة الكاتب كما ان قارى الدعوى لم يغفل عن مساعدتي فبدل لهجته وتكلم بهدوء واهمل اسبابا وانتلع مقاطع برمتها.

---

(18) يعني بذلك أعضاء المحكمة



## الفصل الثانى

في عشوى على مشوى والمصيبة التي دهمتني فيه

---

خرجت من السجن فوجدت نفسي وحيدا  
بلا اصدقاء، ومع اعلامهم اياى بانهم سائرون الى  
اشبيلية وفي طريقهم اليها يعيشون من الصدقات  
فقد رفضت الالتحاق بهم وعزمت على الذهاب الى  
مشوى حيث وجدت فتاة شقراء، بيضاء، نظارة مرحة،  
فضولية احيانا، وميالة الى الهوى 'حيانا اخرى' في  
كلامها لينة، تخاف الفيران وتفتخر بيديها فلا  
تبرح تقطع الشموع لنريهما، وكانت تقطع الاكل  
فوق الخواز وفي الكنيسة ترى مضمومة اليدين  
دائما، وفي الطريق لا تنفك تدل على ان هذا الدار  
لقلان وتلك لغيره، وفي قاعة الاستقبال لا تبرح  
مشغولة بشتك خلالة في زينة رأسها، وان لعبت لعبة

ما كانت دائما لعبة البشير يغانياء (1) لانها لعبة تروى  
فيها الايدي وتظاهر عمدا بالتشاؤب دون حاجة  
اليه لتري اسنانها وترسم اشارة الصليب على فمها  
وبالاختصار لم يفلت شئ في الدار من لمس يديها  
بحيث صارت تغضب ابويها نفسها بتصرفها هذا  
فآووني على خير ما يرام في دارهم لانهم كانوا  
يريدون اكرامها باثاث حسن لثلاثة ضيوف فصرت  
انا احدهم والاثنان الاخران واحد منهما برتقالي  
والاخر قطلونسي. ولذا احسنوا استقبالني. اما انا  
فقد اعجبتنى الفتاة للمتعة فضلا عما في الإقامة في  
دار من الرفاهية والهناء فصمت على استمالتها  
الى وصرت احكي لها حكايات اعدتها للتسلية  
وآتيها باخبار وان لم يكن لها اساس من الصحة  
واخدمها في كل امر يمكن الاتيان به مجانا وقلت  
لها ولامها انني رقاء اعرف رقى كثيرة وبوسعني

---

(1) لعبة صبيانية تقوم على ان يقرص الاولاد  
ايدي بعضهم البعض ثم ينشدون بعض الاغانى  
التي يجب فيها رفع الايدي

ان اجعلها يريان الدار كأنها تنهار وتحترق  
بغير عناية صدقاتها كدحا على سذاجتهما  
وعند كتبت صداقتهما وشكرهما لكني لم  
اتمكن من استمالة قلب الفتاة لان ملبسي لم يكن  
كما تقتضيه الحالة - رغما عن اني كنت قد  
تحسنت ملبسا بواسطة قائد السجن الذي كنت  
ازوره دائما فاصل الرحم بيننا بما آكله من خبزه  
ولحمه - ولهذا لم تعيراني ما استحقه من الاهتمام

فخطر لي ان ارسل بعض اصحابي الى المئوى  
يسألون عنى حين لا اكون هنالك لملهما على  
الاعتقاد بانى غنى متخف قدخل احدهم اولا وسأل  
عن السيد ضون راميرو دى قزمان - وهو الاسم  
الذي اتخذته لان الاصحاب افهموني انه لا بد اس  
بتبديل احدنا اسمه بل انه لامر مفيد - واخيرا  
سأل عن ضون راميرو معرفا به بانه ذو تجارة  
واسعة وثروة وافرة وقد تعاقد منذ قليل مع الملك  
على مشروعين تجاريين خطيرين. فانكرت ربة المئوى  
وبنتها معرفتهما بى على هذا الشكل وقالتا ان

لجسم قبيح الوجه فقير الحال. فرد عليهم بقوله:  
 اجل هذا هو الذي أسأل عنه ووالله لما كنت  
 لا تمنى اكثر مما يملكه فان مدخوله ليتجاوز  
 الالفى دكة، ثم قص عليهما اكاذيب اخرى فزاد  
 اعجابهما واخيرا ترك لهما حوالة مزورة ادعى انه  
 جاء ليقبضها مني وقيمتها تسعة الاف اسكودو،  
 وقال لهما ان يسلماني اياها لاقبلها وذهب في حال  
 سبيله. فصدقت كل من الام وابنتها قصة ثروتي  
 وحاولتا اصطيادى زوجا للفتاة ثم عدت الى البيت  
 متجاهلا كل شئ وحين دخلت سلمتاني الحوالة  
 قائلتين: ان المال والحب من الصعب ان يخفيا  
 يا حضرة ضون راميرو! وكيف نكتم علينا نفسك  
 مع ما انت مدين لنا به من العطف والاكرام؟  
 فتظاهرت بالاستياء من ابقاء الحوالة بين ايديهما  
 وسرت توالى غرفني ولو تدري كيف اصبحنا  
 بعد اعتقادهما بانى غنى تغدقان علي كل مدبح

مثنيتين على كل ما عمله. فتبالغان في تقرّظ كلامي  
وتجهران بأنه لم يكن احد ليعادلني ظرافة. وحين  
ابصرتهما في شباكي صارحت الفتاة بحبي لها فانصتت  
بفرح كبير وزددت على مسامعي الف مديح. ثم  
افترقنا وذات ليلة وقد اردت ان ازيدها اعتقادا  
بغناي دخلت غرفتي واقفلت بابها وكانت مفصولة  
عن غرفتها بحائط دقيق. فأخرجت خمسين «اسكودا»  
وشرعت اعدّها مرارا وتكرارا الى ان سمعتا رنين  
سنة الاف. وقد كانت رؤيتهما اياي مالكا لهذا  
القدر من المال غاية مبتغاي لانهما منذ تلك اللحظة  
اصبحتا لا تنيان في احاطتي بكل اسباب الراحة  
والرفاهية والرضى

وكان اثيرتغالي الساكن في المثوى يسمى  
السنيور فاسكو دي منيسيس، فارس الكراسية اي  
المسيح (2) وكان قصير العنق كبير الشاربين يرتدي

---

(2) كان يطلق اسم «المسيح» Christos على  
الصليب المصور قبل حروف الهجاء في الكراريس

معطفا اسود وينتعل مواقا، ويتلهب حبا ووجدا  
لضونيا برينغيلا دي ريبو بادو - وهو اسم الفتاة -  
ويحاول ان يمتلك قلبها بالحديث والتعهد متفوقا  
في هذا المضمار على متعبدة تنصت الى عظة في زمن  
الصوم. وكان يسي الغناء ولا ينفك في جدال مع  
القطلوني الذي كان اشد المخلوقات حزنا واكثرها  
بؤسا. فيعاود الاكل كل ثلاثة ايام كالحي المنقطعة  
وياكل الخبز يابس الى حد ان انياب الساعة  
لتكاد تمجز عن الفتك به. ويفتخر بالشجاعة مع  
انه لا ينقصه سوى ان يبيض ليكون دجاجة (3) اذ  
كان يقيق كثيرا. فاخذ البرتغالي يقول اني معدم  
محتال لا املك شيئا. بينما القطلوني يصفني بالجبانة  
والخساسة. وكنت انا اعرف هذا كله بل اسمعه  
احيانا لكني لا اجد من نفسي الجرأة الكافية للرد  
عليهما. واخيرا صارت الفتاة تحادثني وتتلقي

---

ومنها جاء قولهم: ما زال في المسيح، اي في بائس  
علم او فن ما.

(3) الاسبان يضربون بالدجاجة مثلا في الجبانة.

رسائلي وغالبا ما كنت ابدأها على هذا النمط:  
ان جرأتى هذه: او ان جمالك الفتان، واتكلم  
عن تحسري وتلهبي وجدا بها واعبر لها عن الم  
وحزن واعرض نفسى عبدا لها واختتم بقولي  
ان في قلبي من حبها لطعنة نجلاء. واخيرا بلغ  
بنا الحال الى التخاطب بالافراد (4) وتمكيننا لمعتقدنا  
بمكائنتى خرجت يوما من الدار واكثرت بغلة  
وجئت المثنوى مقنعا وقد غبرت صورني وسألت  
عن ذاتي مستفسرا عما اذا كان يقيم هنالك حضرة  
السيد خنوز راميرو دي قزمان مولى بلشراو  
وببوريتي (5) فاجابت الفتاة قائلة: «هنا يقيم رجل  
قصير القامة يحمل هذا الاسم فقلت بعد ان اخبرت  
بعلامانه انه هو ورجوتها ان تقول له ان قهرمانه

---

(4) ان النخاطب بالافراد يعتبر في معظم  
اللغات الأوروبية دليلا على صداقة متينة. والا  
فالتخاطب يكون بالجمع عادة

(5) اسماً امكنة

ديغو دي سوارثانا قد عاد من ادارة التامين (6) وهو ذاهب الان لجمع الغلة وقد عرج عليه ليقبل يديه. ثم انصرفت وبعد حين عدت الى الدار. فاستقبلتاني بغبطة كبيرة سائلتين ابائي عن سبب اخفائي عنهما اني مولى بلشراو وبيوريتي وابلغتاني الوصية. وهنا ازدادت الفتاة تمسكا بي اطعمها في زوج من الغنى بهذا المقدار وطلبت مني ان اقابلها واتحدث اليها على الساعة الواحدة لبلا في ممر يطل على سطح من الاجر تنفتح عليه نافذة غرفتها فشاء الشيطان الذي يضع اصبعه في كل شيء ان اصعد الى الممر، وقد حل الليل، رغبة مني في التمتع بتلك الفرصة فزلقت قدمي وسقطت على سطح دار جار لنا وظيفته كاتب محكمة وقد كان لسقوطي وقع شديد فتكسر معظم الاجر وانطبعت اثارها في اضلاعي. فاسفاق اهل الدار على الجلبة وصعدوا الى السطح خائفين انهم لصوص - وهو ظن لا ينفك ساور اصحاب هذه المهنة -

---

(6) ادارة كانت تودع فيها اموال القاصرين.



فلما ابصرت ذلك اردت ان اختبئ وراء المدخنة  
فزاد ذلك ريبتهم في امري فانها علي الكاتب واخ  
اه وخادمان ضربا بهراوة حتى سحقوني سحقاً ثم  
ربطوني على مرأى من مولاتي دون ان تجدني  
كل محاولاتي نفعا. لكنها اخذت تضحك وتمعن  
في الضحك لاني كنت قلت لها فيما مضى اني  
احسن السحر والشعوذة فظنت ان سقوطي كان  
سحرا ايضا. فلذا كانت لا تفتأ تقول لي اصعد فقد  
كفاك الامر هزلاً. فمن جراً هذا والعصى  
والكلمات التي تلقيتها اخذت اعوى. فاشتد ضحكها  
لاعتقادها ان كل ذلك تلفيق

ثم شرع الكاتب بفتح الدعوى واذ سمع  
قرقرة مفاتيح كانت في جيبه قال وكتب انها عقف  
مع انه رآها كما هي دون ان تمنعه رؤيته اياها  
من ان يقيد انها عقف. فقلت له اني ضوئ  
راميرو دي قزمان. فضحك ضحكا شديدا. اما انا وقد  
استولى على الحزن لما قاسيته من ضرب على مرأى  
من مولاتي ولاني رأيت نفسي مساقا الى السجن

دون سبب واسمي ملطخا باتهام مشين فلم اكن  
لاعرف اي السبل اسلك فجئوت امام الكاتب على  
ركبتى ورجوته اوجه الله لكن لا رجائي ولا غيره  
كان كافيا لحمله على اطلاق سبيلي

كل هذا جرى على السطح لان هؤلاء القوم  
لا يحجمون عن شهادة الزور حتى على السما  
نفسها. ثم امروا بانزالى الى اسفل فانزلوني من  
نافذة تطل على غرفة كانت تستعمل كمطبخ

## الفصل الرابع

وفيه يتوالى الكلام على الامر نفسه  
وعلى عدة حوادث اخرى

---

لم اطبق جفني طيلة الليل وانا افكر في  
مصيبتى التى لم تكن في الوقوع على السطح بل  
بين يدي الكاتب الوحشيتين القاسيتين. وحين  
تذكرت امر العقف التى وجدوها في جيبى والاوراق  
التى حررها في الدعوى تبين لي انه لاشئ يضاهاى  
سرعة في النمو كالذنب بين يدي الكاتب فقضيت  
الليل احوك حبلا. فاحيانا اعزم على استعطافه  
مستشفعا بيسوع المسيح ولكني حين افكر في ما  
قاساه من امر المكتبة حيا تعوزنى الجرأة على ذلك.  
وقد اردت الف مرة ان افك رباطي وكان  
يشعر بي فياتي صوبى كاشفا عن العقد التى  
تشده. اذ كان اهتمامه باختلاق كذبة علي اكثر

من اهتمامي بما ينفعني. ونهض باكراً عند الفجر  
وارتدى ثيابه في تلك الساعة ولم يستفق في  
داره سواه والشهود. فتناول المقرعة وراجع بها  
اضلاعي مراجعة وافية ووبخني على رذيلة السرقة  
توبيخ عارف بهذا الفن. وبينما كنا على هذا  
الحال اي هو ينيلني مقارع وانا اكاد اكون عازماً  
على اعطائه دنائير - لانها الدم الذي ينحت به  
هذا النوع من الماس - اذا بجاري البرتغالي  
والقطلوني يدخلان علينا نزولاً عند الحاج محبوبتي  
التي شاهدتني اقع واضرب بعد ان اقتصت بان  
ما حل بي ليس سحراً بل مصاباً فلما رأهما  
الكاتب يحدثانني اراد ان يوقع بهما كشريكين في  
الدعوى. لكن البرتغالي لم يطق الامر فوجه اليه  
كلاماً قاسياً قائلاً انه رجل من الاشراف من  
حاشية الملك واني انا ايضاً رجل عريق في النسب  
وان من السخافة تقييدى وشرع يفك قيدي فصاح  
الكاتب قائلاً: مقاومة! وفي الحين وطأ خادمان  
له - بيز جلاوزة وحمالين - معطفيهما وحلا

تلايبيها كما اعتادا ان يفعلا ليدلا على الكلمات  
التي لم تقع ويطلبها من الملك الحق واجرا العدالة  
واخيرا فكا رباطي. واذا ابصر الكاتب انه ليس  
هنالك من احد ليساعده قال: «وحق فلان» ان  
هذا لا يمكن ان يقع معي ولو لم تكونوا من  
انتم لكلفكم الامر غاليا. فامروا بارضا هؤلاء الشهود  
وفكروا بانى اخذكم دون غاية. وبعد ذلك  
ابصرت خطه فاخرجت ثمانية دراهم ونقدته اياها.  
وقد حدثتني نفسي اذاك بان ارجع له ايضا العصي.  
التي اعطاني اياها. ولكني ضربت صفحا عنها  
لئلا اعترف بانى تلقيتها وتركته وذهبت بمعيتيها.  
بعد ان شكرتهما على اطلاق سبيلي وفدائي محمر  
الوجنتين من شدة اللطم وحزين الظهر من اثر  
العصى. وكان القائلونى يكثر المزح على حسابي  
ويقول للفتاة ان تتزوج بي ليعكس المثل القائل  
«ديوث فمعصو فيصير معصو فديوث» (1) ويدعي

---

(1) في الاسبانية مثل يقول «ديوث فمعصو  
(اي مضروب العصا) ومع هذا يامرونه ان يرقص»

ان العصي التي نلتها قد ائت علي وهزنتي هذا.  
ومجمل القول انه زجنى في مازق حرج مخجل  
بتلميحاته هذه. وصرت اذا دخلت عليهم شرع يلوح  
بالاعواد او الاخشاب كأنه يعصو شخصا آخر وما  
رأيت نفسى مضحكة ورأيت انهم بدأوا يشعرون  
باحتيالي شرعت احاول مغادرة الدار. ولئلا ادفع  
ثمن الاكل والاقامة الذي كان يبلغ قدرا وافرا  
اتفقت مع طالب من هورنبوس، (2) يسمى  
براندالاغاس. وصديقيز له اخريز على ان ياتوا  
المثوى ليلا ويعتقلوني. فوصلوا في الليلة المتفق  
عليها وابلغوا ربة المثوى انهم قادمون من لندن

---

وهو يضرب تمثيلا بمن بصاب بمصيبة نلو اخرى  
ويطلب منه الا يحزن. وقد اتى المؤلف هنا بجناس  
فاستعمل الكلمتين معصو وديوث بمعناهما الحقيقي  
اشارة الى العصي التي تلقاها بطل القصة وم  
ينتظره اذا تزوج من خداع زوجه له بما ذكر. عن  
سيرتها سابقا. فلذا قدم قوله معصو. على ديوث  
(2) بلدة من مقاطعة بلد الوليد

محكمة التفتيش وانه من الاولى ان يبقى الامر  
محاطا بالكتمان. فارتعدنا خوفا لانى كنت انبأتهما  
فيما مضى بانى عالم بفن السحر. ولذا حين  
اخرجت لم تنبسا بينت شفة ولكن حين اخرج  
متاعى اعترضتا طالبتين ان يحجر مقابل ما في  
ذمتي من دين فاجابوهما ان ذلك المتاع مذك  
محكمة التفتيش فلم يحرك احد ساكنا. وتركناهم  
يخرجون بالمتاع وبقيتا هنالك ترددان انهما طالما  
خشيتا وقوع ما وقع ثم اخبرتا القطلوني والبرتغالي  
بامر من جاءوا في طلبى وانهم من الجن وان  
لي اقارب بينهم وحين اخبرتاها بشأن المال الذي  
عدده قال انه كان يظهر مالا لكنه ليس بمال  
في وافع الامر واقتنعنا بذلك وهكذا نجوت بالبستي  
ولم ادفع ثمن طعامى.

واتفقت مع من ساعدانى على استبدال زبي  
بالبسة توافق الزبي الرائج فلبست سروالا قصيرا  
وقبعة واسعة واستعصت عن خادم بخادمين صغيرين  
اذ كان هذا ايضا من الرائج اذاك وقد شجعونى

على ذلك وحسنوه في وجهي يا نبي الله في  
ظهور بمظهر غنى من نفع نفروج ربنا ربنا  
مؤكددين على ان ذلك ليس من النادر في العاصمة  
واضافوا بقولهم انهم يرشدوني الى عرس موافق  
واشاروا علي بان اتهايا لما قد يجد. فما كان مني  
مع ما انا عليه من التحيل والطمع في اصطياد  
زوجة الا ان عزمت على الامر. فزرت من حوانبت  
الدلالة ما لا يحصى واشتريت جهاز العرس.  
واستفسرت عن موضع اكراء الخيل فاعنيت اليوم  
الاول جوادا لكنني لم اجد خادما فخرجت الى  
الشارع الاكبر ووقفت ازا حافوت تباع فيه عدد  
الخيل كمن يقاول في شراء واحدة

وما هي الا فترة حتى وصل اثنان من امر  
البيونات كل على فرسه فسألاني عما اذا كنت  
اقول على شراء فرس ابض كانت تدي فوقه  
فازحت يدي واتقينهما معي نائف مجاملة وخيرا  
قالا اتها داهبان الى البرادو المنزه فقلت لهما  
اني ارافقهما ان لم يغضبهما ذلك واوصيت الماجر



انه متى جاء خادماي فليوجههما الى البرادو واعطيته  
 علامة الرداء الذي يلبسونه ووقفت بين الفارسين  
 وباشرنا السير. وبينما نحن سائرون شرعت افكر  
 في انه ليس بوسع من يرانا ان يحكم لمن هم  
 الخدم او من منا يسير بدونهم فجعلت اتكلم  
 بصوت عال عن سباق طلييرة وعن فرس لي ابيض  
 اللون تمازجه الزرقة. وبالغت في وصف جواد آخر  
 قلت انهم سيأتونني به من قرطبة. وكلما التقينا  
 بخادم يقود فرسا اوقفته وسألته لمن الفرس  
 واستفسرته عن علاماته وعما اذا كان صاحبه  
 يرضى ببيعه. ثم اطلب منه ان يدور به دورتين  
 في الشارع واخيرا اقول له ان به عيبا في اللجام  
 وان لم يكن لذلك اصل واشير عليه بما يجب  
 صنعه لاصلاح ذلك العيب وشاء حسن طالعي ان  
 اجد فرصاً عديدة لتكرار حيلتي واذا ابصرت رفيقي  
 يسيران منذهلين ولاح لي انهما يقولان «من عساه  
 ان يكون هذا النبيل المعدم الجخاف؟» - لان  
 احدهما كان يرتدي بدلة الاشراف فوق صدره

والآخر يحمل سلسلة من الماس بحيث جاءت كبدة  
وشارة معا - قلت انى اقتش عن خيل طيبة لي  
ولابن عم لى لاننا مقبلون على بعض الاعياد ولما بلغنا  
البرادوء اخرجت قدمي من الركاب وجعلت عرقوبى  
خارجا واخذت ادور منترها على هذه الحالة. وكان  
معطى ملقى على كتفى وقبعتى في يدي والكل  
ينظرون الى فمن قائل: الا انى ابصرت هذا  
ماشيا ومن مردد متهكما: ما احلى الشاطر في  
سيره هذا! اما انا فكنت اواصل النزهة متغاضيا  
كأنى لم اسمع شيئا.

وبلغ رفيقاي عربة ثقل سيدات فطلبا منى  
ان امازجهن فترة ما. فتركت لهما جانب الفنايتين  
وانصرفت الى الام والحالة. وكاذت العجوزان من  
يحبين المرح. احداهن تقارب الخمسين سنة والاخرى  
ثقل عنها بعض الشئ. فاسمعتهما من حو  
الكلام ورطبه الشئ الكثير وانصتنا الي بفرح  
لانه ليس في الدنيا امرأة مهما شاخت اكثر سنا  
منها ادعا ووعدتهم بهدايا وسالتهما عن حالة

السيدتين اللتين ترافقانهما فقالتا انهما مازالتا فتانين وكان ذلك يبدو في حديثهما فاجبت بالمألوف اى متمنيا لهما ان ترياها تسعدان بسزواج حسب استحقاقهما. فاعجبتهما تمنياتى وسالتانى عما اقوم به في العاصمة فقلت انى قدمتها هاربا من ابى وامى لانهما يريدان تزويجى بالرغم عن ارداتى بفتاة قبيحة المنظر، بليدة ومن اصل حقير لعظم مهرها واضفت قائلا: «وانا يا سيدتى افضل امرأة نظيفة معدمة على يهودية مثرية. فان ملكى والله الحمد دخله اربعون الف دكة سنوية. واذا نجحت في دعوى لي قد اصبحت على وشك النهاية فانى لن احتاج فيما بعد شيئا البتة» فقاطعتنى الخالة بقولها: اجل ايها السيد! وكم انت مصيب! لا! لاتتزوج الا على خاطرك ولا يكن زواجك الا بامرأة عريقة في النسب. وانى اوكد انى مع قلة ثروتى لم ارض بزواج ابنة اختى مع كثرة من طلب يدها من المثرين لانهم لم يكونوا من محتد كريم. الا انها والحق يقال فقيرة اذ ليس لها من مهر سوى ستة

الاف دكة، لكنها لا يجاريها احد في النسب،  
قلت في رأيي انك احسنت صنعا.

وبينما نحن في هذا انتهى الحديث بالفتاتين  
الى طلب شئ للعدوقة من صاحبي فادا بهما  
عد هذا الطلب يصح فيهما قول الشاعر:  
«وكان كل واحد يصوب نظراته الى الآخر  
بينما الجميع ترتجف لحاهم» (3)

ولما ابصرت الفرعة سانحة قلت اني استطلت

---

(3) هذا البيتان مأخوذان من نشيد «موت  
ضون الونصو اغيلار» حيث يقرأ ان الملك فرناندو  
بينما كان يغزو غرناطة جمع كبار فرسانه وسألهم  
قائلا: «من منكم ابها الاصحاب يتوجه غدا الى  
جبل الشارات» فيضع رايتي فوق البشارة.

فأخذوا يصوبون نظراتهم بعضهم لبعض دون  
ان تخرج كلمة «نعم» من فيه واحد منهم لان  
الذهاب خطر والابوة غير اكيدة ففي وسط هذا  
الخوف المستحوذ عليهم كان الجميع ترتجف لحاهم.  
لولا ضون الونصو المسمى اغيلار

خدمى فليس لدى من ارسله الى الدار ليأتينى  
ببعض الصناديق الصغيرة فشكرتنى على ذلك  
ورجوتهن ان يذهبن في الغد الى مكاسا دل كامبو .  
حيث ارسل لهن لحوماً باردة فقبلت دعوتى  
ودللتنى على دارهن وسألتنى عن دارى ثم ابتعدت  
عربتهن وسلكت انا ورفيقاتى طريق الاوبة الى  
الدار . ولما ابصرا سخائى في دعوتى السيدات  
لعدوة العصر ارادا ان يقلداني فضلا يجبرني على  
مقابلته بالمثل فدعواني الى العشاء معيا تلك الليلة  
فامتنعت في بادىء الامر لاحملهما على الاحراج في  
الدعوة وان كان امتناعى لم يطل، ثم تعشيت  
معهما وبعثت في طلب خدمى مقسما انى ساطردهم  
من دارى . ودقت الساعة العاشرة فقلت لهما انى  
على موعد غرامى في تلك الساعة ورجوتهما ان  
يعذرانى وذهبت بعد ان اتفقتنا على ان نلتقى  
عشية اليوم التالى في كاسا دل كامبو .

وحين ودعتهما ذهبت الى صاحب الحصان  
فارجعته له ومن ثم توجهت الى الدار فوجدت

الرفاق يلعبون بالورق لعبة الكينولياس، فاخبرتهم  
بما وقع وبالاتفاق الذي حصل وقررنا ان نرسل  
دون تاخير عدوقة العصر وان ننفق فيها مئتي  
درهم. وبقدنا بعد ان اتفقنا على هذا العزم. واعترف  
اني لم اطبق جفنى تلك الليلة وانا افكر فيسا  
عساي ان افعله بالمير. وما كان موضع تردد في  
نفسى هو ما اذا كان من الافضل انفاقه في بناء  
دار او تسليفه بالفائدة اذ لم اكن ادري اي  
الوجهين احسن وانفع لى.

## الفصل السابع

وفيه يتلو الكلام على القصة نفسها وعلى غير ذلك من الحوادث والنكبات الخطيرة

---

اصبح الصباح فافقنا ونهضنا على عجل نفكر في اية طريقة نعد الخدم والانية والعصرونية. ولكن بما ان الدينار هو السيد المطاع الذي لا يحجم عن احترامه احد فقد حصلت على مبتغاي بواسطة صانع حلوى مقابل كمية انقذته اياها فمدني بالانية وتولى تقديم العصرونية بنفسه يعاونه ثلاثة خدم ومضى الصباح في اعداد العدة وعند العصر كنت قد استأجرت مهرا. ولما حانت الساعة المضروبة سلكت طريق 'كاسا دل كامبو' وقد حشوت نكتي اوراقا كمذكرات وفككت ستة ازرار من المعطف فاطلت من تحته بعض الاوراق.

ولما وصلت كانت السيدات والنبيلان قد

سبقوني الى حيث تواعدنا على اللقاء.  
فاستقبلتني هن بكل حنان بينما اخذ النيبيلان  
يخاطباني بلسان المخاطب (1) توددا وتقربا. فقلت  
لهم ان اسمي ضون فيليبى تريستان ، وطيلة  
النهار لم يسمع سوى اسم ضون فيليبى تتداوله  
شفاه الجميع

فشرعت اقول لهن انى انهمكت باشغال  
لصاحب الجلالة واخرى ذنلق بملكي الى حد اني  
كنت اخشى الا اتمكن من الوفاء بوعدى محاولا  
بذلك ان اهيأهن للعصرونية فجأة. وبينما انا في  
الحديث هذا اذا بصانع الحلوى قد اقبل بالعدة  
والانية والخدم فصارت نظرات السيدات والنبيلين  
مصوبة الي بينما لزمت ألسنتهم السكوت فامرته  
بان يذهب الى العريش وان يجهز العصرونية

---

(1) كان المخاطب بلسان المخاطب Vos دلالة  
على رفع الكلفة بين المتخاطبين. والا كان بلسان  
الغائب مع تقديم كلمة ، حضرتك ، فتقول احضرتك  
جاء او جاءت



هنالك ريثما نذهب الى الغدران. ولكن العجوزين  
 ما عتَمنا ان بلغتناى لتتحفاني ببعض الهدايا وقد  
 ازددت انشراحا حين ابصرت الفتاتين مكشوفتى  
 الوجه لانى لم ار بين خلق الله اجمل وجها من  
 تلك التى فكرت بها لتكون زوجتى؛ بيضا، شقراء،  
 محمرة الوجنتين، صغيرة الفم، كبيرة العينين  
 خضراءهما، ممشوقة القد، جميلة اليدين، في لسانها  
 حاصات. ولم تكن الاخرى بقبيحة الشكل وانما  
 وجدتها اقل حشمة وخام، في الشك في انها كثيرة  
 النقبل وسرنا الى الغدير وابصرنا كل شىء وعلمت  
 خلال الحديث ان زوجتى العتيدة لو عاشت في  
 عهد هيرودس لكانت عرضة للهلاك كواحدة من  
 جملة الابرياء (2) اجل انها لم تكن عالمة ولكن  
 بما انى لا اريد المرأة مرشدة ولا مهرجة بل

---

(2) تطلق كلمة برىّ *inocente* من باب المجاز  
 على قليل الفطنة. و«الابرياء» يعنى بهم الاطفال  
 الذين قتلهم هيرودس حين علم بولادة يسوع  
 المسيح

اتقاسمني الفراش ، وان كانت قبيحة ورصينة  
فكانني اتقاسمه مع ارسطاطاليس او سينيكا او  
كتاب ما ، فاني اسعى ان تكون ذات حسن  
وجمال

ثم وصلنا الى جانب العريش وبينما انا امر  
بشجنة اذا بزينة طوقي تتعلق بشجرة فتخرق قليلا  
واذاك اقبلت الفتاة وامسكته بخلاصة من الفضة  
وقالت لي امها ان ارسل الطوق في الغد الى  
دارها لتصلحه ضونيا آنا - وهو اسم الفتاة -  
وكان كل شيء راضيا: عدوقة وافرة من طعام  
حار وبارد وفاكية وحلوى. واخيرا رفع الخوان  
وبينما نحن في هذا اذا بفارس قد اقبل علينا من  
الروض المحاذي يصحبه خادمان فعرفت فيه صاحبى  
ضون ديينغو كورونيل واقترب هو مني. واد كنت  
بذلك الزى اخذ بتفريس في. ثم خاطب السيدتين  
داعيا اياهما بنات عمه وخلال هذا كله لم تكن  
عيناه لتفارقاني. وكنت انا حينئذ انحدث مع صانع  
الحلوى بينما رفيقائى اللذان كانت ترتبطهم به

صداقة متينة كانا متمادين في الحديث معه فسألتهما  
 - حسبما ظهر بعدئذ - عن اسمي فاجاباه: ضون  
 فيلبى تريستان ، وهو من عائلة نبيلة وذو شرف  
 رفيع وثروة واسعة فرأيتُه حينئذ يرسم على وجهه  
 اشارة الصليب مستعيذا . واخيرا اقترب منى على  
 مرأى من الجميع وقال . «سماحا ايها السيد لانى  
 حسبتك قبل ان اعرف اسمك شخصا آخر على  
 طرفى نقيض مما اذت هو . حيث لم ار قط شيئا  
 بين شخصين مثله بينك وبين خادم كان لى في  
 شقوبية اسمه باباوس ، ابن حجام من تلك المدينة»  
 فضحك الجميع ضحكة عريضة وسعيت يدورى لثلا  
 ينم بي لون وجهي وقلت انى ارغب في رؤية  
 ذلك الرجل لاننى قد سمعت من اناس عديدين ان  
 بينى وبينه شيئا عظيما . فقطعنى ضون ديعو  
 بقوله : «ويا له من شبه ! في القامة والكلام  
 والحركات ! وحقك انى لم ار تشابها كهذا ، واذاك  
 قالت السيدتان - الحالة والام - كيف يمكن ان  
 يحصل تشابه كهذا بين نبيل من الرفعة بهذا المقام

ومحتال سافل. كذلك، وازافت احداهن بقولها دفعا  
 لكل شبهة: «اني لاعرف ضون فيليبى حق المعرفة  
 وهو الذى اضافنا بامر من زوجى في بلدة اوكانيا،  
 ففهمت مقصدها وثبتت على كلاميا بقولى ان  
 رغبتى كانت ولم تزل في خدمتهن قدر استطاعتي  
 انى كان. واذاك عرض علي ضون ديفغو صداقته  
 واستسمحنى عن الالهانة التى وجهها الى باخذه  
 ايلي بابن الحجام. وازاف قائلاً: ان حضرتك قد  
 لا تصدق ما اقولك لك عنه: فامه كانت ساحرة  
 وابوه لصا وخاله جلادا. وهو شر خلق الله واكثرهم  
 دنائة وما قولك بما شعرت به حين سمعت عن  
 نفسي هذه المنكرات؟ فوالحق يقال لقد كنت  
 - وان حاولت الاخفاء - كمن على البحر. واخيرا  
 حاولنا الاوبة الى المدينة فودعنا السيدات وضون  
 ديفغو انا ورفيقاى وركب ضون ديفغو العربة  
 معهن. فسألهن عن مغزى هذه العصرية واجتماعهن  
 يي فاجابته كل من الام والحالة اني ذو ملك ربعة  
 السنوي كذا من الدكات وانهما تريدان ان تزوجاني

بأنیکا (3) وقالت له ان يستفسر عنى فيرى ان  
الامر مصيب وان فيه شرفا عظيما لكل  
عائلتهن.

وإثناء هذا الحديث بلغ دارهن الواقعة في  
شارع الأرغال بالقرب من كنيسة سان فيليبي اما  
نحن فذهبنا الى الدار جميعا كالميلة السابقة، وطلب  
منى رفيقاي ان نلعب طامعين في سلمي. ففهمت  
مقصدهما وجلست فاخرجا الورق - وكانت  
الاوراق مزورة داخلوى - فخسرت اللعبة الاولى  
لكنى ما لشت ان عاودت الكرة وربحت منهما  
نحوا من ثلاثائة بلبون؛ ثم ودعتهما وعدت الى  
داري. فالتقيت برفيقي الماذون براندا لاغاس وبيرو  
لوبيس اللذين كانا يدرسان في زهر النرد بعض  
الحيل الناجحة فلما ابصراني تركا ما هم فيه  
وسألانى عما وقع لي فلم ازد على القول بانى  
وجدت نفسى في مازق حرج واخبرتهما كيف  
التقيت بضوز دييغو وما حصل لي فسلياني واشارم

---

(3) تصغير آنا

علي بالتسكتم والا اذ ارجع عن قصدي بآية طريقة  
او وسيلة.

وبينما نحن في هذا بلغنا انه تنتظم في دار  
جار لنا صيدلاني حلقة للمعب بالورق لعبة الوقوف  
وكننت انا احسن هذه اللعبة اذ كان لدى ورق  
مزور يمكنني من الغش فقررنا ان نذهب الى  
داره لنفجع من عده بميت - اذ يعنى بهذا الاسم  
دفن صرة ما - فسبقني اليها صاحباي وسألوا من  
هناك عما اذا كانوا يرغبون ان يلاعبوا راهبا  
بندكتيا قدم منذ قليل للاستشفاء في دار بنات عمه  
وانه اقبل مريضا ومعه كثير من الدنانير والبلايين.  
المثمنة (4) ففتح الكل اعينهم وصاحوا قائلين:  
اهلا وسهلا بالراهب على الرحب والسعة فاضاف  
بيرو لوبيس بقوله: لا يخف عليكم انه ذو مكانة  
في رهبنته. ولكنه يريد ان يسلى وهو خارج عن  
الدير فان يلعب فذاك لما في اللعب من حديث

---

(4) البلبون اثمن نقد فضى كان يوازي ثمانية

بلايين من الفضة القديمة

اكثر من اي شىء آخر فاجابوه ثانية بقولهم :  
 « فليأت ايا كان قصده ، فعطف عليه براندالاغاس  
 بقوله : « من اجل الحشمة .. ، فقاطعه الصيدلاني قائلا :  
 « لا حاجة الى زيادة البحث في الموضوع ، وبهذا  
 انطلقت عليهم الحيلة واقتنعوا بانهم سيقعون على  
 غنيمة باردة وعاد صاحبى الى الدار فاذا بي قد  
 وضعت منديلا على رأسى وارنديت ثوب راهب  
 بندكتي - وكان هذا الثوب قد وقع بين يدي  
 في احدي القرص - ووضعت نظارة فوق عيني  
 ولحية مستعارة لم تكن لتعوق لانها كانت ممشطة  
 فدخلت متواضعا وجلست ثم بدأ اللعب ، وكان  
 الثلاثة الآخرون قد تأمروا علي لكن صفقتهم جاءت  
 خاسرة لانى كنت ادرى منهم باللعب فسقطوا في  
 شراكي ولم تمض ثلاث ساعات حتى ربحت ، منهم  
 ما يربو على الف وذلثمائة بليون واخيرا اعطيت  
 الحلوان وودعتهم قائلا : الحمد لله رب العالمين ،  
 واوصيتهم ان لا يروا في لعبى بابا المشك لانى ما  
 لعبت الا للتسلية .

لكنهم - وقد خسروا كل ما عندهم - اخذوا  
 يستعيذون بالابالسة فودعتهم وانصرفنا عائدين الى  
 الدار على الساعة الحادية والنصف ورقدنا بعد ان  
 تقاسمنا الغنيمة. وقد عزاني هذا بعض الشئ عما  
 انا فيه. وفي الغد ذهبت باحثا عن حصان اركبه فلم  
 اجد واحدا اكثره فتبين لي من ذلك ان كثيرين  
 من الناس بهم مثل ما بي لان السير على الاقدام  
 كان يعتبر عيبا وخصوصا في ذاك العهد. فتوجهت  
 الى حي سان فيليبى فالتقيت بخادم لمأذون يحرس  
 جوادا كان صاحبه قد نزل عنه منذ هنيهة وذهب  
 يسمع القداس فنفتحته باربعة دراهم ليسمح لي ان  
 اجول جولتين على متنه في شارع الارفال وهو  
 شارع محبوبتي ريثما يخرج موثاه من الكنيسة  
 فرضي بذلك وامتطيت الجواد وجلت به جولسا  
 من طرف الشارع الى طرفه الاخر دون ان ارى  
 احدا. وعند الجولة الثالثة اطلت ضونيا آنا. فلما  
 رأيتها اردت ان انظر فمعيا ولما كنت اجهر  
 احوال الحصان ولم اكن خيالا ماهر فاذا به بعد



ان سبطه سوطين وشددت لجامه يشبو ويلبط  
لبطينين ثم يركب رأسه واذا بي اهوي في مستنقع  
هنالك واقبل الصبيان من كل صوب يحدقون  
بي. فلما رأيت نفسي على هذه الحالة وكل ذلك  
على مرأى من محبوبتي لم اتمالك من الصياح  
غاضبا آه يا ابن الفاجرة! هب انك من خيل  
بالنزويلا (٥) لما عفوت عنك! وانك لتدفعن غاليا  
ثمن هذه الوقاحة! اجل لقد اخبرت بنزواته هذه  
لكن اردت ان اخبرها بنفسى، وعاد الخادم بالفرس  
فوقف وركبته ثانية. وكان ضون ديينغو كورونيل  
يقيم في دار بنات عمه. فلما سمع الضوضاء اطل  
ليرى مصدرها واذا ابصرته سقط في بدى فسانني  
هل اصبت بمكروه فقلت ان لا وان كانت احدى  
ساقى قد عطبت وكان الخادم يلح علي ان اسرع  
قبل ان يخرج مولاه ويراه لانه متوجه الى القصر

---

(٥) نوع من الخيل الاصيل اشتهر بتحسين  
نسلها خوان دي بالنزويلا سائس الدوكى دى  
سيسا فاطلق عليه اسمها

لكل سائر مني في بصر في ذلك الموضع  
 الحسن فادع من نور والخانه نور في ان نذهب  
 فري حواءه ونعوي على الخانه طبا ونصا صا  
 على صوة نانه من الجماله ان عتي فرسه نسحق  
 حر وانشي انه "المفت" الى وقال في عاصه ان  
 ان في عا وضون نه هو ونحوه في ساهل في ما  
 بحري هو الله ان عار عودا نه نلحق واحد من  
 ان ونا سبي من حبلون وكنان حزني  
 سدد وحق ارقوبي من من من من من من  
 في سر من . - رضى . واحدا نه رسا من السرون  
 عرب المادون وبار في حال سله ان انا وعد  
 ان رسه نتم احداث من السرى مع صون  
 سمعو قس . ان راب فت حونا خري عر نه  
 واني قد رلت فرسي "الطيب" في من ولسي  
 ونحو حموج ومن عاده . - سي . مع نه  
 فاني حمله على السعي وحوه خري و علف  
 حسب عواني ونه ونا عر من في نه  
 فرسا آخر ان السطح بروحه . ونحو عرس من

المأذون - فاردت ان اجربه ، والحق يقال انه من  
 الصعب ان تصدق المرء ما يقال عن صلابة عجزه  
 فضلا عن سوء سرجه . ولولا معجزة ارادها الله  
 لارداني قبلا فقال ضون ديغو: نعم! انها المعجزة  
 ومع هذا كله اراك تشكو من هذه الساق فقلت  
 لك: احل انها تؤلمني واود لو ذهبت فركبت  
 حصاني وعدت الى داري اما الفناة فقد اطمأنت  
 الى ما سمعته حينئذ مني وابصرت عليها علامات  
 الاسف والغم بسبب سقوطي . لكن ضون ديغو  
 خامره الرب في ما رآه من امر المأذون وما جرى  
 في الشارع . فكان سبب شقائي زيادة عن مصائب  
 اخرى عديدة وقعت لي . واعظم تلك المصائب  
 واصلها كلنا هو اني حين بلغت الدار وتقدمت  
 لارى صندوقا اودعت فيه حقيبة حوت كل ما  
 بقي لي من ميراثي من المال وما ربحته في اللعب  
 - عدا مائة درهم كنت احملها - فاذا بالمأذون  
 الطيب براندا لاغاس ونيرو لوبس قد ذهب به ولم  
 يترك وراءهما من اثر . فجمد الدم في عروقي

وبقيت حائرة في امري لا ادري اى طريق اسلك  
ولم ت اردد في نفسي قائلا: وبلى لمن ببق نالما  
الحرام فانه يعود من حيث انى ! واحسرتاه ! ما  
عساني صانع ! وليت مترددا بين ان اجرى وراءهما  
باحثا عنهما او اخبر العدالة بتأنيها لئلا  
الوجه الاحمر لم يمد اى مائلا لانهما لو فض  
عليهما لما احببا عن الافتاء بقصة الزى الزهاني  
الذى لبسنه ونامور اخرى خبرها. وذلك معناه ثبوت  
على اعواد المسنقة. اما ملاحظتهما فلم تكن باسهل  
لاني لم اكن ادري اى السبل اتخذا.

واخيرا ولئلا اخسر صفقة الزواج - اذ عرفت  
اعسر ان احوالى تستقبله بانير - قررت ان انقى  
ولو كلفني ذلك ان اشد حزامي شدا ممما.  
فاكلت وعند العصر استأجرت مهنرا وسرت نحو  
شارع محبوبتي ولما لم يكن معي خادم ولم ارد  
ان قراني بدونه صبرت في احدى الزوايا ان  
بهر واحد من الناس فكون عليه امارته فاد ما  
حاز حرجت وره فمدو كأنه خادمي ولو لم يكن

في واقع الامر وحين ابلغ طرف الشارع ابقر جاذبا  
 الى ان يعود واحد آخر عليه اماراته فاعيد الكرة  
 وجول جولة اخرى. ولست ادري اذا كانت قوة  
 الحقيقة بكوني انا نفس ذلك الشاطر الذي داخل  
 ضنون دبعو رينة في امره ام هي الريبة التي  
 ساورته بسبب حمان المأذون وخادمه وما جرى  
 لي معه ام اني سبب آخر. ولكن الواقع هو انه  
 جعل نسقني عن شخصي وموارد عيشي ويترقني  
 واخبرا كان من نتيجة سعيه انه اطلع على الحقيقة  
 بأعرب الوسائل واعجبها لاني كنت انمك بقضية  
 الزواج منجحا بعض الرقائق وكانت السببات  
 فحرج عليه لرجعتن الحارة في الفراغ من القضية  
 وببسا هو نسعي ورأني التقى بالمأذون فلنشيا  
 - وهو الذي اضافني يوم كنت اسكن مع الفرسان -  
 وكان هذا غاضبا علي كالم غضب لاني لم اعاود  
 زيارته. ولما كان يعلم اني كنت فيما مضى خادما  
 عند ضنون دبعو اخبره كيف انه رأني ودعاني الى  
 الغدا عنده وكيف انه ابصرني منذ يومين على

من فرس في زى أفيق وثيف خبرته ناني سائر  
 نفذة ذات نروة واسعة. فلم يكن من ضون دسغو  
 إلا أن عاد إلى داره وبينما هو في الضريق التي  
 عند باب الشمس تصاحى اللذين كنت قد تعرفت  
 إلى محبوبي ترفقتهما فقص عليهما قصة صحتها  
 وقال لهما إن يسعدا فادأ ابصراني لبلا في السار  
 فلجدر رأسي. وأتينا سيعرفاني تابعف الذي  
 نفسه فاني - ون - أنا ناسه أدك. ولم يسلط  
 الأمر بحديث لم يكر قط بعظم مودتيه لي كما في  
 تلك الساعة. ودارنا الحديث حول ما نحسن  
 نصنعه لبلا وحبنته ودعنا الفارسان. وسار في  
 سبيلنا في الناحية المجدرة من السرة ونقبنا  
 وضون دسغو فتعدنا نحو سار فاني ونا بعد  
 مدخل سار السليم قل لي ضون دسغو نحفي  
 عليك هلا سددت معفني بمعنتك ناني حب  
 أن امر من هما دون أن أعرف فقلت: لم يكن  
 أردت وأخذت معفني وأتت سار فاني ودعني  
 معفني في ساعة نحس وعرفت تدني نفسي لدفع

عنه لكنه وقد اسر في نفسه ان يوقعني في الشرك قال  
 انه بفضل السير وحده ومن الاحسن ان اولى ذاهبا.  
 فما كدت اعيد عنه حتى شاء الرجيم ان كان  
 هناك شخصان ينتظرانه ليفتكا به بسبب احدي النساء  
 فانصراني وانا لابس معطفه فحسباني اياه وانجلا  
 علي ضربا بعرض السيف فاخذت اصيح. وعلى  
 الصباح وبعد ان تفرسا في ادركا اني لست بضون  
 ديعون فوليا هاربين وبقيت في الشارع وحدي  
 اشكو ألم الضربات ووقفت برهة لا اجروء على  
 دخول الشارع واخيرا على الساعة الثانية عشرة  
 وهي موعد حديثي مع محبوبتي بلغت باب دارها  
 فاذا باحد الرجلين اللذين كانا ينتظراني اعتقادا  
 بانني ضون ديعو يتصدى لي وينهال علي بعصا.  
 وينيلني ضربتين على ساقَي فيرميني على الحضيض  
 واذا برفيقه يتقدم مني فيجز شعر رأسي من اذن  
 الى اخرى ثم نزعا مني المعطف وتركاني مرميا  
 على الارض وهما يقولان هذا جزاء الكذابين  
 المحتالين الساقطي الاصل فاخذت اصيح واستغيث

غمر اني لم اكن لاعلم حقيقة الامر وان خاشرت  
 نفسي ربة ما سعه منها بانه قد يكون صاحب  
 الموتى التي خرجت منها بتلك الحيلة التي نصنعها  
 ندعوى فداخل محكمة التفتيش او السجان المدعو  
 او رفاقي الهاربين. وحلاصة القول اني كنت انتظر  
 الطعنة من كل جهة - بحيث لم ادر لمن انسبها - حاشا  
 ان تجيئني من جانب خون ديفغو وكنت اصبح  
 بسرا شديقي قاذلا: باسركة المعاطف! فاقبل رحا  
 الامن ورفعوني. ولما انصروا في وجهي حرجا بدعا  
 وراوني فلا معطف ولم يدروا ما هي 'القضبة دهبو'  
 بي ليعاجوني فادخلوني دار احد الحجابين فضد  
 جرحي وسألوني عن مسكني ثم حملوني اليه.  
 فرقدت وبقيت تلك الليلة حثرا مفكرا تأمر  
 وجهي 'المشتوق وجسمي' 'مريض وساقى' 'المحليلين'  
 وقد عجزتا عن حملي ولم اكن لاحس بهذا وهكذا  
 بت تجروحا مسروقا بحث لم يبق توسعي من الحق  
 باصحابي ولا ان احاول الزواج ولا ان 'نقب' في  
 العاصمة ولا ان اغادرها.



## الفصل الثامن

في شقائي وغير ذلك من الحوادث الغربية

اصبح الصبح فاذا بي ارى فوق رأسي ربة  
الدار وهي شبة طاعة في السن متجعدة التقاسيم  
معصرة لوجه كسرة نمن طليت طحينا: ان سئلت  
عن سنها اجابت بانها ما زالت في ريعان الصبا مع  
انها ذات وجه كثير القعور: حيا: عوراء: لا تعري  
ولا تنتهي فهي منال اعجوز الساحرة. وكانت  
ذات شبرة في الحي وما اكثرت من كانوا يضاجعونها  
ومن تأنها ان يسمع الاذواق ونجمع بين الشهوات  
ونسها فلانة دي لاعبا. وكانت ذكري دارها  
ونفثت من مكثرين الدور اخرى. ولم يكن المثنوي  
لبخلو من الناس طول السنة وانك لتعجب لو  
رايتما تدرب الفتبات في فن الاثذار. فتعلمهن ما  
بحسن نهن كشفه من وجوههن اولا. فالشنياء

فعمدته ان غيبته دثما ولو في التمه ودات البدن  
الجلد من ان لا تغمر عن اظهارها والنفق الشعير  
ن نهز راسها وتخرج عرق خفيرة من تحت  
المعطف والبدن والجلد في التبين ان ترقص  
حديقها فمارة تعوضها وطورا تقطع يدها الى  
اعلى وكان من اجازتها في العسر ان لو دخلت  
عليها نس سوت كالعربان احد الى مزارهن نض  
لوحده بحدث لا يعرفين احد لا ولا رحا  
نفسه وكان لاسها وصحة نس سها هرووس لاسها  
نفسه في التمدد في نضون مهانهم ووسب النس  
حملا سها ووضعها اسو شعر از مزارها كانت ابور  
ما تكون في ترفع عذارى ونس القوت وفي  
نمادة اسم قصه في دارها راسه نعر شر حد  
ونكسلة نذمر كانت فعنه نس س سلسب نس  
وامثلة نرددها مرندة اشع الى سر التمدد  
على اموال الرجال فالصورت تالطف والجمامة  
والصناد دتسدية والحدتر من قس الاحسراء  
والنرد ولاننت نعلهم الساب الساب نال نفد

واساليب اخرى لطلب السلاسل والحلى. وتستشهد  
بـبلانديانيا، زميلتها في القلعة وـبلانوسا، زميلتها  
في تررس وكلتاها من البارعات في فن الاحتيال  
والكذب

وقد سردت هذا كله لتدخل الشفقة قلب  
من يرى بين اية ايد سقطت ويقدر خير تقدير  
ما قدمته لي من الحجج وحيث لم تكن لتتكلم  
نسي قبل ان تضرب عليه الامثلة بدأت بقولها:  
«اعلم يا بني ضون فيليبى انه من حيث تخرج ولا  
تزيد سرعان ما تبلغ القعر البعيد، وكما يكون  
التراب يكون انوحل، وكما تكون الاعراس تكون  
الحلوى. وانا لست اعرفك ولا اعرف طريقة عيشك  
ولكنك فنى ولا يهولني ان تبدر منك نزوات  
اشباب دون ان تحسب اننا ونحن نيام نسير  
نحو اللحد. وانا ككتلة من التراب بوسعي ان  
اكملك بهذا الكلام وهل من جديد في ان يقال  
لى انك اتلفت ثروة واسعة دون ان تشعر بها  
وانك شوهدت يوما طالبا وآخر شاطرا وثالثا نبلا

وكر هذا من جراء الصعبة التي بليت بيساء لا  
 قر لي يا بني من غرافق وانا اقول لك من انت!  
 الا ان كل نعمة وصاحتها. واعلم ايضا يا بني ان  
 الحذر منجاة للمرء لان المرق قد بضيع بين المد  
 والغم. واهنا ايها الابله! فان اقضت عليك مضحكك  
 رغبة في النساء فاعلم اني الامينة على تلك السلعة  
 في هذه الدبار وانني اتمش مما ارجحه في هذه التجارة  
 وسواء علي الدلالة ام الشر. وغالما ما نحتفظ بهن  
 في الدار وليس عليك ان ننقل من صحنه من  
 الى شاطر آخر سعبا ورا. معبرة منرجة ذهب تدنيا  
 من يقدم نها صحن طعام وحقق انك لو سلسني  
 ذاك لو فرت على نفسك كتبرا من الدفاتر انني  
 لست نهن يحب المال ووحق اسلافي وموناي  
 والمنة الصالحة انني ارجبها ما كنت لا تهابت حي  
 بما لي عندك من اجرة النوى ووا حجي الله  
 اشرا بعض الاعشاب والنباتات - لانها كانت  
 تشتمل على اسحق دون ان تكون عقاقيرة وسعدني  
 السحر من تدفع لها عنه احرا.

ولما ابصرت عظمها قد انتهت بالمطالبة او قد  
 اخرته مع انه موضوع حديثها ولم تبدأ به كما يفعل  
 المقية، لم اجزع لريارتها ولم نقم بها سابقا حين  
 كنت نريها وانما وقع ذلك ذات يوم قدمت فيه غرقتي  
 انعذر لي عما سمعته من حديث اناس لي عن  
 شؤون سحرية وان العدالة حاولت ان تقبض  
 عليها فاختفت الدار والشارع عن نظر رجالها.  
 فحانت لتنزح من رأسي ذلك الوهم قائلة ان التي  
 فعلت تلك الفعلة امرأة اخرى تدعى غيا، ولا  
 عجب ان ذل الخديق جمعنا حين نسير وزا  
 اداة كانوا لك (1) واخرا عددت لها مائتا وبينما  
 انا اعطيتها اياه شاء الحظ العاثر - الذي لا ينساني  
 قط - وانليس الذي بتذكرني دائما ان يدخل  
 ماوروا العدالة ليقبضوا عليها بتهمة الزنا وقد  
 علموا ان عشيقنا عندها اذاك. فدخلوا غرقتي

---

(1) اتى المؤلف بجناس حول كلمة غيا  
 التي معناها الدليل وقد استعملها اولا كاسم علم  
 ثم معناها الحقيقي

وحدثني في الغرض وهي ان حائبي انهاروا  
 عندما حباها فالتصرب المرحن. وتفسوني مرارا بم  
 جروني خارج الغرض. اما هي فامسكتها اثنان  
 منهم وصبا عليها وبلا من الشائمه ناعين  
 لها بفاحرة ساحرة. ومن ثاين ليثنان هذا الضن  
 امرأة حرايتها على السكل الذي وصفه وعلى رقيق  
 التأمور وتأوهدي الكبيرة على العشق - وهو  
 يتبع فاضله وكان اداك داخل الدار - هارنا. فلما  
 ابصروه وعرفوا ما قانه واحد اخر من نساء  
 سوى اني لست نصاحبها اخلقوا وراءه وامسكوه  
 بعد ان تركوني مسوقا مضروبا. ومن ثل مصمتي  
 كنت اضحك مما كانوا يقولونه ليعجوز. وم  
 كان احدهم يطر اليها قائلا: ه احسن د يكون  
 بهم. ثم وعلى رأسك تاج استقر الا وفي سرني

١٢ كان الحكوم عليه نحرته ثري و اسحر  
 بخاف نهم في السوارع وعلى رؤوسهم دج سقفي  
 نهم الجمهور و شعاع نموع حصى ترستونيه دخضر  
 والنفوسه وشربها

ان اراك فرسمين ثلاثة الاف لفتة تكوب في  
 حدمك. ويقول الاخر: ان المشايخ قد اعدوا الريش  
 وهم في انتظارك لتدخل مزدانة. واخيرا جاؤا  
 بصاحبها وربطاهما معا واستغفراني عما صدر منهم  
 نحوي وانصرفوا بعد ان تركوني وحدي. فسرى  
 عني قلبلا حين رأيت مضيفتي على تلك الحالة  
 وهكذا لم يبق لي من هم الا ان اقوم على عجلة  
 لاتمكن من رميها ببرتقالة (٣) وان كنت - لما  
 سمعته من خادمة بقيت في الدار - لم اثق كل  
 الثقة بسجنها لانها قالت لي كلاما لا اذكره  
 بالتفصيل عن الطيران وامور اخرى لم تقع من  
 اذني خير موقع. فمكثت في الادار اعالج فيها  
 خلال ثمانية ايام اكاد لا اقوى اثنائها على  
 الخروج. وقطبوا لي جرح وجهي اثنتي عشرة قطبة  
 واضطرت الى حمل عكازتين

وهكذا وجدت نفسي صفر اليدين لان المئة  
 درهم ذهبت في ما اديته عن الفراش والاكل

---

(٣) راجع الحاشية السابقة

ولأفامه وإن لم يبق من بدني وليس واحد ترميت  
 دفعا بصروف لم أعد قادرا على تحمله ان أخرج  
 من الدار بعمكاري وأبيع نسوبي وأطواقي وأردوبي  
 وكانت كلها من النوع الفاجر وهذا ما فعلته ثم  
 انسربت بما نجعت لدى من ثمنها ربعا خلقا من  
 المسيح القرصعي وكسا من المشاقة وردا طوبلا  
 مرقعا وسروا ضيق الساقين وحذا كثيرا وأدخلت  
 قبعة الرداء في رأسي وعلقت في عنقي سبحة وصلينا  
 من القلز بعد ان تلقنت تأوهات السائلين وعباراتهم  
 مؤمنة ونهجيهم البائسة من فقير نارع في هذا  
 الفز وهكذا سرعت مارسه في الأسواق. وخصت  
 ستين درهما بقيت في قساري وانصرفت في  
 مهنة الفقر مكلا على جودة كلامي. فنجوت على  
 هذه الحالة في الأسواق طيلة ساعة انام مدوها  
 بصوت اليه مرردا عبارات كده: يصدقني،  
 النصراني الصالح يا عبد الرب! يصدق على هذا  
 البائس المعطوب! أوه اني انفق على نفسي من  
 ان تكون في هذه الحالة وهذا ما كنت أدوّه



ايام العمل اما الزمان الاتياد فكنت اغير صوفي  
 واستعمل تعابير اخرى فاقول: ايها النصارى المؤمنون  
 يا عمدة الرب! استخلفكم بالاميرة الرفيعة سلطنة  
 الملائكة واه الرب هلا تصدقتم على مقعد بئس  
 ضررته ند الرب! ثم اتوقف ههههه وذلك من  
 الغمسه مكان ثم اضيف قائلا: ان ريجا فاسدا في  
 ساعة تحشر بيننا كنت اشتغل في كرم قد اقعدي  
 وشر اعضائي ولقد كنت فيما مضى صحيحا سالما  
 كما انتم وكما ستكونون والحمد لله

وكانت الدراهم بهذه الحيلة تنساقط بين  
 يدي بغرارة فاكسب مالا وافرا. ولولا فتى وقح  
 اقتلع زقص احدى الساقين يتردد فوق عجلة صغيرة  
 في نفس الشوارع التي انردد فيها انا فيجمع من  
 الصدقات قدرا وافرا لكان كسبي اكبر بكثير.  
 وكان ذلك الغنى يردد بصوت ابح يخته صائحا  
 بقوله: تذكروا يا خدمة المسيح عقاب الرب لى  
 على خطاياي. فتصدقوا على المسكين بما نلتموه من

الله وبضيف قائلا: «استرحمكم باسم خيسو» (١٤)  
 الصالح فيكسب من كل هذا ما لا يحصى فلهذه  
 إلى أسلوبه ولم تقبل بعدئذ قط خيسوس بل  
 وحسبوا بعذق. تسين فانه أكثر تحريكا للقلوب  
 وإنه حمدا لها على الشفقة وأخيرا غيرت عباراتي  
 وحصلت من كتيبرا وكنت أمشي منوكنا على  
 نكاردين وساقاي في حيرة من الجلد وقد قمنا  
 بنمط عربض. وأبيت في مدخل دار جراح برفقة  
 أحد فقر «الارقة» وكان عدا في طليعة ما خلق  
 الله من «خباين» واسع الثروة. يتصرف كشيخنا  
 مبكسب أكثر من الجميع وكانت له اشرة كبيرة  
 وثمن يربط شراعه بخط رافعا نساء إلى أعلى  
 فليسو كأنه موزع النمل قطع ومحدوم في آن  
 واحد ويرسي على ظهره في موضع فطير شره  
 من الخارج كأنها كرة قصيرة (١٥) ويقول: نسو

١٤ حبسو أي يسوع

(١٥) والقرصي الذي يعصب سفيه وغراره  
 عصبا تدند ويبيت على ذلك لينة فاذ نورم وحقق

الفقر وهبة الرب للنصراني، فان مرت به امرأة  
 قال: ايتها السيدة الجميلة! لتكن يد الله معك!  
 وكان السواد الاكبر من النساء يمررن به وان لم  
 تكن تلك طريقهن ويتصدقن عليه ليدعوهن بهذا  
 اللقب. وان مر به جندي قال: «آه! يا حضرة  
 اليوزباشي، وان كان المار من عرض الناس قال:  
 يا حضرة الشريف. وان رأى واحدا يركب عربة  
 سماه بعدئذ بصاحب السعادة. وان ابصر شماسا  
 على ظهر بغلة سماه برئيس شماسة، ومحمل  
 القول انه كان لا يداني في فن الريا والزلفى  
 وكانت له اساليب اخرى للاستعطاء ايام اعياد  
 القديسين وقد توحدت بيني وبينه روابط الصداقة  
 فافشى الي ذات يوم بسر اغناذا بنهارين: وهو ان

الدم مسحه بشي من صابون ودم الاخوين وقطر  
 عليه شيئا من سمن واطبق عليه خرقة وكشف  
 بعضه فلا يشك من رآه ان به الاكلة او بلية شبه  
 الاكلة. والفلور الذي يحتال لخصيته حتى يريك  
 انه آذر، الجاحظ، كتاب البخلاء - ص ٥٥ طبعة ليدن

صاحبي هذا كان عنده ثلاثة صبيان يستجدون  
في الأسواق ويختلسون ما تقاه يديهم. ثم يدفعون  
إليه ما يجمعونه فيحتفظ بالكل وكذلك كان شقيق  
صبيين مكلفين بإدراج الصدقات للكنائس فيتقسمة  
وأياهما ما يختلسانه منها.

أما أنا فبعد أن تلقيت نصائح مثل هذا المعب  
وسمعت منه هذه الأمور قررت أن أخذ حدود  
وصوبت نحواني شطر القدس فما كاد يسير شبي  
نهر حمى نجع عدي ما يربو عن مئتي درهم  
خالصة. وفي آخر الأمر أدنى لي باعضه سر - نقصد  
أن نسبر معا - ونأخذ حيلة نرفقها مسجود  
فندركه معا ونقوم بها ما كنا نجلس - و  
أربعة و خمسة عشر في ذلك أن بدني - شبي  
بذلك فخرج ونسأل عن علامتهم فسقوا - حر  
ب سبدي! لقد انقبت به على الساعة ثم و  
اصل ذلك لدهسه عريضة به الآن في - و  
بحجه واحد عن مكافئته. وهكذا رأيت نروا

وتجمع ادى خمسون ديناراً وشفيت قدمائى وان  
كنت لم ازل اسير بهما مقمطتين  
واخيرا عزمتم على مغادرة العاصمة والتوجه  
الى طليطلة حيث لا اعرف احدا ولا احد يعرفني  
فاشتريت ثوبا قاتم اللون وزيقا وسيفا وودعت  
بلكاسار - وهو الفقير الذى تحدثت عنه - وبحثت  
في الفنادق عن ركوبة تحملني الى طليطلة

## الفصل التاسع

وفيه اتعاطى النمثيل والشعر ومغازلة الراهبات (1)

في أحد الفنادق صادفت جوقا من الممثلين يستعدون لسفر إلى طبلطة. وكان لديهم ثلاث عجلات وشاة لثة ان اجد بينهم واحدا كان لي

11 معازلة الراهبات - كان من المألوف في ذلك العهد حسبنا نستنجح من كسر من الشواهد الأدبية والتاريخية تردد الرجال إلى أديار الراهبات لمحادثتهن في أيام وساعات معينة من وراء حجب مثبتك يعرف باسم Locutorio أي محبر النكاح فكان بعض اشبان ينخدعون من ذلك فرصة الاسترسال في معازلة الراهبات على نحو ما نرى في هذا الفصل لكن هذه العادة ما لبست ان ألغيت من أنظمة الراهبات.

رفقا أيام الدراسة في القلعة ثم انصرف عن الدرس  
 إلى المنزل. فاعلمته نرجسي في مغادرة العاصمة  
 إلى طليطلة، ولم تعرفني إلا بعد جهد جهيد من  
 حرج الجرح الذي بوجعي. ولم كدر رسم إشارة  
 أصيب مسعدنا. وأحسنا نزل عند توددي حبا  
 دالح. وحصل لي من الآخرين مكانا يسير بمعيتهم  
 وسرنا وقد اختلط الرجال بالنساء وابصرت واحدة  
 مهن وعي الرافضة وكانت تمثل فوق ذلك ادوار  
 الملكات وكذا الادوار المهمة في المسرحيات فاذا  
 نينا غانة في الكيد والدهاء. وصدف ان زوجها  
 كان جالسا إلى جانبي فقلت له مدفوعا برغبتني  
 في اسلاطها - دون ان اعرف من هو - هذه  
 المرأة. بية صورة سكتنا ان نفتاحها الحديث لتنفق  
 عليها عشرين دينارا لأنها في نظري غاية في الجمال؟  
 فقال الرجل: لا يصلح لي وأنا زوجها ان اجيبك  
 على سؤالك هذا ولا ان ابحث في الامر. ولكن  
 - واعلم اني اقول هذا بلا تحيز - يمكنك ان  
 تنفق عليها ما اردت من الاثاير لاني لن تجد

لها مدينة في الجبل والبر، وما أن فرغ من كلامه  
 حتى قفر من العجبة وانقل إلى حلة أخرى  
 منسج في الدار - جسما ظهر - أحسنها. وقد  
 تنحكي سرا جواب الرحل ونهبت أنه عن رحل  
 من هذا المكان العول أن لهم نساء وكانهم ليس  
 بهم قاتل ذلك عن حدث الدار السائر. وعلمت  
 بفرصة في أمر المرأة التي بين أعينها ونساء عن  
 ما في وحاشي واحدرا وبعد ذلك كبير أجدا العمر  
 التي ما بعد وصولنا إلى طامطة، وواصل السير  
 فوجد.

ونما نحن سائقون خطري خاطر فأخذت  
 أملا قطعة من مسرحية سان أليجو، كنت  
 أحفظها منذ الصغر. وقد اجدت في المسر إلى

١٢ سان أليجو San Aljo - نوحده مسرح حسن  
 نحملان هذا العنوان الأول مؤلفه، جون وند  
 دي وندا وقد صدرت في مدينة اندعة سنة ١٨٦١  
 والثانية من آ. ب. ب. الثامن المسامع عشر سنة  
 صنعوا كالبخا.



حد انهم طمعوا في ضمي الى صفوفهم. ولما كانت  
 المرأة مطلعة بواسطة صاحبي الذي يرافقهم على  
 نكباتي ومصائبني عرضت علي الانضمام الى جوقهم  
 وبالغوا أمامي في الثناء على حياة الممثلين ولما  
 كانت الفتاة قد أعجبتني وداخلتني رغبة في التقرب  
 اليها تعاقدت مع مدير الجوق لمدة سنتين. وأمضيت  
 له تعهدا ببقائي الى جانبه واعطاني حصتي وادواري  
 واثناً هذا كله بلغنا حليلة. فاسندوا الى حفظ  
 بضعة مائة شعيرة تلقي قبل تمثيل المسرحيات  
 وادوارا امثل فيها اشخاصا ذوي لحى كنت أحسن  
 تقليدعم بصوتي فبذلت جل عنايتي والقيت المديح  
 الاول في المدينة وكان على لسان مركب أقبل  
 مفككا بلا مؤونة ومطلعه هذا هو المرفأ وكان  
 يتخلله تلقيب عرض الناس ملاء واستغفارهم عن  
 الجفوات واستصاحنهم لما سيمثل. وحين فرغت من  
 التائه قوبلت بعاصفة من النصفق ثم غادرت  
 خشبة المسرح وقد احسنت تمثيل دوري.  
 وبعد ذلك مثلنا مسرحية من تأليف احد

ممثلينا وقد عجبت من أن يكون بينهم شعراء  
لأنني كنت أعتقد أن الشعراء لا يحسنه إلا العلماء  
الكبار ولم يدر قط بخلدني أن لأناس منهم نصيبا  
منه ولكن الشأن الآن في هذا الباب هو أنه لا  
يخلو صاحب جوق من أن يؤلف مسرحيات ولا  
مثله من أن ينظم مغازل تدور حول مناسبات  
المسلمين والنصارى. وأني لأذكر أن الحاجة كانت  
فسا مضي بعبادة البعد عما هي عليه الآن لأنه  
إذا لم يكن مسرحيات إلا أنا كنت  
الموتير ذي دعا أو لادون (١) والأفضل وأحسرا  
مست المسرحية في اليوم الأول وله نفيسها أحد  
وفي اليوم الثاني بدأ بها - وشاء الله أن نفسح  
... معركة - فخرجت مسلحا ومزودا بنرس

(١) رامون Ramen الراغب الوصف رامون  
'ورامون' مؤلف مسرحي أساد به كسر مـ  
سرفانيس وأني ذي ... وضع عدة مؤلفات  
علمية دنيمة في مسرحياته متأخر أنها سادته  
سنة ١٦١٥

ولولده اسقطت تحت وابل من السفرجل الردي  
 ونقابا الخضِر وقشور البطيخ . وام قر قط زوبعة  
 هذه والحق يقال ان الرواية كانت جديدة بذلك  
 لانها كانت ناسل ملكا نورمانديا لامجال لظهوره  
 ثوب ناسك وخادمين لاثارة الضحك وعند حل  
 العقدة يزوج الجميع وهكذا تنهي الرواية ولذا  
 فوبانا ما نستحقه . فأسانا معاملة الرفيق الشاعر  
 ولما كنت انحي عليه باللائمة قائلا له ان تبصر  
 فما نحونا منه واعتبر قال اي انه ليس له شيء  
 مما في الرواية وانما صنفها مستوليا على عدة مقاطع  
 لحلف الروائيين ومن مجموعها خاط مسرحية  
 فجاءت مجموعة رفاع درداء الفقد وانه انما اخطأ  
 في خياطينا . واعترف لي ان كل الممثلين الذين  
 يؤلفون مسرحيات انما هم مكلفون بالارجاع لانهم  
 يمدون ايادهم الى ما سبق ليم ان مثلوه من  
 مسرحيات وذلك سهل جدا . وان الطمع في كسب  
 ثلاث او اربعمائة درهم هو الذي يدفع بهم الى  
 ذلك التغيرير . ومن جهة اخرى حيث انهم يترددون

على هذه الأماكن فإن الكثيرين يقرؤون لهم  
مسرحيات فباخذونها ليعلموها وإذاك يسرقونها  
فيضيفون إليها ترهة ويتحذقون عبارة جديدة ويحسون  
المسرحية لنفوسهم. وصرح لي أيضا بأنه لم يوجد  
قط منهن احسن تأليف اغنية الاعلى هذه الطريقة  
فلم استقم الخيلة واعترف اني شعرت بسحر  
الى اسمعائها لما كنت احسه من نفسي بميل طبيعي  
الى السحر الخفيف الى ذلك اني كنت قد غرقت  
على بعض 'سعر' وخالعت مؤلفات غارسيا لاسو (1)  
وعندئذ سخر راسي على الاصراف الى هذا 'نغم'  
فاصبحت انامي تنقضي ذوقا و'السم' وال'مد' به  
ود. 'نقضي' على وجهه طابعه بهر وحدثت  
نفسه مسرحية ت حسة مصحح لذلك حصار  
اول - ولذلك اصبحت منهورا ومحروبا نغمي

(1) غارسيا لاسو - Garcia Lasso - شاعر  
حول الى انه انا وفيه انا في مكان في  
احسن الموقف

بالونصيتى (5) لانى قلت ان اسمي الونصو . ومن  
 جهة اخرى كنت القب بالقاسى لاني مثلت في  
 احدى المسرحيات دورا بهذا الاسم اعجبت فيه  
 كل الاعجاب الرعاع والعامه من الحاضرين -  
 حتى صار عندي ثلاثة ازواج من الاكسية وصار  
 بعض مديري الاجواق المسرحية يحاولون انتزاعي  
 من الجوق الذي انا فيه. واصبحت اتحدث كمن  
 له خبرة في فن المسرحيات وانحي باللائمة على  
 الممثلين المشهورين فانتهقد حركات بينيدو واثنى  
 على عدو سانشث وظرافة مورالس (6) وكنت  
 استشار في تزيين المسارح وتجميلها وان جائنا  
 احد ليقرا علينا مسرحية ما كنت انا السامع لجا

## 15 تصغير الونصو

(6) بينيدو Pinedo وسانتشث Sanchez ومورالس  
 Morales ثلاثة ممثلين بارعين حازوا قصب السبق  
 في هذا الفن منذ سنة 1599 و 1613 وقد مثل  
 الاول كثيرا من مسرحيات لوني دي بيغا

واخيراً شجعني هذا التحبيذ فاخرجت باكورة  
شعري قصيدة غنائية واعقبتهابرواية قصيرة قوبلت  
بالاستحسان.

ثم حدث بي الجرأة الى وضع مسرحية طويلة  
ونثلاً يفوتها ان تكون ذات صلة بالامور الالهية  
جعلت موضوعها مريم العذراء سيدة السبعة (١٧)  
وكان مطلعها نشيداً يرتل على نغم المرمار. وفي  
خلالها تظهر النفوس المتخربة والبالسة اذ كانوا  
يسعملون في ذلك العهد فبصيحون بو بو عند  
الخروج وري زى عند الدخول وقد استحسن  
سكان المكان اسم 'لشيطان متخدلاً الادوار' وكانوا  
بعد ذلك يتناقشون فيما بينهم حول سقوطه من  
السماء وغير ذلك وفي نهاية الامر ملئت مسرحية  
ونبات اتحجب الجميع ولست اكاد ان اقول عن  
'لقباء بكر ما تتطلب مبي' ان اسردد عن شيء  
منظومات كانوا 'للسرير' فمن تسمى حسب  
النسب في وصف حاحي الحطب 'وعنه' ومن معره

يريدها في وصف اليدين أو الشعر وقس على ذلك  
وكان لكل ثمنه وان كنت ابيع منظوماتي باثمان  
رخيصة لوجود حوانيت اخرى تباع فيها السلعة  
نفسها

اما التراتيل فحدث ولا حرج. فان دارى كانت  
نعمج بالوافهين ومرسلات الراهبات وبالعريان ايضا  
- وكنت انتقضى ذمانية دراهم عن كل نشيد -  
واذكر انى في ذلك العهد نظمت نشيد القاضي  
'العادل' وهو نشيد فخم جزل يدعو الى الاحسان  
ونظمت الابيات المشهورة الاتية لاعمى كان  
ينشدها ناسبا اباها لنفسه وهى :

يا ام الكلمة المتجسدة

يا ابنة الاب الالهى

اعطني نعمة طاهرة الخ..

وكنت 'ول من حمم الانسيد' كما لمواظب بعبارة  
'النعمة في هذه الدنيا والسعادة في الاخرى' وذلك  
في المنظومة الاتية على لسان احد اسارى تطوان:  
'فلنلتبس دون رياء'

من الملك الأعلى الذي جل عن كل عيب  
 ان يلتفت الى قوة عقيدتنا  
 ويجود علينا بنعمته  
 ونالسعادة في الدنيا الآخرة. آمين.

فبهذه الأمور كلها كانت احوالي على احسن  
 ما ارجو ونأهيك عن غني وازدهار انه-مع في  
 بحسبتهما واصبحت اطعم في تأليف جوق تسلي  
 تحت اذني. وكان منزلي فخر الزينة لاني  
 وقعت - ضعا في الحصار من زراير رخيصة -  
 على حيلة شيطانية وهو اني اشربت كمية كبيرة  
 من اجلال القنادق المرسومة علينا اسلحة النبلا  
 وعنفها على الجدران فكلتني ما سرور -  
 حسنة وعشرين وثلاثين بلون وكانت و  
 نرى من كل ما لملك من نوعها لان من حلالها  
 شان ترى لمزقتها نسما انه من حلال هذه به نكر  
 نبري شي<sup>١٨</sup>

١٨ اني مؤلف نجاس في كسبي para ver



وحصل لي ذات يوم حادث غريب لا بد لي من قصه ولو كان فيه عار على وهو اني حين كنت اكتب رواية ما كنت اخلي في عليّة المنزل وهناك ابقى واكل. وكانت الخادم تحمل الطعام الى العلية ونتركه لي فيها وكان من عادتي ان ارفق الكنابة بالتمثيل كما لو كنت على خشبة المسرح فشا ابليس انه بينما كانت الفتاة صاعدة على الدرج - وهو ضيق مظلم - وبين يديها قدر وصحفتان - كنت انا انظم مقطعا من روايتي في وصف الصيد فاصيح باعلى صوني قائلا:

«الا فامسك الدب! الا فامسك الدب!

لانه سيمزغني اربا

ويندفع ورائك هاتجا»

او تدري ما قيمت الفتاة - وهي عالبسية(9)

ومعناها الاول حذر بان يرى، والثاني، ايرى

باعتبار para مقابلة للام السببية

(9) اي من غاليسيا وهي مقاطعة في شمال

اسبانيا.

من كلامي حين سمعتني اقول: سيمزقني ويندفع  
 ورائي، لقد ظننت ان كلامي حق وانى احذرها  
 من الدب. فولت هاربة لكنها في اضطرارها تعثرت  
 بذيل ثوبها وهوت قد حرج حتى اسفل الدرج  
 فاهرقت القدر وحطمت الصحفين وخرجت تصيح  
 في الشارع قائلة ان دبا يقتل رجلا. ومع اني هرعت  
 اليه مسرعا حين وصلت كان الجيران قد اقبلوا  
 كلهم مستفسرين عن الدب وبالرغم عما قصصته  
 عليهم من ان ذلك جمل من الفتاة لان الامر هو  
 ما اخبرت به عن الرواية فانهم اصرروا على ان  
 لا يصدقوني فلم اذق طيلة ذلك اليوم طعاما وبلغ  
 الحذر رفاقي وتناقضته اسن في المدينة كلها وقد  
 حصر في الكثير من هذه الحوادث طيلة نصري في  
 الى احتراق شعري ومع هذا كله لم يزلاني  
 سوء الحال.

وحصر انه لما داع الحذر فان احوال مدر  
 جوقي كانت تسير بظروا في شفق المحر صدر  
 امر نجائي نجز امواله بسبب دين قدس وودع

السجز - وهي خاتمة جميع من يتعاطون هذه  
المهنة. فتشتتنا ايدي سبا وولى كل منا وجهه شطر  
ناحية اما انا والحق يقال فالبرغم عن الحاح الرفاق  
على ليستميلوني الى جوق آخر لما ابصرت نفسي  
صاحب مال وهندام انيق ولم اكن راغبا في مثل  
هذه الحرفة وانما تعاطيتها محتاجا فضلت الانصراف  
الى الراحة والعيش الرغيد. فودعتهم جميعا  
وانصرفوا الى حال سبيلهم اما انا وقد حسبت اني  
بتركي احتراف التمثيل اخرج من حياة الفجور  
فقد اتخذت مغازلة الراهبات لى مهنة جديدة وقد  
ادانى الى هذا اعتقادي بان ربة الجمال «فينوس»  
انما هي راهبة نظمت نزولا عند طلبها كثيرا  
من الاناشيد اليلادية وقد علقت بي حين شاهدتني  
امثل في مسرحية دينية بوم خميس الجسد دور  
القديس يوحنا الانجيلي. وصارت تعتنى بي كل  
العناية وقالت لي انها انما تأسف لمعاطاتي حرفة  
التمثيل - لاننى تظاهرت امامها بانى ابن احد  
النبلاء الكبار - وترق لحالى واخيرا قر رأيت على

ان اكتسب لها الرقعة الآتية: لقد تركت الجوق  
أرضاً خاطرت أكثر منه قياماً بما يهمني لأن  
كل صعبة (10) لي دونك إنما هي وحدة موحشة  
وكلما كنت ملكاً لنفسى كنت ملكاً لـ  
فاعلميني بميقات المواجهة فاعرف متى احظي  
بمحدثك

وذهبت المرسله بالرقعة وليس بالامكان وصف  
الفرح الذي استولى على الراهبة حين علمت بحدائي  
الجديدة فاجابتنى بما يلي:  
الجواب

اني لا اهتلك على حالتك الجديدة بل انضرت  
للنعمة ولو لم تكن ارادتي ومصلحتك واحدة  
تأملت وتوسعتان نقول الان انك انت او نفسك  
علم ببق عيبك الا متابرة وسامعي في ان فرغتك  
متابرة. من المرح ان المواجهة لن تكون اليوم  
ممكنة ولكن لا تأخر عن المجيء في صلاة

(10) تلى المؤلف جزءاً من نصه

فسمعتها اولاً بمعنى جوف وقد سمعتي مرة

المساء وهناك نتقابل. ولعلى اتمكن بعدئذ من  
التحيل على الرئيسة لاحادثك. الى اللقاء،  
فسرتنى الرقعة لان المرأة كانت في الواقع  
فطنة وجميلة وبعد ان اكلت ارتديت الثوب الذي  
كنت ارتديه للمغازلة في المسرحيات وقصدت  
الكنيسة فصليت ثم جعلت اجيل بعري في جميع  
ثقوب الشبكة (11) لعلى اراها وبينما انا في هذا  
شأ الله وحسن حظي - بل ابليس وسوء طالعي -  
ان اسمع اشارة التعارف القديمة فجعلت اسعل  
ولا سعة برباس. وانما كان قصدي ان اظهر  
بالزكام فجاء سعالى كما لو ان ارض الكنيسة قد  
رشت بالفلفل الحار. واخيرا بعد ان عييت من  
السعال اطلت من وراء الشبكة عجوز تسعل بدورها  
فابصرت تعاستي وفهمت ان السعال علامة تعارف  
في العجائز عادة. ومن الناس من يسمع صوتا  
فينتظر ان يرى بلبلا فاذا به يبصر بومة. ومكنت

---

(11) اي الشبكة التى تفصل بين المحل  
المحفوظ للراهبات وبقية الكنيسة

برهة طويلة في الكنيسة حتى بدأت صلاة المساء فسمعتها كلها. ولذا يسمى غزير الراهبات العشيق الفخم، (12) لما له من العشايا كالأعباد الفخمة ومن خاصته انه لا يخرج قط من عشية الفرح لأن يومه لا يصل 'بدا. ومن المستحيل ان يصدق قول ان ذكرت كم مرة سمعت صلوات المساء. ومنذ شرعت بالمغازلة استطال عنقي ذراعين من كبرة دا اشرب لرؤية حبيبي. وصاحبت الوافه والصبي الذي يساعد الكاهن لإقامة القداس. وقد أحسن هذا استقبالي. وكان ذا روح خفيفة يمسي متصفا كأنه بعدي سفايد وينعش مزاربق.

(12) اتى المؤلف بجناس في كلمة *solemne* ومعناه 'الفخم' وايضا الاحتمالي حين نعت بها الصلوات وكذلك اتى بجناس آخر في كلمة *visperas* ومعناه 'عشية'. وايضا 'صلاة المساء' وهي تصلى بشكل احتفالي. وهو و معنى ان مغارلي الراهبات بكسرون من حضور صلوات المساء الاحتمالية لكن من دون جدوى فكانت عتستهم لبس لها صبح.

من همالك توجهت الى قاعة المقابلة . وهى  
تتألف من بهو فسيح . ومع هذا لم يكن بد من  
الحصول على مكان منذ الساعة الثانية عشرة كما  
لو كان الحضور مسرحية جديدة واخيرا احتلت  
مكانا حيث امكننى ذلك وناهيك عما رأيت من  
مواقف المحبين المختلفة: فمن ناظر لا يتطرق بعين  
ومن ممسك قبضة السيف بيده وبالاخرى السبحة  
تتمثال حجر فوق اللحد ومن رافع يديه وباسط  
ذراعيه كالملائكة ومن فاغر فاد اكثر من المرأة  
السؤال مرنا حبيبته احشائه من وراء حلقومه دون  
ان ينبث بينت شفة . ومن ملتصق بالجدار مثقلا  
على الاجر دأنه يقايس بين نفسه والزاوية . ومن  
آخر يتمشى كأنه لا بد ان يحب لسيره رهوا كما  
تحب الفحول . ومن ممسك رسالة كاللحمة بين  
يدي الصياد كأنه يدعو اليه بازا .

اما الحساد فقد تألفت منهم عصابة اخرى .  
فبعضهم في حلقة يضحكون وينظرون اليهن والبعض  
الاخر يقرأون اناشيد ويرينهنا اياها ومنهم من تراه

اثاره للغيرة يتمشى في الشارع المعادي وينده نيد  
 امرأة ومنهم من تراه يتحدث الى خادم ارسدها  
 تتجسس وقد جائه نبأ ما. كل هذا كان يجري  
 في القسم الاسفل حيث كنا اما في الطابق الاعلى  
 حيث كانت الراهبات فقد كان المنظر ايضا جديرا  
 بالمشاهدة. لان قاعة المقابلة كانت تتألف من برج  
 صغير مليء كوى وحائط مخرم يبدو قرة كأنه  
 رجاجة عطور. وكانت جميع الثقوب آهلة بعبون  
 نمرحند: فهنا ترى ارجلا والنادى مجتسعه وعنائه  
 بدا او رجلا منفردة وفي مكان اخر تشاهد ما  
 ألف استعماله يوم السبت من رؤوس والسسه  
 وان نقصتها الادمغة وفي جهة اخرى يرى حانوت  
 محول: فالواحدة تسمى "السبحه" والآخرى نهر  
 مندليا وفي ذبجة اخرى يعلق قفاز وعنائه بنو  
 شريط اخضر. والبعض منهم بكلمن معه وت  
 عريض وعرض سعلن. ومنهم من تسمى "المتعة"  
 كما لو انها تخرج العنكوت بصاهاج. وحدث  
 بان يرى كيف انهم في الصيف لا يمدفون على



حر الشمس فحسب بل يتشيطون. واعجب به منظر  
ان تراهن نيئات بقدر ما تراهن مشوين. وفي الشتاء  
يحدث ان واحدا تنبت فوقه من جرائ الرطوبة الجرجير  
وغيرها من البقول. ولا ثلج يفوتنا ولا مطر الا تتلقاه  
اجسامنا وكل هذا في نهاية الامر لرؤية امرأة من وراء  
شبكة وزجاج كما نشاهد عظام القديسين فان تكلمت  
كان امره كمن يعشق شحرورا في قفص وان سكنت  
كمن يغرم بصورة لا غير. وما هداياهن سوى لمس  
خفيف لا يرتقي قط الى ضربة محكمة فلا تتعدى النقر  
بالاصابع. وبين حجب الشبايك تدخل الرؤوس  
ومن الصوت تطلق اسهم الغزل. كان جبهن  
لعبة التخفي. ولك بعد ذلك ان تنظر الى العاشقين  
يتكلمون همسا كأنهم يصلون ويتحملون توبيخ  
عجوز واوامر بوابة وكذب ناظرة. واعجب من  
ذلك كله ان تراهن يغرن من النساء اللواتي  
خارج الدير مؤكدات ان الحب الحقيقي انما هو  
جهن. وما ادراك بما ياتين به من امور شيطانية  
اثباتا لدعواهن. واخيرا صرت ادعو رئيسة الدير

بالسيدة، والتائب الروحى بالاب، والوافى بالابنة،  
وكالها امور يبلعها اليأس باثارة ومروء الزمان  
والصبر اخيرا بدأت استأ من المناظر  
يطردننى والراهبات يسألننى وقابلت بين سلا  
ما ادفعه ثمننا للجحيم ورخص ما يدفعه الآخرون  
وقامت الطرق الضالة التى اسلكها لا محالة وانى  
سائر الى الجحيم بسبب حاسة اللمس وحدها انما  
وكنيت حين اسلكه - املا تسمعنى نعمة من دار  
امام الائمة - فم راسى الى رؤوسهم الى  
ان قضى الحذر. دانت ذنوبك علاماتها في حصى  
حسنة اليومين السابقين وانكسر بصوت منخفض  
نكاد يستحيل سماعه نلا ساعة فلا يرانى احدا  
قال. لعنة الله عليك تاملنا نراعات واقولا  
احرى اسوا منعا

فهذا امور كلها جعلنى اعلم الفكرة  
وكاد يستقر رأيى على قضية الراهبة ونو حسرت

113 اي لاء لم يرتب معصية شري ونما  
كان حبه لمرأهبة لا تعنى مسه اصابع ندي.

قوتى وعزمت على ذلك يوم عيد القديس يوحنا  
الانجيلي لأنى في ذلك اليوم اكملت معرفة ما هن  
الراهبات وحسبك ان تعرف ان راهبات يوحنا  
المعدان بحجز جميعهن قصدا فكانت اصواتهن  
وهن يرتلن القداس نجيبا اكثر منه ترقيلًا.  
وكذلك لم يغسلن وجوههن وارتدين الالبسة  
القديمة. كما ان اصدقاءهم وقد طالبوا على ان  
يفقدوا العيد رونقه. جاءوا الى الكنيسة بصفات بدلا  
من الكراسى وبكثير من الشطار من الرعاع.

وما رأيت بعضهن بسبب احد القديسين  
والعض الاخر بسبب آخر يعاملونهم أسوأ معاملة  
اخذت من راهبتى ما قيمته خمسون أسكودا من  
الانسجة المطرزة والجوارب الحريرية وصبرات العنبر  
والحلوى لابيعة بالقرعة واتينا بالثمن فلما صارت  
تلك الاشياء بين يدي سلكت طريق اشبيلية لاجرب  
حظي في بلاد اوسع نطاقا. اما ما ساور نفس الراهبة  
من ألم وحسرة على ما ذهبت به اكثر منه على  
فليتأمله القارى الورع.

## الفصل العاشر

فِي مَا جَرَى وَ فِي انْبِيَاءِهِ حَيِّ رَؤُوفٍ

(1) -  $\frac{1}{2} \frac{1}{2}$

• •

قشعت الطريق من طرقات وأسبابه  
 ثاني كانت في معرفة سادات النعمان ولدت حبال  
 من ربح شدة فتبع مجلسه الحجة والحق  
 بحث سدي وحدث وحدث ربه حبله سرح نفع  
 ثلاث ولدت أحمر فطما من الضربون من حبه  
 ورق اللعب فسمع من سدي الحدة في ورقه  
 ستمني أريج نسيت ويهدد لصورد له كفن نفسه  
 من سدي قدر واحد وإني أنصرت سدي  
 زهر الـ عذبة أو روني كلها ما عذرت داف

(1) "م - عو - نيب - ندي - س - شلف"

ادات على الشقة الجديدة.

(2) انى المؤلف بجسائس في كسمة زهرة ومن

أكثر منه رجلا وعن سرد عبوب بفر منها الناس  
ثملا تكون مدعاة الى الاقتداء بها. ولكن لعلي  
بسرد بعض الحيل والتعابير احذر الغافلين من  
عاقبة غفلتهم. فاذا ما انطلت على قرائي حيلة بعد  
قرايتها فانما يقع الذنب على نفوسهم

لا تركز ايها الانسان الى دفع ورقات لعبك  
لانهم بدلونها لك بغيرها وهم يقرطون الشمعة.  
واحفظ ورقك من ان يمس بالقشط او الصقل  
وبينما يعرف سوء الطالع. واعلم ان كنت شاطرا  
انه في المطابخ والاصطبلات تغرز في الاوراق خلائل  
او تطوى لتعرف من الشقوق وان لاعبت اناسا  
ذوى مروءة فاحذر من الورق لانها منذ المطبعة  
حبل بها بالاثم. فيكفي ان تاتي الورقة مخالفة  
ليعرف ما فيها. ولا تثق بالورق النظيف لان مايريك  
منظرا جميلا ويحتفظ باكثرها نظافة (3) هو في

---

معانيها الضغو اي الغش في اللعب وبه استعملها  
هنا. ثم استعملها بمعناها المعروف.

(3) اي بالمال.

المواقع وسخ. وان لعبت فالورق فاحذر حين يخلتها  
المكلف بذلك ان يقوس الصور - حاشا الملوك -  
وهو يطويها اكثر من بقية الاوراق لان ذلك  
انتقويس انما هو من اجل مالك المرجوم.

واحذر ان لا يعطبك الورع من فوق ما نفاه  
عنه من نحت واسع في ان لا تطلب اوراق بالاصابع  
تتحرك بينها ولا باللجوء الى الاحرف الاولى من  
الكلمات.

ولا اريد ان ادلك على غير هذه الحيل فهي  
تكفيك لتعلم ان عليك ان تعيش حذرا لانه من  
المؤكد اني اطبق شفتي على الكاير منها. فهم  
يسهون عن جدارة الاستيلاء على المال امانة  
والحيلة على الصديق شطارة ولغموضها (4) لا  
يفهمونها و مزدوج. من يقود السذج ليسسخ  
جلودهم هؤلاء النشالون و ابيض من سلمت

---

(4) اتى المؤلف بجناس في كلمتي reversa  
ومعناها حيلة و reversada ومعناها غامض.

نبنه وخطبت سريرته كماخبز و اسود من خابت  
آماله واخفقت مساعيه

فبهذه اللغة (5) وهذه الخيل بلغت اشيلية وبمال  
الرفاق دفعت اجرة البغال ومن نزلاً الفندق  
كسبت ثمن الطعام ومالا آخر احتفظت به.

وبعد هذا ذهبت لانزل في فندق المورو  
فالتقيت بأحد رفقاء الدراسة في القلعة واسمه «ماط»  
وقد استبدل اسمه لاعتباره اياه قليل الترويق باسم  
ماطورال وكان يناصر بالارواح وعنده حانوت  
لبيع المشاجرات ولم تكن تجارته كاسدة وفي  
وجهه نموذج (6) من بضاعته. وبالطعنات التي تلقاها

---

5- كان المشطار لغة اصطلاحية خاصة  
والكلمات التي أوردتها المؤلف في هذه القطعة  
مثال على ذلك. وكانت تسمى germaniá خرمانية  
وفي معجم اللغة الاسبانية الذي نشره المجمع اللغوي  
يجد القارئ المعاني الاصطلاحية للكلمات في هذه  
اللغة.

(6) اتى المؤلف بجناس في كلمة cuchillada

كان يقرر اتساع وعمق 'مى سمعتها' بدورها.  
ويقول: 'لا معلم كالمطعون في وجهه ونعمه القول'  
لان وجهه كان كصدره من جلد وهو نفسه لجلد  
منوع. ودعاني الى تناول 'العشاء' معه ومع رفاقا  
آخرين واعدت لي نائم بمحسني للرجوع الى  
المندق

فذهبا واذا بلعا مثواه قال لي: انزع عنك  
العطف لظهر بمظهر الرجولة فانك رت هذه لمدته  
خيرة ابنا اشبيلية واخض الرنق لئلا بعسروت متخذنا  
واحن ظهرك وليكن معضك ساقطاً - لاننا ساقطاً  
نسير ساقطي المعاطف (17) - وات بحركات عن  
بمينك وعن يسارك والفض الحاء هاء والهاء خاء (18)

فاسعملها اولاً بمعنى 'مستاجرة' ثم بمعنى 'محنة'  
وهو معنى قوله في وجهه 'مستوحج' من نضائنه  
17 تعبير اسباني يقصد به 'سوء الحال' وفيه  
نبي المؤلف بجناس بين المعنى 'الحقيقية' والمجازي  
18 منذ اواسط القرن السادس عشر أخذ لفظ  
الحرف في حين تنقده او : والحرف احسن تنقده



وقال معي «خريدا، و.موخينو، و.خومو، و.موهارة»

a.o.u. يقترب من لفظ حرف z بالفرنسية (اي كالجيم العربية) وما عثم ان التبس لفظ هذين الحرفين بلفظ حرف x (وهو كالشين العربية) وبينما كان هذا الابدال بق ج في التخاطب بين المثقفين كان لفظ حرف x (اي الشين) بين العامة ينقلب الى لفظ يشبه لفظ الهاء العربية. وكان هذا اللفظ يمثل حينئذ بحرف h فقط في الكلمات المأخوذة من اللاتينية وفيها حرف f او من العربية وفيها الهاء او الحاء. ومع ان هذا الابدال لم يلبث ان عم استعماله فانه في الثلث الاول من القرن السابع عشر (وهو تاريخ وضع هذا الكتاب) كانت المبالغة في اخراج تلك الحروف من ميزات الشجعان في اشبيلية. ويستدل من معلومات كثيرة ان اللفظين كانا مستعملين في آن واحد دون ان يفرق بينهما بصورة فاصلة. ولذا كانت العامة تخط في هذا الباب خبط عشواء مستبدلة حرفا

و«هامالي» و«هارو» من الشراب (١٨) فحفظت هذه  
الكلمات عن ظهر قلبي. واعرني صاحبي خنجراً  
يصح فيه هذا الاسم لعرضه. وأما لطوله فهو أولى  
ان يدعى حساما. ثم قال لي: «اشرب هذه الزجاجة  
من الخمر الصافي لانك ان لم تتصاعد من انفاسك  
رائحة الخمرة فلا تبدو شجاعاً وبينما نحن في  
هذا وقد تركتني الراح نشوان اذا باربعة منهم  
قد دخلوا بوجوه كانها قدت من جلد يمشون  
مرتجحين لا تغطيهم معاطف. وعلى اوساطهم احزمة  
مشدودة وفوق جباههم قبعات مرفوعة الخافات

---

بآخر على هواها وذلك امر ثابت ومعلوم في  
تاريخ التخاطب والمقطع السابق مثال على ذلك.

(٩) «خريدا» بدلا من «هريدا» اي مجروحة.  
و«موخينو» بدلا من «موهينو» اي حردان. و«خومو»  
بدلا من «هومو» اي دخان. و«موهار» بدلا من  
«موخار» اي ابل. و«هابالي» بدلا من «هابالي»  
اي الهلوف. و«هارو» بدلا من «خارو» اي الابريق  
وهي مأخوذة من العربية «جرة».

كأنها تيجان تلورؤ وسهم. وعلى جوانبهم مقابض سيوف  
 قدر ما في دكاني حديد. وقد بدوا مستقيبي العراقيب  
 خافضي الاعين حادي الابصار، مفتولي الشوارب  
 مقصوصي اللحى. فاتوا بحركة بافواههم ثم قالوا  
 لصاحبي - بصوت حرد مستبقين من الكلمات  
 انصافها - «ايها السيد!» فاجاب مدبري: «ماذا يا  
 رفيقي؟» فجلسوا. وارادوا ان يسألوا عنى فلم  
 ينبسوا ببنت شفة بل نظر احدهم الى «ماطورالس»  
 وفتح فاه واخرج لسانه واداره نحوي مشيرا الي.  
 فارضاه معلمي بقبضه على ذقنه والنظر الى تحت  
 علامة الايجاب. واذاك نهضوا جميعا جذلين  
 وعانقوني وابدوا فرحا عظيما وانا كذلك فكنت  
 كأني ذقت اربعة اصناف من الخمر.

ثم حانت ساعة العشاء. واقبل للخدمة على  
 المائدة بضعة شطار كبار اسماهم الشجعان «مدافع» (10)  
 فجلسنا جميعنا حول الخوان وجىء بالكبر واذاك

---

(10) كلمة cañon ومعناها «مدفع» تطلق في لغة

الشطار على «الشاطر المتشرد».

بدأوا يشربون - ترحيبا بي - نخب شرفي والحق  
 اني ما عرفت قط ان عندي منه هذا المقدار حتى  
 رأيتهم يشربون نخبه ثم حضر السمك واللحم  
 فاكلنا جميعنا بشهية الضمان. وكان على الارض  
 جرن مملوء خمرًا وامامه ينبطح من اراد ان يقابل  
 بالمثل من شربوا نخبه اما انا فاكثفت بالقارورة  
 وما اتت عليهم دورقاز حتى اصبحوا ولا يعرف  
 احدهم الاخر فبدأت الخطب الحربية وترددت  
 الايمان وبين نخب وآخر هوت رؤوس عشرين  
 او ثلاثين رجلا دون ان يترك لهم اجل للاعتراف  
 ووصفوا لصاحب المظالم الف طعنة. واتوا بالحديث  
 على الطيبي الذكر «دومنگوتيشنادو (11) و«غايون» (12)

---

(11) كان «دومنگوتيشنادو» هذا خلاسيا حرفته  
 صانع معجنات. وقد ذكره كيبيدو في مؤلفه خاكار،  
 (12) كان «غايون» احد شجعان ذلك العهد  
 المشهورين ومبتكر طعنة قتالة. وقد ذكره كيبيدو  
 في مؤلفات اخرى. وكذلك ذكره لوبي دي سغا  
 في «مسرحيته» امة مغازلها.

واهرقوا خمرا غزيرا ترحما على نفس «اسكاميا» (13)  
والذين اثار السكر فيهم الشجن بكوا من اءـاق  
قلوبهم المرحوم «الونصو الباريس» (14) وامام هذه  
الامور كلها اصيب رفيقي بعطل في عقربي ساعة  
دماغه واذا به يقبض بكلتا يديه على قطعة من الخبز  
ويحرقه بالنور قائلا بصوت مازجته البحة:  
«قسما بهذا الذي هو وجه الله وذلك النور الذي  
خرج من قم الملاك انه لا بد لنا ان نقضي الليلة  
على ذلك الجلوز الذي لحق «بالاعور» (15) المسكين»  
فتعالت اصواتهم بالصياح واخرجوا خناجرهم واقسموا  
واضعين ايديهم على حافة الجرن ثم ارتموا حوله

---

(13) كان اسكاميا واسمه بدرو باسكيس دي  
اسكاميا سفاكا للدماء مشعورا في ذلك العهد. ومات  
على اعواد المشنقة.

(14) كان «الونصو الباريس» شاعرا وشاطرا  
من اشبيلية توفي ايضا فوق اعواد المشنقة وقد ترجم  
له الكاتب الكبير ضون فرنسيسكو رودريغث مارين  
(15) اشارة الى الونصو الباريس.

يعبون ويقولون: كما نشرب هذه الخمرة هكذا سنشرب دم كل مترحمه، فسألت اذاك قائلاً: «من هو الونصو الباريس، هذا الذي عم الاسي لموته؟ فقال احدهم: «هو فتي مكافح شجاع ذو يدين حديديتين ورفيق نعم الرفيق، هيا بنا! فاز الالباسة توسوس لي، وهكذا خرجنا من الدار سعياً وراء جلاوزة نصطادهم واذ كنت مستسلماً للخمرة وبين يديها وضعت حواسي كلها ثم اشعر بالخطر الذي تعرضت له.

بلغنا شارع البحر، حيث يصني لنا العسر. فما كدنا نراهم حتى جردنا عيوفنا وهجمنا عليهم. ومثل رفاقي فعلت وفي الصدمة الاولى نزعنا من جسم جلاوزين روحيهما الخبيثتين. فولى المأمور هارباً في الشارع يصيح مستنجدا ولم نتمكن من اللحاق به لانه سبقنا في العدو فلجأنا اخيراً الى الكنيسة الكبرى حيث احتمينا من صرامة العدالة. ونما الوقت الكافي ليتبخر الخمر الذي كان يغلي في رؤوسنا. ولما عدنا الى نفوسنا

هالني ان تكون العدالة فقدت جلوازين والمأمور  
ولى هاربا امام عنقود عنب واذاك كنا نحن ذلك  
العنقود.

اقمنا في حرم الكنيسة على احسن ما يرام  
لانه على رائحة المنعزلين اقبلت غادات تتعرين  
لتلبسنا. وعلقت بي : لاغراخاليس، والبستني  
جديدا من لوان اثوابها بقران ذلك فى عيني  
واستطبت هذه الحياة اكثر من كل حياة  
اخرى وعزمت ان اعيش الى جانبها حتى  
الموت ودرست فنون السفها ولم تنقض سوى  
ايام قليلة حتى كنت استاذ الاخرين. لكن العدالة  
لم تكن لتتغافل عن طلبنا ولا يبارح رجالها  
ابواب الكنيسة. ومع هذا كله كنا نخرج بعد  
نصف الليل مقنعين ونتجول فى المدينة دون ان  
يدرى بامرنا.

ولما رايت ان هذه الحالة قد طالت كثيرا  
واكثر منها اصرار الحظ العاثر على ملاحقتي  
قررت - لامعتبرا لانى لست عاقل الى هذه الدرجة

بل تعباً كخاطي<sup>٢</sup> عنيد بعد ان استشرت لأغرا خائيس<sup>١</sup>  
اولاً في ذلك، ان انتقل معها الى الهند  
لعلني اذا بدلت موطني ودينائي يحسن حظي، لكن  
النتيجة جاءت بالعكس. فازدادت حالى سوءاً لانه  
لن يحسن حالاً من يقتصر على تبديل موطنه  
ولا يبدل حياته وعاداته.

---

(14) راجع الحاشية رقم 1





# فهرس

## صفحة

5	سيرة الشطار في الادب الاسباني .....
19	كيبيدو .....
21	سيرة الشاطر ضون بابلوس .....
22	الى القارىء .....
	الفصل الاول - وفيه الكلام عن نسبه
27	ومسقط رأسه .....
	الفصل الثاني - في ذهابي الى المدرسة
36	وما وقع لي فيها .....
	الفصل الثالث - في ذهابي الى مدرسة
	داخلية بصفة خادم لضون دبغو
47	كورونيل .....
	الفصل الرابع - في تعافينا ودهاننا للمدرسة
67	في قلعة هناربس .....

الفصل الخامس - في دخولنا قلعة هناريس

ودفع ضريبة التلمذة وما لحقني من

81 هزءً لجدتي في المدرسة .....

الفصل السادس - في فظائع الوصيفة وما

95 اتيت به من كياسة .....

الفصل السابع - في رحلة ضون ديبغو

واستخباري ب وفاة والدي وما عزمت

114 عليه في شؤوني للمستقبل .....

الفصل الثامن - في الكلام عن الطريق

بين القلعة وشقوبية وما جرى لي

فيه حتى رexas حيث بت تلك

121 الليلة .....

الفصل التاسع - في ما وقع لي مع شاعر

135 حتى وصوني الى مدريد .....

الفصل العاشر - في ما فعلته في مدريد وما

جرى لي حتى وصلت الى ثرثديا

142 حيث بت ليلتي .....

الفصل الحادي عشر - في خيانة جالسي

وزائريه وقبض قريكتي وعودتي

167 الى العاصمة .....

الفصل الثاني عشر - في فراري وما حصل

180 لي حاله حتى بلغت العاصمة ...

201 الكتاب الثاني من حياة الشاطر .....

الفصل الاول - في ما وقع لي في العاصمة

203 منذ وصولي حتى الليل .....

الفصل الثاني - وفيه يتابع الموضوع اشد

211 به وغيره من الحوادث الغريبة ..

الفصل الثالث - وفيه يتابع الحديث حول

الموضوع نفسه حتى ينتهي الامر

234 بايداعهم السجن جميعا .....

الفصل الرابع - وفيه وصف السجن وما

جرى فيه جرى خروج العجوز مجلودة

والاصحاب الى العار وخروجي انا

239 بضمانة .....

الفصل الخامس - في عثوري على موسى

256 والمصيبة التي دهمتنى فيه .....

الفصل السادس - وفيه يتوالى الكلام

على الامر نفسه وعلى عدة حوادث

266 اخرى .....

	الفصل السابع - وفيه يتلو الكلام على
	القصة نفسها وعلى غير ذلك من
	الحوادث الغريبة والنكبات
278	الخطيرة .....
	الفصل الثامن - في شفاثي وغير ذلك من
296	الحوادث الغريبة .....
	الفصل التاسع - وفيه اتعاطى التمثيل
309	والشعر ومغازلة الراهبات .....
	الفصل العاشر - في ما جرى لي في اشبيلية
331	حتى ركوبي البحر الى الهند .....





# الاطاء المطبعية

## الواردة في الكتاب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
61	9	علمهم	عليهم
64	7	اسنانه	اسنانه
82	2	رائحة شم الحنزير	رائحة الحنزير
93	6	ويقولون	وهم يقولون
104	1	وبعد	وبعد هذا
139	2	الحنزير الوحشية	والحنازير البرية
152	3	الحاضر	الحاضرين
196	2	لنا نركب	لنا ان نركب
211	12	فتنقضي	فينقضي
212	1	قبض	حتى قبض
244	10	يضر بونه	يضر بوه
256	1	الفصل الثاني	الفصل الخامس



صفحة	سطر	خطأ	صواب
266	1	الفصل الرابع	الفصل السادس
268	2	لم نقع	لم تقل
273	14	احداهن	احدهما
296	2	شقائي	شقائي
296	2	الغربة	الغربة













